باسيل دقاق

عهد المهداوي

لقد دخلت التاريخ وأصبحت محكمتي
على كل شفة ولسان
المهداوي

« عهد المهداوي »

باسيل دقاق

عهد المهداوي

الطبعة الاولى

بيروت ايلول ١٩٥٩

مقدمة

كلمتان قبل بدء هذا الكتاب :

– الاولى رجاء الى كل من اصابه كلام المهداوي برذاذ في الكتاب ان يكون رحب الصدر فيعذر ويصفح وعوضه عن ذلك في ما يكشفه الكتاب من عورات المهداوي ومضحك اخباره وغريب اطواره ... مع رجاء الى المهداوي نفسه ان يوسع هو الآخر صدره ويقبل هذا النقد الخفيف على احسنه ويعتبره سبيلاً آخر الى شهرته .

– والثانية امل بأن يكون هذا الكتاب قد اعطى الفائدة التي اريدت به من تعريف هذه الحقبة الشهيرة في تاريخ العراق وتاريخ العلاقات العربية .

بعدئذ لا يبقى الا الشكر .

باسيل دقاق

فاضل عباس المهداوي

لو أن مارداً من مردة القصص والاساطير امسك بناصية هذا الشرق الاوسط وهزّه بكل قوته وكل جبروته لما اهتزّ ولا اضطرب مثلما يهتز ويضطرب منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية . فقد تعاقبت على هذه المنطقة من العالم في السنين الخمس عشرة الاخيرة، احداث خطيرة بدلت الكثير من معالمها وغيرت الكثير من الوانها ، من اقامة دولة ليهود الارض مكان الدولة الفلسطينية الى الاطاحة بالنظام الملكي في مصر ، حتى اقامة جمهورية نصف شيوعية في العراق .

ولقد لا تكون كل تلك الاحداث مدهشة وقد لا تكون كلها عجيبة، ولكن المؤكد ان ما شهدناه وما نشهده في عراق ما بعد ثورة ١٤ تموز ، اعجب ما شهده العالم من تقلب الاطوار في البلاد العربية ...

والمؤكد ان «محكمة الشعب» وعقيدها المهداوي اغرب من كل هذا وذاك . فقد ادهشت هذه المحكمة القاصي والداني ، واستوقفت اسماع العالم كله لعلعة لسان رئيسها وغريب اساليبه والمقاييس الجديدة التي يريد ان يضعها لعلاقات البشر وعواطفهم وكراماتهم وامانيهم وسائر شؤونهم .

لقد دخل المهداوي ومحكمته التاريخ، ولو من بابه الضيق ! ولسوف يتحدثون طويلاً في البلاد العربية عن المهداوي ومحاكات المهداوي واعاجيب المهداوي . ولسوف يطغى اسمه على هذه الحقبة من تاريخ العراق فيقال عنها «عهد المهداوي».

من هو المهداوي ؟

انه فاضل بن عباس ، ولد في بغداد سنة ١٩١٥ من عـــائلة بسيطة مغمورة وكان ناجحاً في دراسته اذ عرف عنه الانكباب على الدرس، عنيداً منذ صغره . انهى دراسته العالية في الكلية العسكرية وتخرج منها ضابطاً سنة ١٩٣٩ ، وعين آمر فصيل في الفوج الثاني من اللواء الاول في بغداد ، وابدى انضباطاً هنأه عليه رؤساؤه ، ولكنه كان طموحاً جداً . ولمس فيه رفاقه دلائل حسد شديد وغيرة من كل مَن يحيط به ، رغم ظواهر التودد والمجاملة والتواضع احياناً .

وعرف عن المهداوي بالاخص اقباله الشديد على المطالعة حتى جمع قدراً من المعلومات العامة لا يستهان به ، وكثيراً ما سعى الى التدليل عليه بمناسبة وبلا مناسبة . وعرف عنه كذلك ولعه بحفظ الشعر حتى انه جرب ان يقلد الشعراء فقرض بعض ابيات في المناسبات اثبتت انه متطفل على الشعر والشعراء ، مثلما اثبتت محاولاته ممارسة هواية الصحافة انه متطفل على الصحافة والصحافيين .

على ان مجرى حياة المهداوي لم يشر لحظة الى انه سيشتهر ، او انـه سيتقلد السلطة فيتحكم برقاب شعب برمته . فقد كان عادياً في بيته ، عادياً في وظيفته ، تزوج وانجب سبعة اولاد .. مثل اي والد ولود في اي بيت عـــادي منصرف اهتمامه الى اكثار نسله واعالة اسرته ولو عجز عن كفايتها .

اشترك المهداوي بالحرب الفلسطينية سنتي ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ، ولكنه كان فيها نكرة الى جانب قادة عراقيين ابلوا احسن البلاء ثم وقعوا في قبضته امام «محكمة الشعب» فراح يقتص منهم ويحط من قدرهم ويحاول ان يغمطهم بطولتهم!

ولما نشبت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ المشهورة التي اطاحت بعرش العراق وقتلت

الملك فيصل الثاني وولي العهد الامير عبد الاله ورئيس الوزراء نوري السعيد وغيرهم ، عين العقيد المهداوي آمراً للواء الاول . وقد اشتهر عنه انه لم يقم بدور يذكر في ثورة جماعة «الضباط الاحرار» بل شارك في جني الثمار من اهون سبيل بفضل صلة القربى بينه وبين زعيم الثورة اللواء عبد الكريم قاسم : وانه كان في فراشه لما زحفت القوات الثائرة ...

ولم يلبث المهداوي ان عين رئيساً لمحكمة الشعب المعروفة رسمياً بأسم «المحكمة العسكرية العليا الخاصة» فتسلم زمام منصب قد يكون اهم منصب اطلاقاً بعد منصب القائد العام .

والحق يقال ان المهداوي قبض على هذا الزمام بكلتا يديه واقبل على المحاكمات بملء قلبه وجماع قوته وكل حقده وألم حرمانه ، فسلق المتهمين الواقفين امامه سلقاً بلسانه الطويل ولهجته القاسية وسخريته اللاذعة ، وكاد يقتلهم بتسلطه وتكبره وغروره .

ولقد تسلح المهداوي في كل ذلك بلسان قد يكون اطول لسان عرفه التاريخ ، وبشخصية طاغية عنيفة لم تجد امامها مايحبسها واستصغرت كل من وقف امامها في قفص الاتهام ، حتى كادت تضع نفسها في مصاف الآلهة .

واستمد رئيس محكمة الشعب قوته من عاملين : الاول تحرك كل العناصر المكبوتة التي اطلقتها ثورة العراق ، وعلى رأسها الشيوعيون واليساريون عامة والمحرومون والملسوعون بالعهد الماضي ، وانطلاقها ضد كل من كان يمسك بزمام السلطة في العهد الملكي . والثاني سذاجة الجماهير العراقية وسرعة اندفاعها ، وراء الحركات العنيفة باسم الحرية حيناً والاستقلال والسيادة احياناً . يضاف الى ذلك كل ما تركته اخطاء العهد الماضي وتقصيره في اصلاح القرية العراقية والفلاحين ، وفي معالجة مشكلة الاقطاع ، من اسى والم حرمان في نفوس العراقيين . وقد زرت العراق قبل خمس سنين ودرست احواله وشؤون اهليه فاذا الحزن هو الطابع الغالب على العراقي في مجتمعه ، في مدنه وقراه ، في شعره وادبه ، في اغانيه وموسيقاه .

كل هذا اتكل عليه المهداوي واستغله في السيطرة والظهور ، ضارباً على الاوتار الحساسة في الجماهير ، واستطاع ان يسوق كثيرين في طريقه وفي اتجاهه وطراز تفكيره . وقد زاده قوة وصلفاً انه لم يجد من السلطة العليا ضابطاً او رادعاً ، وان حملاته وآراءه ونظراته السياسية التي نادى بها اثناء المحاكمات انسجمت في غالب الاحيان مع السياسة العليا او مهّدت لها السبيل وعرّضت الطريق امام اعلانها على الملأ او ايصالها الى اعماق النفوس .

ولقد اعلن زعيم الثورة اللواء عبد الكريم قاسم ، لمّا سئل عن الحملات الشعواء التي لا يكف المهداوي ومحكمته عن شنها على المسؤولين في الجمهورية العربية المتحدة مع ان قاسماً اكد انه لن يردّ على حملات القاهرة وانه يدعو الى وقف الحملات البغدادية عليها ، قال : « انها المحكمة العسكرية العليا الخاصة هيئة قائمة بذاتها ، ولها حريتها المطلقة في القول والتعبير ، على غرار الصحف والمجلات » وان في هذا القول لاطلاقاً تاماً لحرية المهداوي في القول والحكم وتقرير المصير . . . واذا كان اللواء قاسم قد اراد بذلك ان يشير الى نوع من انواع الحرية التي اباحها ، فالواقع بعيد كل البعد عن ذلك . ففي الامر محكمة تستطيع ان تتحكم برقاب المواطنين وفي المسألة عنوان لعدالة جمهورية العراق كلها لا مجرد صحيفة او مجلة تنشر افكاراً وتدلي بآراء . . .

« محكمة الشعب »

شكلت المحكمة العسكرية العليـا الخاصة (محكمة الشعب) بقانون اصدره مجلس السيادة ، وهو سابع القوانين التي سنت بعد الثورة . وقد عين لهـا اختصاصها فاذا هو واسع المدى يكاد يشمل كل نوع من انواع التآمر على سلامـة الوطن ، او استعمال قوى البلاد المسلحة او التهديد باستعمالها ضد بلاد عربيـة اخرى ، او تحريض الدول الاجنبية على التعرض لسلامتها او التآمر لقلب نظام الحكم فيهـا او التدخل بشؤونها الداخلية ضد مصلحتها او صرف الاموال للتآمر عليها .

وانما اريد بهذا النص ان تصل يد المحكمة الى اولئك الحـكام العراقيين السابقين الذين اشتركوا برسم وتنفيذ الخطط لقلب نظام الحكم في سوريا وتحقيق اتحاد عراقي سوري ، وهي الخطط التي كشفت عن بعض جوانبها محاكمات دمشق برئاسة اللواء عفيف البزري ، ثم تولت « محكمة الشعب » في بغداد مهمة الكشف عن الجوانب الباقية منها .

ومن اختصاص المحكمة كذلك ملاحقة كل متهم بافساد نظام الحكم في العراق ، من اكبر وزير الى اصغر موظف ، او تعطيل الحريات الاساسية او تقييـدها . وكان الغرض من هذا النص محاكمة كل مسؤول او موظف من العهد الماضي يظن به . وبذلك فتح الباب واسعاً لحركة « تنظيف » شاملة في البلاد ، تتيح الفرص اللازمة لتكييف الادارة العامة حسب نظرات الحكام الجدد وآرائهم واسلوبهم في الحـكم .

وقد شكلت هيئة محكمة الشعب من العقيد الركن فاضـل عباس المهداوي

رئيساً ، والمقدم عبد الهادي الراوي والمقدم فتاح الشالي والمقدم شاكر محمود السلام والرئيس الاول ابراهيم عباس السلامي اعضاء ، والرئيس الاول كامل الشماع عضواً احتياطياً .

اما هيئة الادعاء العام ، وهي قاعدة اساسية في المحكمة اذ انها هي التي تحرك الدعوى وتوجه الاتهام وتشارك بمناقشة المتهمين والشهود اقوالهم ، فقد شكلت من العقيد الركن ماجد محمد امين والحاكم السيد غازي عبد الهادي ونائب المدعي العام السيد عبد المجيد سلام .

ولكن رغم كل هؤلاء الاعضاء والوظائف والالقاب ، يمكن القول ان المحكمة العسكرية العليا الخاصة قامت على قطبين دون سواهما هما العقيد فاضل المهداوي والعقيد ماجد امين . فقد اثبتا انهما لولب الحركة في المحكمة ، وان الآخرين مجرد حضور او تكملة عدد . وأنّى لهم ان يكونوا غير هذا والعقيد المهداوي وحده بعشرة ألسنة وعشرة ارواح ! وانّى لهم ان يتحركوا اوينبسوا بكلمة او ملاحظة وهم يرون الرئيس والمدعي العام يتباريان في الخطابة كأنهما في سوق عكاظ ، ويتنافسان في القول والردّ او السؤال والمناقشة كأنهما فرسا رهان لا يكبح لهما جماح ...

بل ان المهداوي هو الاشدّ تحمساً والاكثر تهوساً . انه يريد ان يمثل دور الرئيس كله ، دور السيد المطلق ، السيد المعصوم ، لا يزل ولا يخطىء ، السيد الوحيد الاوحد في محكمته مثل الزعيم الوحيد الاوحد عبد الكريم قاسم في جمهوريته .. فاذا ما حاول ماجد امين انيبدي ملاحظة او يطرح سؤالاً ، سرعان ما يبادره المهداوي بتفسير او تصحيح يقاطعه به ويكمل حبل افكاره كأنه عالم بما في ضميره .. او شاء ماجد امين ان يطيل الشرح والايضاح ، يعاجله المهداوي بمعترضة وينتزع زمام الكلام منه ، وينطلق فجأة في محاضرة او رواية او في انشاد بعض الابيات فلا يبقى في القاعةالا صوته ولا يسود المستمعين الا شخصه ... كيف لا وهو الرئيس والحاكم بأمره والمشير بشوره ! وكيف يجوز لغيره أن ينحو نحوه ويسمع في حضرته صوته ؟

ولقد طالما سكت ماجد امين على مضض ، وصبر على زغل ، وقطـع حبل المرافعة او سكت عن ابداء ملاحظة لئلا يغضب الرئيس او يثيره ... فالمهداوي سريع الغضب ، معلق لسانه بشعرة معاوية ،فـإن قطعها الغضب افلت اللسان والويل من هذا اللسان ! ولسوف نرى في وصف بعض المحاكات بعد حين ما يشيب له الولدان من قسوته وتسلطه وزخم سبابه ...

والعقيد ماجد امين في السابعة والثلاثين من العمر تخرج ضابطاً سنة ١٩٤١ في صف الهندسة ، واجيز في الحقوق سنة ١٩٥٣ . متزوج وهو الآخر مكثار اذ ان له ستة اطفال وزواجه لا يزال في بدايته . وهو الآخر ، كالمهداوي، مغرم بالمطالعة . ومن المناصب التي شغلهـا ضابط ركن الحركات في مديرية الهندسة والاشغال،وقد كان في هذا المنصب لما نشبت الثورة .

وليس في اعضاء المحكمة الآخرين ما يقتضي الاشارة اليه سوى ان المقـدم شاكر محمود السلام في الاربعين من عمره ومجاز في الحقوق وقـد مارس المحاماة حيناً ، وانه شغل منصب معاون مشاور عدلي في الجيش ، ثم معلم قوانين في كلية الضباط الاحتياطيين ، وان الرئيس الاول ابراهيم اللامي شغل منصب معلم اقدم في مدرسة المشاة ، وانه رياضي مولع بكرة المضرب وكرة القدم والسباحة وله إلمام بالموسيقى ، مثل زميله الرياضي الرئيس الاول كامل الشماع .

وهناك الهيئة الاستشارية المتصلة اعمالهـا بالمحكمة وقوامها حسين محيي الدين نائب رئيس محكمة استئناف بغداد ، وعبد الامير العكيلي نائب المدعي العـام والرئيس الاول الركن عبد الستار عبد اللطيف .

وتليها هيئة التحقيق الخاصة وهي اساسية في امر المحاكات لانها مخولة سلطة القبض على اي شخص ترى من الضروري التحقيق معه وتوقيفه ما طاب لهـا ذلك ، وطلب اي مستند والتوصية بالافـراج عن الموقوف او اطلاق سراحه بكفالة . وقوام هيئة التحقيق الخاصة الاولى العقيد محمود عبد الرزاق رئيسـاً والمقدم داود سلمان الغلاي والمقدم عبد الوهاب المدرس ، والرئيس عبد الحميد الشكري ، والحاكم حافظ خالد ، والحاكم صادق حيدر ، والحاكم شامل رشيد

الشيخلي ، والحاكم طالب النائب ، اعضاء .

امّا هيئة التحقيق الخاصة الثانية فقد شكلت من العقيد الركن هاشم عبد الجبار رئيساً ، والمقدم حسين خضر الدوري والحاكم شهاب احمد الشبيب والعقيد حسن عبود ، اعضاء .

وللمحكمة كذلك هيئة تنسيق وسيطرة ، وكتاب ضبط ، وقلم خاص بها .

امّا مقر المحكمة فقاعة مجلس الامة السابق ، وهي قاعة فسيحة تتصدرها منصة هيئة المحكمة وامامها قفص اتهام بدأ في مطلع المحاكمات عادياً ثم امر المهداوي بتوسيعه فوسّع لما وقعت ثورة العقيد ابراهيم الشواف في الموصل واعتقل الضباط المشتركون بها ، وكانوا كثيرين .

وفي صدر القاعة خلف هيئة المحكمة لافتة كتب عليها « باسم الشعب » وتحتها ساعة مستديرة وستار يقع خلف الهيئة الحاكمة . وعلى كلا الجانبين علم العراق الملكي . وقد حلّ محلها منذ ١٤ تموز ١٩٥٩ علمان جمهوريان . والعلم الجمهوري الذي بدأ رفعه في العراق يوم الذكرى الاولى للثورة ، مشكل من مستطيلات ثلاثة : الاسود والابيض والاخضر يتوسطها رمز الجمهورية .

وعلى جانبي القاعة صفوف مقاعد مدرجة خصصت للمحامين وللنظارة . ولطالما ارتفعت من هذه المقاعد الصيحات والهتافات ، والقيت منها الخطب المرتجلة او انشدت القصائد .. حتى صارت منابر لطراز غريب من سياسة الشارع ولألوان عجيبة من الفوران والهياج .

مجرى المحاكمات

كان للتلفزيون دور كبير في اعطاء حياة لمحاكمات المهداوي ونشرها والدعوة لها . واستمد التلفزيون نفسه مادة غزيرة لبرامجه من هـذه المحاكمات ! ولنذكر هنا ان العراق كان اول بلد في الشرق الاوسط دخله التلفزيون ، بعـد اجهزة شركة النفط الاميركية العربية في المملكة السعودية . وكان ذلك حين اشترت حكومة العراق اجهزة تلفزيون اشتركت بها بريطانيا في احـد معارض بغـداد ابان العهد الملكي .

وقد شغلت اجهزة بث التلفزيون ركناً غير صغير في قاعة المحكمة ، ودرجت على اذاعة الجلسات برمتها حتى صارت ملازمة للمحكمة وجزءاً متمماً لهـا ، فاذا قاعة المحكمة تنتقل الى البيوت والملاهي والاسواق . وغالبـاً ما عقدت جلسات المحكمة في المسـاء كي يستطيع النظارة خارج القاعة ، متابعة وقائعها بعـد انتهاء اعمالهم .

ولكن انى لكل بيت في العراق ان يقتني جهـاز تلفزيون ... لذلك تولت الاذاعة العراقية نشر وقائع جلسات محكمة المهداوي على الاسماع حتى تعمّ وتصل الى من لا يستطيعون متابعتها بالانظار .

كل هذا الاهتمام بتعميم محاكمات الثورة في العراق وفي خارج العراق كذلك قد اعطى رئيس المحكمة وسيدها المطلق فاضل عباس المهداوي مزيداً من الصلف والكبرياء ، وألهب حماسته وجعله يشعر بأنه ديّان العراق الاول وقاضي البلاد كلها ومعلّمها وموجهها ورقيبها وحسيبها جميعاً .

وانك لتشعر بذلك من اللحظة الاولى التي يفتتح فيهـا المهداوي جلسة من

الجلسات حتى اللحظة التي يعلن فيها رفعها .

اسمه يصيح بصوته الجهوري اللاذع : «باسم الله وباسم الشعب افتتح الجلسة الاولى او العاشرة او الخمسين .. من جلسات المحكمة العسكرية العليا الخاصة» تشعر بانه قادر خطر شأنه وعظم مهمته، مبالغ في تضخيم دوره وتصغير خصمه - وكل من مثل في قفص الاتهام خصم لدود - لا فرق عنده بين متهم ومحكوم ، بل لا فرق عنده بين المتهم والشاهد ، ينتهر هذا ويسب ذاك ، يكيل النصح ويوزع الآراء ، ويحكم على الامور احكاماً مبرمة... فهو وحده الفهيم وغيره بهيم ! هو وحده المرجع والحجة والرأي السديد ... دائرة معارف سيارة، فلتة زمان، اله من الهة المعرفة قد منّ الله به على وادي الرافدين واهله !

يدخل المهداوي قاعة المحكمة عادة ، وخلفه الاعضاء ، كأنه بطل من ابطال الاساطير ، وسط التصفيق الحاد المنتظم ، ويتربع على عرشه في رئاسة المحكمة ثم يسند ظهره الى مقعده في حركة تنضح بالترفع والشموخ ويمضي في ادارة الجلسة .

يستدعي المهداوي المتهم ويعاجله بالاسئلة ويحاوره وينتهره تارة ويصرخ به طوراً فيكسر من شوكته ويخضعه لسلطانه ويمعن في اذلاله حتى يستكين له وتلين قناته ثم يلهو به ما طاب ان يلهو .انها لعبة دائمة من لعب القط والفأر ...تراه يحكم على المتهم قبل ان يبدأ محاكمته.يكيل له النعوت ويوزع الالقاب : متآمر ، خائن ، غراب البين !

فاذا ما حاول المتهم ان يتلفظ بكلمة يصرخ فيه مقاطعاً ، بملء حنجرته ، ثم ينثني يلقي عليه محاضرة ، او يتخذه ذريعة للهجوم على الدول والحكومات وإداناتها هكذا قدرة واعتباطاً ! فحق الدول قد مرّ معظمها تحت يد المهداوي فوزنها كلها وعرف اقدارها واصدر احكامه المبرمة عليها : هذه استعمارية وهذه فاشستية وتلك ماسونية ! اما الاخرى فصديقة مسالمة ديموقراطية عظيمة .

اجل قد بلغ الغرور بفاضل المهداوي ، خلف قوس محكمته ، حداً جعله ينتحل صفة قاضي الامم ويدعي حق مقاضاة البشر اجمعين ... فاذا تجرأ المتهم وردّ ملاحظات المهداوي او صحح بعض معلوماته جن جنونه فافلت لسانه

يعنفه ويسبه كما لو كان في الشارع وبلهجة اين منها لهجة الشارع .ومتى انفثأ غضبه وشفي غليله فقد ينفحه ببيتي شعر من قريضه او من محفوظاته .

اما النظارة فقلما تمضي عبارة من عبارات المهداوي دون ان يصفقوا لها . وحتم عليهم كلما ذكر اسم عبد الكريم قاسم او الجمهورية او ثورة ١٤ تموز ان يصفقوا ، ويطيلوا التصفيق ، وينظموه .

والتصفيق المنتظم بدعة في عراق الثورة . انه طراز جديد من التصفيق الجماعي يشبه الضرب الايقاعي ، وقد انتشر زيه ايما انتشار . ولكن لهذا الطراز طابعاً يكاد يختص به اهل اليسار ، اولئك الذين تولوا الامور في الشارع زمناً غير قصير في البلاد ، قبل ان يعترضهم اللواء قاسم ويحد من اندفاعهم وغلوائهم .

الا ان ما لم يسبق له مثيل في محاكمات البشر طراً ، ان يشارك النظارة هيئة المحكمة بالتوجيه ، وان يتطاولوا على المتهم ويهينوه ويدينوه قبل ان يصدر الحكم عليه . فقد درجت « محكمة الشعب » كي يبدو انها منسجمة مع اسمها ، على ان تبيح للنظارة ابداء آرائهم اثناء المحاكمة ، والقاء الخطب والبيانات ، وانشاد القصائد البلدية ، والجأر بالهتافات واسقاط زيد وتعييش عمرو ، وقول كل ما يخطر بالبال او يتبادر الى اللسان .

تكون المحاكمة جارية : المهداوي يتكلم او المتهم يدافع او الشاهد يروي واقعة ، وفجأة يقطع المجرى صوت اجش ، في قصيدة بلدية من تأليف احد النظارة وتلحينه قد تستمر ربع ساعة ... او فجأة تنطلق صيحة امرأة من صفوف النظارة تنادي بالموت للخائن ، والرجل لما تثبت خيانته ، بالاقل امام هذه المحكمة . او يشق الصفوف فتى متحمس يصرخ مطالباً باعدام الخونة المارقين ، « والخونة المارقون » لما تفصل قضيتهم ولا بتّ بأمرهم .

لقد حاول المهداوي ان يظهر هيئة النظارة في محكمته بمظهر المحلّفين وان لم يحلّفهم احد ! واعطاهم صفة مساعدين للمحكمة ، متخطياً ابسط اصول المحاكمات المصطلح عليها بين الامم . ولطالما تأثر المهداوي بتأثرهم ، واهتاج بهياجهم فاندفعوا جميعاً يضيقون الخناق على الواقف في قفص الاتهام ، اياً تكن تهمته ،

حتى ينهار آخر عصب في جهازه ويشعر بتبدد آخر ذرة من كرامته .

يقول المهداوي ويؤكد كلما وجد الفرصة سانحة لذلك : « ان حق الدفاع مقدس ... وقد اعطينا المتهمين هذا الحق كاملاً فيستطيعون ان يدافعوا عن انفسهم ما طاب لهم الدفاع . » ولكن كيف يعطى حق الدفاع هذا وكيف تتاح للمتهمين فرصة ممارسته ؟

الحق انك اذا حضرت جلسة وسمعت الاهانة يوجهها رئيس المحكمة الى المتهم، ورأيته ينظر اليه نظرات يتطاير منها شرر الغضب وحب الانتقام ، ثم شهدت فصلاً او فصلين من فصول «المحلفين» المتبرعين من النظارة ، ايقنت ان حق الدفاع الذي يعطى للمتهم ليس الا كجرعة الماء تعطى للمحكوم بالاعدام ساعة التنفيذ.

اجل يكفي ان تشهد مجرى المحاكمة حتى توقن ان الادانة محققة وان الدفاع مجرد عبث ومجرد شكل لا طائل تحتها . بل انك تجد الدفاع مضحكاً لمجرد الادلاء به بعدما اعمل المهداوي ونظارته في المتهم وشخصه ونفسه وكل قضيته سحقاً وتحطيماً .

والطامة الكبرى بعد الدفاع . فمتى انتهى المتهم من دفاعه هناك البكاء وصريف الاسنان . فليس احب على المهداوي من مناقشة المتهمين دفاعهم . انه حينئذ يبرع احسن ما يبرع في لعبة القط و الفأر... ينقض كالنمر الهائج على المتهم يفند اقواله ولكن تفنيد سخرية واهانة ، طعن وتجريح ، سحق وتمزيق .

لقد كان هذا شأن فاضل عباس المهداوي في كل القضايا التي مرت به . لا يعرف الرحمة بالمتهم . يضع نفسه موضع الخصم بدل الحاكم . يتفنن في تعذيب ضحيته ، حتى بلغ به الامر حد تعذيب متهم اعمى والهزء به والتشفي منه . ولسوف ترى من ذلك في الفصول الآتية ما تفغر له الافواه عجباً .

لقد استبد بالمهداوي منصبه وتحكم به حب انتقامه وسوء تفسير مهمته ، وطغى الغرور على كل كيانه ، فلو لم يجد من يتهمه لاتهم نفسه ، ولو لم يجد من يدينه لأدان شخصه .

السياسة في المحكمة

قد لا يكون في كل محكمة الشعب وكل القضايا التي عرضت عليها الا السياسة. وحتى قضية المتهمين بأن لهم ضلعاً في ثورة الموصل بزعامة العقيد ابراهيم الشواف، مع ما فيها من وقائع عسكرية تثبت التمرد العسكري على السلطة، كانت السياسة هي الطابع الغالب فيها.

لقد جعل المهداوي من المحكمة العسكرية العليا الخاصة منبراً سياسياً تعلن منه سياسة العراق الخارجية ويترجم عن شعور حاكم الثورة ودرجة حرارة عواطفه نحو هذه الدولة او تلك او نحو هذه الكتلة الدولية او تلك. ولطالما تبادر الى الاذهان في هذا الصدد، سؤال وجيه: ترى ماذا تفعل وزارة الخارجية العراقية، وهل المهداوي هو وزيرها ومديرها ام ان لها وزيراً ومديرين مختصين؟

اعتاد المهداوي من قوس محكمته ان يسمع العالم صوت حكومة العراق وشعورها نحو الدول. وكثيراً ما انتحل صفة الزعامة في الحديث عن سياسة العراق الثائر، وان سارع الى كيل المديح للواء قاسم كي يستر تطاوله عليه واقامة نفسه شريكاً للزعيم الاوحد. وتكاد لا تخلو جلسة من تعريض بدولة او طائفة من الدول، او من مديح لدولة او دول غيرها.

وقد انصبّ المهداوي، منذ مطلع عهده، على مهاجمة الدول الغربية دون هوادة. والهجوم على الغرب في بلدان الشرق الاوسط امر يجتذب الجمهور ويلهب حماسته. وسبب ذلك هو الصراع الطويل مع الدول الاستعمارية، الذي طالما حركته وألهبته منافسات الدول الغربية في ما بينها على هذه المنطقة. ولقد ذهب وانقضى كثير من تلك الاساليب في الحقيقة والمظهر معاً، ولكن اثارة

الحقد على الدول الغربية بقيت من اسهل الأمور، وبالأخص لأن المنافسات الغربية الداخلية قد ازدادت وحمي وطيسها . لذلك الهبت حملات المهداوي على الدول الغربية حماسات كثيرة وزادت من ضغائن الجماهير عليها ، مع ان البيان الاول لثورة الرابع عشر من تموز اعلن ان جميع دول العالم اصدقاء دون تمييز بين شرق وغرب .

وقد دأب المهداوي في الوقت ذاته على كسب مودة الدول الشيوعية وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي ، فراح يشيد بذكر انظمتها ، ويمجد ديموقراطيتها ومسالمتها ، وينادي بصداقتها للعراق والعرب اجمعين .

ثابر المهداوي على ذلك في جلسات عديدة . والحقيقة ، انه لم يخرج في هذا الاتجاه عن السياسة الاساسية التي نادى بها اللواء قاسم علناً في عدد من خطبه واحاديثه . فقد اعلن قاسم : « اننا اصدقاء للدول الشيوعية ، وسنعمل لتوثيق الاواصر وتوسيع نطاق التعاون معها . »

ويكفي للدلالة على طراز تودد المهداوي لدول الكتلة الشرقية قوله في جلسة الثلاثين من نيسان ١٩٥٩ ، بمناسبة عيد العمال :

« لقد انحرفت حكومات عمالية عديدة ، ومنها حكومة العمال البريطانية ، عن اهداف اول ايار وواجباتها نحو العامل حتى ظهور الحزب الشيوعي وظهور الاتحاد السوفياتي العظيم ، صديق الشعوب المحبة للسلام ، وصديق جمهوريتنا الديموقراطية الصدوق ، الذي تتعامل معه جمهوريتنا تعامل النّد للنّد ، على قدم المساواة ، شأنها مع جميع دول العالم التي تنشد صداقتنا . »

قام المهداوي بهذا التعظيم للاتحاد السوفياتي لا لأنه شيوعي ، فليس هو بالشيوعي كما اثبتت الحوادث وان يكن موالياً لهم اكثر من عبد الكريم قاسم ، بل سيراً على سياسة مغازلة الاتحاد السوفياتي وسائر دول الكتلة الشيوعية . فقد قطعت هذه السياسة في معظم السنة الاولى من عمر ثورة العراق شوطاً طويلاً بلغ حد تحكيم الشيوعيين برقاب الناس وفتح السبل امامهم للتغلغل في مختلف مرافق البلاد ، من صحافة واذاعة وتعليم واقتصاد وادارة وقوى امن ، والسماح

لهم بانشاء قوة مسلحة هي «المقاومة الشعبية»... الى ان استدرك قاسم الامر لما اعتبره قد تجاوز حده ولم يعط كل ثمراته ، واخذ يسحب من الشيوعيين سلطانهم ونفوذهم خطوة فخطوة ، ويحد من اندفاعهم ويسلط الجيش عليهم ، حتى يبقى هو سيد العراق والقابض على الزمام وموزع مقادير النفوذ فيه .

على ان المهداوي اجتذب بهذه السياسة ، في ايّ حـال ، جمهوراً محلياً لا يستهان به راح يطالب بتنفيذ احكام محكمتـه التي ابقاها اللواء قاسم معلقة الى حين . وحرص المهداوي هو الآخر على الاحتفاظ بصداقة الشيوعيين ما أمكنه ذلك. وقد سمعناه مراراً ينفي وجود منازعات بين السلطة والشيوعيين في العراق، طوال حزيران ونصف تموز ١٩٥٩ ، فيما كانت السلطـة تعتقل بعض الشيوعيين المتطرفين وتسوق الجيش لقمع حركاتهم ، وتندد «بجبهتهم الوطنية» وتقصيهم عن المشاركة بالحكم مشاركة كافية ، وان تركت الابواب مفتوحة لكل احتمال ...

حرص المهداوي على صداقة الشيوعيين ودافع عنهم وعن سمعتهم وتعمـد استرضاءهم فضاعف حملاته على الغربيين ودولهم ، ولم ينج من حملاته حتى زوجات العراقيين الاجنبيات ومعظمهن بريطانيات .

ولهؤلاء الزوجات قصة اي قصة . فقد هاجمهن العقيد المهداوي مرات، وندد بالعراقيين المتزوجين بامثالهن ، وخرج من ذلـك الى امر خطير هو الخوض في شؤون الناس الخاصة واسداء النصح في مَن مِن النساء اجمل واحسن ، ومن منهن اصلح للزواج بل من منهن اشهى والذ !

كان ذلك بمناسبة محاكمة الملازم كامل اسماعيل المتهم بالاشتراك في ثورة الموصل والمتزوج ببريطانية . فقد حمل المهداوي بلا رحمة على زوجة كامل اسماعيل واتهمها بالخيانة والعمل لدولة اجنبية

وقام كامل، وهو في قفص الاتهام ، يرد تهم المهداوي صائحاً : « انا المتهم فما دخل زوجتي في الامر ؟ »

ولكن المهداوي اخرسه بصرخة : اسكت ! جبان ، خائن ، جاسوس !

وكان المهداوي قد اهتـاج الى الحد الاقصى ، فخرج عن طوره وراح يهاجم

زوجة كل عراقي من غير العراقيات ، ويحط من قدرهـا وينعتها باشد النعوت . قال ان زوجة الملازم اسماعيل ساعدته في اطـلاق الرصاص إبان ثورة الموصل ، رغم ان الزوج نفى ذلك بكل شدة . وقال «ان المرأة الاجنبيـة ولو بقيت عشرات السنين في العراق لا تتخلى عن اصلهـا ولا تنسى بلدها بل تظل تعمل له ولو كان ذلك ضد مصلحة العراق ... انها تربي اولاد العراقيين على هواها وعلى طريقة بلادها فلا يكون لهم من العراق الا الاسم . »

وعرض المهـداوي حتى بسلوك الزوجـات الاجنبيات ، الامر الذي اثار ضجة كبيرة .

فلما اكتفى انثنى يغتنم الفرصة للثنـاء على المرأة العراقية . وشط به اللسان فراح يتغزل بها تغزل المشتاق الملتاع ، مـع ان المهداوي متزوج وله من الاولاد سبعـة .

وقد بلغت الضجـة اسماع اللواء قاسم نفسه فاستاء من تعرض المهداوي هذا التعرض لبيوت المواطنين وحرمـاتهم واعراضهم ، وتلقى عرائض احتجاج واستنكار ، بقدر ما يسمح به عهد المهداوي من احتجـاج واستنكار ، فأمر بتدارك الامر .

وهكذا كان . ففي الجلسة التي عقدتها المحكمة العليا الخاصة ، اثناء نظر قضية الضباط التسعة المتهمين بالتمرد في الموصل مع الشواف ، شغل البحث بالموضوع اكثر من ساعة ، واعلن المهداوي اعتذاره للزوجات الاجنبيات ، محتجاً بأن ملاحظاته قد اسيء فهمها ! وراح يكيل لهؤلاء الزوجات المديح والثناء واعلن السماح لاثنتين منهن بالتكلم امام المحكمة .

وتكلمت في الجلسة بربارة القاضي ، وهي بريطانية . قالت ان الزوجات الاجنبيات مستاءات من التهجم عليهن ، على انها اكدت ولاءهن لوطنهن الجديد العراق ، وتأييد الزوجات الاجنبيات لحـكم اللواء قاسم وتقديرهن مساعيه في سبيل رفع شأن العراق ومستوى حياة ابنائه . وتكلمت بعدها زميلة لهـا واعلنت بالمناسبـة تأييدها لمؤتمر « انصار السلم » في استوكهولم وهتفت بالعربية

بحياة قاسم » والجمهورية الهالدة ! » (الخالدة) .

كان تأييد اي مؤتمر شيوعي في العراق يومذاك امراً تتبارى فيه الجماعات كلما ارادت كسب مرضاة الحاكمين . وقد شهدت محكمة المهداوي فصولاً عديدة من هذه المباريات والمنافسات . وكان للمهداوي يد طويلة في هذا التوجيه ، حتى صارت له مكانة خاصة في بلاد الشيوعيين وشأن خاص في انديتهم .

لقد عرف عن الشيوعي ، كل شيوعي ، ان عنوانه تهديم كل ما هو اميركي وديدنه التحامل على اميركا . ولم يجد الشيوعيون كالمهداوي متطوعاً للضرب على اميركا والاميركيين ، والتنديد بسياستهم والحط من قدرهم في نفوس المستمعين .. . حتى الاموات لم ينجوا من لسان المهداوي ففي جلسة ٢٧ ايار ١٩٥٩ ، اثناء محاكمة العقيد خليل سلمان ورفاقه في قضية ثورة الموصل ، راح المهداوي يتفنن في السخرية بوزير الخارجية الاميركية جون فوستر داليس ولما يمض على وفاته الا ايام قليلة ، ويتعاون وماجد امين في الحمل على الوزير الميت والهزء به اذ يسميه تارة « فقيد الاستعمار » وتارة اخرى « فطيس الاستعمار والشركات والاحتكارات ، ودنس او فطس او جرس الاستعمار ! » . . .

وراحت جوقة النظارة في المحكمة تضج بالضحك والتصفيق . وارتفعت هتافات المتحمسين من الشيوعيين تتابع الحملة . وهل احب على قلوب الشيوعيين ، وهل ألذ عندهم من نصف ساعة يقضونها في مباراة على شتم الاميركان ؟

من هنا كانت للمهداوي مكانة خاصة عند جمهور الشيوعيين في العراق ، امتد العهد بها الى ما بعد فتور العلاقات بين حكام العراق والحزب الشيوعي ، بل الى ما بعد نشوب ازمة شديدة بينهم . فقد كانت حوادث كركوك التي اشتبك فيها الشيوعيون بخصومهم وبقوى الجيش معاً ، اشتباكات دامية في تموز ١٩٥٩ سقط فيها عشرات القتلى ومئات الجرحى ، على اشدها لما خص المهداوي مراسل صحيفة « ازفستيا » السوفياتية بحديث طويل عريض عن التعاون مع الدول المحبة للسلام وعن المصالح المشتركة والعلاقات الودية بين الشعبين . وكانت دماء

الضحايا طرية لما تجف من شوارع كركوك وبغداد ومن دروب الجرّ والسحل والتنكيل ، حين تقبّل فاضل المهداوي بعض الهدايا من مراسل ازفستيا عينه رمزاً للصداقة بين الشعبين ، وحين تحدثنا عن مبادلة بعض ثلج روسيا ببعض شمس العراق !

طريق الظهور

كانت طريق الظهور امام المهداوي ومحكمته في العراق سهلة ممهدة : اعطاه اللواء قاسم ، واللواء هو حقاً زعيم البلاد الاوحد وقائدها الفرد ، سلطة مطلقة في المحاكمة واصدار الاحكام ، وان احتفظ هو بالسلطة العليا في تنفيذ الاحكام. وجعله قاسم مستقلاً في « محكمة شعبه » حتى انـــه قال يوماً حين سألوه عـــن حملات محكمة الشعب على الجمهورية العربية المتحدة والرئيس عبد الناصر ، مع انه هو نفسه نادى بوجوب الكف عن تبادل الحملات : « هذه محكمة لها شأنها الخاص في تصرفها مثلما الصحف حرة في التصرف » .

ووضع قاسم في خدمة المهداوي كل اسباب النشر والاذاعـــة حتى صارت جلسات المحكمة جزءاً من حياة الناس اليومية في العراق ، ومنهجاً دائماً في مناهج الاذاعة والتلفزيون . ودافع عنه كلما قامت عليه اعتراضات بقدر مـــا اتيحت للناس فرص الاعتراض تحت حكم الثورة .

هكذا نزل المهداوي الى الميدان لا بلسانه وحنجرته وشديد مراسه فحسب ، بل كذلك بوسائل دولة كاملة سخرت له مع كل اسباب دعايتها ونشرها .

وتسلح المهداوي ، الى هذا ، باسلوب جذاب للجماهير هو الضرب على اوتار حاجاتهم والتحدث بلسانهم والقاء النكات البلدية والاستشهاد بالامثلة الدارجة ، وكيل السباب والشتائم ، واتيان حركات وابداء ملاحظات كلها تمثيل وتهريج . وهل اقدر على جمع الناس واجتذابهم من التهريج والتمثيل ؟

لقد استطاع المهداوي بكل تلك الوسائل والاساليب ، ان يخرج للنـــاس بهيئة فذة سمها ما شئت الا " محكمـــة " ، وتقوم على كل شيء الا العدالة . وقد

انتشر امرها وذاع صيتها لا في العراق فحسب بل كذلك في جميع البلاد العربية وتندر بها القاصي والداني حتى بلغت اخبارها وغرائبها معظم بلدان الغرب بعد الشرق .

وهناك عوامل اخرى ساعدت المهداوي على القيام بكل هذه الادوار دون كبير عناء منها الارهاب الذي يرافق كل ثورة من النوع الذي عرفه العراق واريقت فيه الدماء دون حساب . فقد لجم هذا الارهاب الأفواه وعطل جميع أسباب التفكير والتعبير وحطم الاقلام إلاّ الموالية المؤيدة .

ومن تلك العوامل كذلك سذاجة الجماهير العراقية ، ومردّ معظمها حداثة عهد هذه الجماهير بالمعرفة ، وما قاسته وتقاسيه من حرمان طويل ومن تخلف اقتصادي واجتماعي وثقافي . لقد عرفت بعض العهود المظلمة في اوروبا مثلاً محاكمات طغى فيها الغرض السياسي طغياناً اعمى وسحقت فيها العدالة تحت اقدام المستبدين ، ولكن قلما رأينا في التاريخ شعوباً اخذت وانخدعت بها او استكانت لها ، بل قلما رأينا حكاماً بلغ بهم الاستبداد حدّ تجاهل الرأي العام والاستهانة بمعرفته ودقيق ملاحظته واستصغار شأنه ، كما هي الحال في العراق .

والحق ان المهداوي بلغ في استهانته بأفهام الناس ومعرفتهم ، حدّ تسمية نفسه بالمثقف والمباهاة بذلك في كل مناسبة ... مثقف ويصيح بالمتهم : « حيوان ، بلا شرف ، نذل ، جبان ، غراب البين ! » مثقف ويتحدث عن زوجات الآخرين ويتعرض لهن في ملاحظاته واحاديثه اثناء المحاكمة ويرشدك الى من يحسن بك ان تختار من الزوجات ، ومن اجمل ومن اصلح : الشقراوات ام السمراوات ؟

مثقف وهو يصرخ في المحكمة صراخاً تكاد تتمزق من شدته الحناجر ، يسبّ ويشتم وينهر كأنه في الشارع ، وفي زحمة نزال وقراع ... مثقف ويدعي انه صحافي ، ، وهو لا يعرف من لغته حتى قواعدها ... مثقف وهو يتحدث في المحكمة عن شؤون بيته وشجونه ، عن زوجه واطفاله ، عن حاجاته وحاجاتهم ، عن متاعبه في اعالتهم دون ان يسأله احد عن شأنهم او يهمه امرهم .

مثقف ويتحدث في المحكمة ومن وراء قوسها ، وتحت شعار العدالة الطاهرة البتول ، عن علاقات جنسية شــاذة ، وصلات مشبوهة وما شا كل ذلك من موبقات ... او يقول لاحد الضباط المتهمين : بشرفك قل لي : ألم يكن مقرراً ان يأتي عبدالناصر الى الموصل لو نجحت ثورة الخائن الشواف ؟ فيجيبه الضابط : « لا اعرف يا سيدي » ، فيصيح به بسخرية : « ما تعرف ؟.. قليل الشرف ! أما كنت تعدّ له الكبّة في الموصل لاستقباله على العشاء ؟ .. انت رئيس اول ، يعني صاغ ، سامع بالصاغ صلاح سالم ؟ ارقص مثله ! لماذا لا ترقص ؟ انه كان يرقص على الاشجار مثل طرزان ... هنا ماكو اشجار ولكن قفص الاتهـام يقوم بالمرام ! هل نأتي لك بجبل ترقص عليه ؟ عروبة عثمانية كردية بكباشيـة خديوية فاروقية فخفخية ، من المحيط الى الخليج ! .

مثقف وهو ينتقي ألفاظه انتقاء رفيعاً مهذباً ... فيقول في حملة من حملاتـه العديدة على الدول : عملاء العم سام او حام ... او سخـــام او جردام ! او يكشف عن تمييزه بين الاديان فيقول في جلسة ٣٠ ايار ١٩٥٩ عن ركن حزب البعث السوري المعروف الاستاذ ميشال عفلق : « مسيحي ! ميشال ... وهل في الاسلام ميشال ؟ خائن ، عفلق العفالقة ! لقد ضبط احد الائمـة في الجيش وهو يوزع كتاب « الاشترا كي » لميشال عفلق . كأنه جزء عمَّ (الجزء الاول من القرآن الكريم) فهل هذا هو الدين الذي يدعيه بعض الائمة ؟ انهم افا كون ، طامعون ، ضالعون مع الاستعمار ! »

مثقف وهو يصيح بالضابط الرئيس نافـــع داود المتهم في قضيـــة ثورة الموصل : « حقير ، ســـافل ، بلا شرف » فيرد عليه الضابط بشموخ : كلا ! شرفي مصون . فيفلت لسان المهداوي صـائحاً : « تقول شرفك مصون ؟ لا شرف لك حتى شرف الجسم ! » تريد ان تتدخل بشؤون الادعاء العام وتذمّه ؟

واذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهـــادة لي بأني كامل

ويسترسل المهداوي صائحاً وعقيرته في تصاعد مستمر : « ان من لا يستحي يصنع ما يشاء . هؤلاء سيرتهم معلومة ، واخلاقهم معلومة ، وانحرافهم الجنسي

معروف لدى ابناء الشعب ! انني مضطر ان استعمل الشدة مع المتهمين لكي لا يتشجع امثال هذا المتهم القـــذر المنحرف جنسياً ، كما وصلتني المعلومات عن ذلك ! »

وينطلق المهداوي ، بثقافته المشهودة عينها ، فيتحدث عن نفسه وثقافتـه فيقول : « انما انا انسان كامل ، يعرفني الناس مسالماً ، لا اميل الى اللفظ الشديد او الى تحقير الناس ، بل انني خارج المحكمة ، كما يعلم الجميع اتحاشى الاصطدام بالناس على اختلاف ميولهم واتجاهاتهم ، ولكنني ارى من واجبي ان اكون في المحكمة خادم الشعب والاسد الهصور ! »

هذه بعض ثقافات المهداوي التي تسلح بها في محاكماته وفاخر ، وهذه عناوينها في ملاحظاته وتعاليقه خير شاهد . ولسوف ترى منها المزيد في مجرى المحاكمات فتزداد عجباً . وكأني بالمهداوي قد وجد العراق تربة صالحة «لتعاليمه» او مسرحاً فسيحاً لادواره ، او ساحة ممهدة لجولاته ، لا رقيب عليـه ولا حسيب ، فراح يجول ويصول على هواه ، ويقول كل ما يخطر بباله ، لا يخشى نقداً ولا ملامة ، كأنه صبي مدلّل يدخـل البيت فيأمر وينهى ، ويرمي ويحطم دون ان ينظر الى ما يتركه خلفه او الى من يصيبه برذاذ عنته ودلاله .

اسمعه يقول عن سلطانه المطلق واستقلال محكمته : ان محكمتنا هي لخدمة الحقيقة والتاريخ . لا سلطان لأحد علينا مطلقاً ، لا في الداخل ولا في الخارج . ولسنا نريد عن خدماتنا جزاء ولا شكوراً .

وهكذا اعفى المهداوي البشر من واجب الشكر وعرفان الجميل ! يرضى بأن يحاكم الناس ويقاضي الجماعات ويصدر الاحكام عليهم هكذا مجاناً ، دون اجر ولا شكر ... فهل من تواضع مثل هذا التواضع ؟ وهل من قناعة تفوق قناعة فاضل عباس المهداوي ؟

امّا بعد فقد بلغ من تحمس المهداوي في محاكماته ، وانسجامه في الدور الذي تولاه من ادوار حكم الثورة ، ان دلت تصرفاته على تلبّسه هذا الدور تلبساً

تاماً ، حتى كاد هو نفسه يصدق رواياته . فقد سمعناه يتحدث حديث جدّ عن خلود محكمته وعن انها انما تكتب صفحات للتاريخ وتسجل وقائـــع للاجيال الصاعدة ! وسمعناه يتحدث عن مدرسة شعبية تنبثق من هذه المحكمة بما تقدمه الى الشعب من ارشاد ووصايا وتعاليم ، وما تتركه لهم من ذخر وتراث ثمين !

الرؤوس الكبيرة

بدأت المحكمة العسكرية العليا جلساتها صباح السادس عشر من آب ١٩٥٨ ، بقضية كبيرة هي قضية التآمر على سورية لقلب نظام الحكم فيها تمهيداً لتوحيدها مع العراق ، والمتهم الاول فيها امير اللواء الركن غازي الداغستاني . وتكاد تكون هذه القضية اهم قضية عرضت على المحكمة في كل ادوارها . ولعلها لم تنتخب بين القضايا الاخرى لبدء محاكمة العهد المقلوب في العراق ، الا لأن الباب فيها عريض لاشراك اكبر الرؤوس بها وجرهم الى قفص الاتهام .

والرؤوس الكبيرة هي أهمّ ما اهتم العقيد المهداوي بأن يبدأ به في محكمته كي ينزل الى الميدان بطبل وزمر . اراد ان يلفت كل الانظار اليه . اراد ان يلقي الرعب في القلوب متى رأى الناس ان اكبر ساسة العراق وقادته يساقون الى محكمته اذلاء مكبلين بالاغلال .

وقد كان للمهداوي ما اراد وسيق الى المحكمة العسكرية العليا الخاصة قادة الجيش ورؤساء الوزارات والوزراء ... وحق الركن الكبير من اركان ثورة ١٤ تموز ، العقيد الركن عبد السلام عارف سيق الى قفص الاتهام امام المهداوي كما يساق المجرمون لمّا ساءت العلاقات بين الجمهورية العراقية والجمهورية العربية المتحدة التي يحسب عارف من انصارها الصادقين .

بدأت المحاكمات والثورة العراقية ، بعدُ ، على وفاق مع الجمهورية العربية المتحدة ، فاذا القضية الاولى ، قضية التآمر على سورية ، دفاع عن الاقليم السوري من هذه الجمهورية المتحدة وانتصار له ، واذا هي تكملة لقضية من الطراز ذاته شهدتها دمشق وتولت محكمة سورية خاصة فيها ، مقاضاة الجانب السوري من المتهمين .

وتوالت القضايا فإذا بها كلها متفرعة من القضية الاولى او متصلة بها ، واذا بها كلها توجه للدفاع عن الجمهورية العربية المتحدة ومحاكمة المسؤولين عن الاساءة الى العلاقات بين العراق والجمهورية الشقيقة ... بل اذا بعض المتهمين فيها ، وقد حكم عليهم المهداوي بالسجن عشرات السنين، لم يلاحقوا ولا حوكموا إلا لبثهم دعاية مضادة للجمهورية العربية المتحدة ، ولتسخيرهم اسباب الدعاية والنشر في العراق لهذه الغاية .

.. الى ان ذر قرن الخلاف بين بغداد والقاهرة وتولى المهداوي شن حملة شعواء تناولت الجمهورية العربية المتحدة باقليميها ، فاذا به يأتي عشرة اضعاف ما اتاه اولئك الذين حاكمهم لتهجمهم على هذه الجمهورية المتحدة عينها . ولو انصف لوقف هو في قفص الاتهام وحاكم نفسه بنفسه .

ولا حاجة الى طويل شرح في امر التناقض الذي شهدته جدران «محكمة الشعب» في بغداد وعرفه نظارتها والمستمعون اليها .

بل يكفي ان نتذكر ان هذه المحكمة التي تولت في سلسلة من جلساتها الاولى الدفاع عن الجمهورية العربية المتحدة والاشادة بذكر اخوّتها وتشجيع التعاون والتضامن معها ، والتحدث طويلاً عن استقامة سيرها في طريق القومية العربية وعن حسن سياستها ، انقلبت عليها انقلاباً تاماً بعد حين وصارت كل مهمتها تجريحها والطعن فيها والحط من قدر زعمائها وقادتها ولصق كل تهمة بهم .

ولعل قضية المتهم العقيد الركن محسن محمد علي تفي بالمرام في هذا الباب . فقد سيق هذا الضابط العراقي الى محكمة المهداوي بتهمة شن الحملات على الرئيس عبد الناصر والجمهورية العربية المتحدة، حين كان مديراً للاذاعة والانباء في العهد الماضي . وقد وصف قرار التجريم في المحكمة العليا الخاصة التهمة بما يلي ، نصاً حرفياً :

« ثبت للمحكمة من اعتراف المتهم ومن شهادات الشهود ان المتهم قد حرر مسودات التعليقات التي كان يذيعها كاظم الحيدري (المذيع العراقي المشهور) من دار الاذاعة العراقية وفيها السب والشتم والاهانة لسيادة

جمال عبد الناصر ، وقد وصفه بالدكتاتور . واشارت تلك التعليقات الى افتراءات كثيرة واباطيل عديدة بخصوص كبت الحريات وزج الاحرار في السجون ، الى غير ذلك مما فيه الكثير من دواعي التباغض بين البلاد العربية . وحيث انه مدير مسؤول ولا يشفع له انه موظف يطيع اوامر من فوقه ، اذ ان الموظف متى خرج عن اختصاصات وظيفته يصبح مسؤولاً عما يرتكبه ، وهو غير مجبر في الظروف الطبيعية على اطاعة اوامر تشكل ، بحد ذاتها ، جرائم قانونية ...

« وحيث ان اذاعة تلك التعليقات – يجعلها تتداول بين الدول والافراد فتكون بذلك قد انتشرت في اوسع مجال دولي معروف ... »

من اجل هذه الجرائم حكم المهداوي على المتهم الزعيم الركن محسن محمد علي بالسجن خمس عشرة سنة ... اي من اجل اهانة جمال عبد الناصر وبث التباغض بين البلاد العربية والاساءة الى علاقات العراق بهذه الاقطار الشقيقة .

فهل في البلاد العربية من يجهل اية حملة سب وشتم وتحقير تولاها المهداوي على الجمهورية العربية المتحدة وعلى رئيسها جمال عبدالناصر وباقي المسؤولين فيها ؟ وهل في البلاد العربية من يجهل ان ثلاثة ارباع ملاحظات العقيد المهداوي وساعده الايمن ماجد امين ، اثناء المحاكمات ، انقلبت حملات سب وطعن وتجريح من اعنف ما عرف ، على جمال عبدالناصر والجمهورية العربية المتحدة ، وان كل اسباب الدعاية في العراق باتت مسخّرة لهذه الغاية وحدها بعدما باعدت السياسة بين بغداد والقاهرة ؟

فاذا كانت العدالة حقاً عنوان المهداوي وجب عليه ان يدين نفسه ويدين رفيقه ماجد امين ، على مبدأ : « لا تنه عن خلق وتأتيَ مثله ... » او كان كل شيء نسبياً وأنصف المهداوي ، فحتمٌ عليه ان يحكم على نفسه بالسجن عشرة اضعاف ما حكم به على محسن محمد علي لانه شتم عبد الناصر وجمهوريته وسبها واساء العلاقات بين بغداد والقاهرة واثار التباغض بين الدول العربية ، بالاقل عشرة اضعاف ما فعله محسن محمد علي .

او ، اذا اعترف المهداوي بأن شن الحملات مرهون بالظروف وتبدل السياسات، وجب عليه ان ينقض حكمه على محسن محمد علي ومن لف لفه فوراً ودون اي اخذ ورد ّ .

ولقد اتى المهداوي ، بعد ، عين ما اخذ على الذين حاكمهم اتيانه ، اذ لم يشفق على العلاقات العربية ولا صان وحدة صف العرب التي اخذ على الآخرين شلها ، ولا صان كرامة احد ... قال في الكلمة التي قدم بها لاعمال محكمته :

« . . ارادت الثورة ان تفرض العقوبة العادلة باسم الشعب على اولئك الذين استهتروا بحقوق الشعب ، فأمعنوا بالعدوان على حقوقه وهدر حياته والعبث بكرامته ، فأوقفت الخونة في قفص الاتهام ليحاكموا امام المشتكي الكبير ، امام الشعب النبيل ، فكشفت له صفحة سوداء من صفحات الماضي الوبيل ، من تآمر على البلاد العربية الشقيقة ، الى معاداة للقومية العربية المتحررة ، الى ربط العراق بالاحلاف الاستعمارية ، الى احداث الشقاق في صفوف العرب ، الى بذل الاموال للخونة المأجورين من قوت الشعب . كما اظهرت المحكمة للملأ رجال العهد البائد بصفاتهم الاساسية ونزعاتهم الاصلية بعد ان جردتهم من البهرجة التي اضفاها عليهم الاستعمار ، فاذا هم مزيج من الانانية الطاغية والجبروت المتعاظم والجشع المريب والتكالب المخزي ، واذا هم عبيد بازياء الاحرار وخدم بلباس الاسياد ، وسراق يدعون العفة ، وارذال يدعون النزاهة . »

وراح المهداوي يضرب على هذه النغمة في معظم القضايا التي عرضت على محكمته . فباسم الغيرة على الجمهورية العربية المتحدة ساق الى محكمته جميع اركان هيئة الاذاعة العراقية التي تولت حيناً شن الحملات على هذه الجمهورية ورئيسها جمال عبد الناصر ووزير داخلية اقليمها السوري عبد الحميد السراج ، امثال فوزيه ناجي وفيصل حسون وناظم بطرس ومال الله الخشاب ومحمد علي كريم .

اسمع المدعي العام ماجد محمد امين يقول ببيانه في قضية محمد علي كريم :

«قام المتهم بالاشراف على تشغيل الاذاعة السرية المسماة «صوت مصر الحرة» والتي كانت تنفث سمومها كل يوم من الساعة السادسة مساء حتى الساعة السابعة وكذلك كان المتهم يسجل ويذيع ، بحماسته المعهودة ، بعض احاديث « اخي في سورية » المليئة بالدس والتحريض والكذب والشتم والتعريض بقادة الجمهورية العربية المتحدة. وأقتطف نبذة من حديث مسجل للمتهم اذيع في ٦ تموز ١٩٥٨ لاكشف للمحكمة عن نفسية هذا المتهم وخطورته ومدى تحمسه لخدمة الاستعمار ومأجوريه من رجال العهد البائد ، وهو واحد من جملة احاديث سجلت له. قال المتهم « اخي في سوريا. اعلم انك ابن سوريا وان عبدالناصر ابن مصر. ولا تتصور انه اصبح الرئيس الذي لا تمكن مقاومته ... ولانه عمل على ذلك منذ مدة وباتفاق مع اصحاب حزب البعث العربي الاشتراكي الذي سبق لي في حديث مضى ان اطلقت عليه اسمه الحقيقي وهو الحزب الشيوعي الاشتراكي. »
وهنا اقول (القول لماجد امين) لهذا المتهم المشعوذ : من هو الطفيلي ؟ هل الاستعمار واذنابه الذين يعيشون كالعلق على قوت الشعوب يمتصون دماءها ويسرقون ثرواتها ويزيفون ارادتها ويشترون ضمائر امثالك من العبيد ، ام القائد الثوري محطم الاستعمار وحامل راية القومية العربية سيادة جمال عبد الناصر ؟ تكلم يا جبان ! »

قال ماجد امين قوله هذا في الجلسة التاسعة عشرة من جلسات المحكمة يوم ١٠ ايلول ١٩٥٨. وقال الكثير من امثاله في الدفاع عن الجمهورية العربية المتحدة والمسؤولين فيها وعلى رأسهم جمال عبد الناصر. ولكنه انقلب بعد حين ايما انقلاب فصار نصف مطالعاته ونصف ملاحظاته بالاقل ، مخصصاً للطعن بالجمهورية العربية المتحدة ورئيسها وقادتها. يسميهم مستعربين ، متطفلين ، مشعوذين ، عملاء للاستعمار ... يتهمهم بالخيانة وبكل فرية ، ويعمل في سمعتهم وفي اشخاصهم وفي اتجاهاتهم طعناً وتهديماً.

اجل ، عبدالناصر نفسه الذي اسماه ماجد محمد امين حيناً ، بالقائد الثوري ، محطم الاستعمار وحامل راية القومية العربية ، هو نفسه الذي اسماه ماجد محمد

امين بالمستعرب المتطفل ، وهو نفسه الذي وجه اليه كل فرية واتهمه بالتعاون مع الاستعمار الف الف مرة ...

جاء العقيد المهداوي الى المحكمة العسكرية العليا الخاصة ، كما اسلفنا ، باكبر الرؤوس . وكان ذلك ، دون ريب ، بموافقة امير اللواء عبد الكريم قاسم وبركته ، على اساس مقاضاة العهد الماضي في شخص من بقي حياً من رجاله، وان يكن زعيم الثورة ، قد اعلن مرتين ان هذه المحكمة مستقلة بذاتها وحرة في تصرفها . ولما بدأت المحكمة عملها ساندها قاسم بهذا البيان الذي اذاعه بوصفه وكيل وزير الدفاع في مطلع الثورة ، داعياً المواطنين الى مؤازرتها :

« ستباشر المحكمة العسكرية العليا الخاصة بمحاكمة رجال العهد البائد، من الوزراء والمستغلين الذين اشتغلوا ضد مصلحة البلد . فعليه نطلب من كل فرد من ابناء الشعب الكرام ، ومن لديه معلومات او مستمسكات موثوق بها ان يتقدم ويدلي بالمعلومات الى هيئة التحقيق المؤلفة في وزارة الدفاع، للنظر في جميع ادلة الاثبات للاتهامات قبل احالتها الى المحكمة العسكرية العليا . »

اساليب ودعايات

لم يكتف المهداويون لاجتذاب الانظار الى المحكمة والدعوة لها بالمجيء بكبار الرؤوس لاذلالها ومحاسبتها حساباً عسيراً والانتقام منها وتشميت الخصوم بسوء مصيرها ، بل انهم عمدوا الى اساليب اخرى : اعتمدوا استغلال الحالة النفسية المضطربة في العراق بسبب الثورة ، وتملق الشعب واضحاكه ، واثارة عواطفه وغرائزه احياناً . واتكلوا في اجتذاب انظار الجماعات العربية خارج العراق ، على تبني الشعور القومي العربي في مطلع العهد بالمحاكات ، وان تنكروا له كثيراً بعد حين غير طويل ،بالاخص منذ تنكر حكام بغداد لرشيد عالي الكيلاني وعبد السلام عارف ، واخيراً جماعة العقيد الشواف بعد تمرّد حامية الموصل .

لقد تسلح المهداويون امام الجماعات العربية ، في مطلع عهد محكمتهم ، بما يتسلح به عادة كل راغب في انتزاع مكانة له بين العرب . تسلحوا « بذخيرة » القومية العربية ، هذه الذخيرة التي جمعت حباتها منذ ظهور الحركة العربية الاولى في العهد العثماني ، وصارت تتضخم على الزمن وتترعرع في حركات مقاومة الدول الاجنبية وسيطرتها على المنطقة ، حتى صارت قوة روحية من اشد القوى وافعلها في هذه المنطقة : الوحدة العربية ، بلاد العرب للعرب ، الاستقلال ، التحرر ، التسلح ، الشخصية الدولية العربية ، حرية العرب في تقرير سياستهم .

كل هذه العناصر في «التركة» العربية التي ورثها الجيل الحاضر ، قد توسل بها عهد المهداوي في الدخول الى قلوب الجماهير العربية ،شأنه في ذلك شأن كل راغب في الدخول من اهون واقصر سبيل . واستمد المهداويون العون كذلك من مساندة العهد الناصري بكل رصيده من النفوذ لدى الجماهير العربية ، حتى اشتد عودهم

والتفتت الانظار اليهم ، فراحوا يناصبونه العداء ويتخذونه محوراً لحملاتهم وهدفاً لسهامهم وسبيلاً الى مآربهم السياسية في الداخل والخارج .

وقد كانت القضية الاولى ، قضية التآمر على سوريا ، اهم القضايا التي اتكل عليها المهداويون للتأثير في الجماعات . ولا عجب ففي هذه القضية احداث وارقام ، وفيها وثائق ووقائع ومستندات، وفيها حديث ذو شجون عن محاولات العهد الماضي في العراق لتحقيق الاتحاد مع سوريا تارة باسم تحقيق الهلال الخصيب وطوراً باسم تأسيس الوحدة العربية على اتحاد ثنائي عراقي سوري ... حيناً بالطرق السياسية والاقناع وباسم وحدة العرب والايمان بالقومية العربية الواحدة وحيناً آخر باساليب العنف والتهديد بالقوة .

ثم ان في هذه القضية اكبر عدد ممكن سوقه الى المحكمة من الحكام العراقيين السابقين ، وفيها كذلك تجاوب مع سوريا التي شهدت قبل حين في محاكمها ودوائر تحقيقها ، كشف فصل من فصول المحاولات العراقية لقلب نظام الحكم السوري وجعله موالياً لبغداد ، سواء افضى ذلك في النهاية الى اتحاد فعلي او الى مجرّد تضامن وتساند ثنائي فعال في منطقة الشرق الادنى .

لقد ساق المهداوي الى قفص الاتهام في هذه القضية اكبر ساسة العهد الماضي في العراق ممن ابقت عليهم الثورة ولم تجرفهم في تيارها الدامي . جاء بأمير اللواء غازي الداغستاني معاون رئيس اركان الحرب وممثل الدور الاول في اعداد انقلاب سوري مؤات للعراق وسياسته . وجاء بعده بالفريق محمد رفيق عارف رئيس اركان الحرب ، وبعده بالزعيم احمد مرعي رئيس دوائر الاستخبارات في الجيش العراقي ، ثم المقدم يوسف محمود من كبار ضباط الركن في دائرة الاستخبارات العسكرية العراقية .

وجيء الى المحكمة برؤوس كبيرة للشهادة في القضية ذاتها قبل ان تدان في قضايا اخرى ، امثال فاضل الجمالي وبرهان الدين باش اعيان وخليل كنه وصالح صائب الجبوري وعبد الجليل الراوي ومحسن محمد علي وخليل ابراهيم ومحمد علي وانيس وزير وغيرهم .

كل هؤلاء الساسة ، وساسة غيرهم في قضايا اخرى امثال احمد مختار بابان وتوفيق السويدي ويوسف كيلاني ، اوقفهم المهداوي في حضرته وراح يلهو بهم ويحاورهم ويداورهم كما يحاور القط الفـأر قبل ان يبطش به ... جميع هؤلاء الساسة والقادة تفنن المهداوي في اذلالهم ، لا فرق فيهم بين متهم وشاهد ، وقلما نجا احدهم من طول لسانه ولواذع نكاته وشديد حملاته .

لم يكن البارز في محاكمة هؤلاء او الاستماع الى شهاداتهم ، اساس القضية ، ولا التفت النظارة والمستمعون الى الوقائع بل شغلهم عن ذلك تهريج المهداوي : نكاته ، نبراته ، فلسفاته ، نصائحه ، امثاله وسائر حركاته وسكناته .

لقد ادهش المستمعين واعجبتهم طرق المهداوي في المناقشة ، مناقشة المتهمين والشهود ... حتى مناقشة رفاقه احياناً ، فالجميع متهمون في نظر المهداوي ! انه يعرف كل شيء ومرجع كل شيء . يدعي العصمة في شؤون القضاء وهو قاض حديث العهد بالمحاكم وقد وقف امامه ، متهمين وشهوداً ، قضاة قدماء متمرسون بالقانون والتشريع والاجتهاد سنين عديدة . سلاحه الاكبر صوتـه الجهوري الحاد . اذا ضايقه احدهم بأجوبته او افحمه بحجته ، ثارت ثائرته وارتفع صوته يصرخ صراخ الملسوعين فيطغى على صوت الآخرين ، يقاطعهم ، يسكتهم ، يخنق دفاعهم وحجتهم ، حتى اذا ما اكتفى وحسبته قد تمزق صدره من الصياح ، عاد الى الهدوء يستأنف اجراءات المحاكمة بنعومة وسلاسة كأن لم يك شيء ! . يقول لهذا : تفضل ، وكان قبل لحظات ينتهره ويصيح به ويشتمه ... ولذاك : نعم ماذا قلت ؟ وكان قبل هنيهات يهاجمه ويؤنبه ويقطع عليه مجرى القول والفكر .

وللمهداوي في القضية العاشرة ، قضية فاضل الجمالي ، موقف يذكر مـع السياسي المعروف احمد مختار بابان . كان بابان بوصفه شاهداً يروي شيئاً من اجتماعه بصبري العسلي وفاضل الجمالي في برمانا ، فراح المهداوي يحاوره محاورة محرجة ويتعمد مضايقته كأنه متهم لا شاهد ، وهو المتشرع والقانوني والسياسي المعروف ، حتى اخرجه عن طوره ، ثم راح يسأله : لماذا انت عصبي ؟ لمـاذا انت محتدم ؟

المهداوي – اذن كان اجتماع ؟
بابان – ليس اجتماعاً يا سيدي .
المهداوي – ماذا تسميه ؟
بابان – قلت لكم : صبري العسلي رئيس وزراء سوريا والمتهم (الجمالي) وزير خارجية العراق وكان مريضاً في برمانا اجتمعا. اخبرني الجمالي ان صبري العسلي جاء لزيارته وطلب مني ان احضر ، وصدفة كنت ماراً .. كنت مريضاً وارغب في اجراء عملية واريد ان اسافر الى اوروبا .
المهداوي – ما هو نوع حضورك ؟ هل كان مؤتمراً ؟ اجتماعاً ؟ حفلة ؟ دعوة عشاء ؟
بابان – الدعوة ليس لها صفة رسمية ، وانما رجل جاء يزور صديقه ، وانا الآخر باعتبار ان لي صداقة كذلك مع صبري العسلي وطبعاً فاضل الجمالي صديقي ، طلب حضوري . ولا اعرف السبب من طلبي .
المهداوي – ماذا دار في هذا الحديث العمومي ؟
بابان – حديث عام مثل كل ما يدور بين اي اصدقاء عندما يجتمعون ويتكلمون في مواضيع مختلفة .
المهداوي – ما هي هذه المواضيع ؟
بابان – لا اتذكر بالضبط . ولكن لو سألتموني بعض النقاط فقد اتذكر واجيب عنها . عادة عندما يتم اجتماع مثل هذا : رئيس وزراء سوريا ووزير خارجية العراق ، لا بد ان يتم بحث في السياسة او في الوضع . واتذكر في ذلك الاجتماع أنه جرى بحث عن اسرائيل واعتداءاتها على البلاد العربية وخاصة سوريا والاردن ، وعن موقف العراق من ذلك . واتذكر انا في هذه المناسبة كنت غير مسؤول ، ولم تكن مباحثات رسمية . واتذكر انني قلت لا سمح الله اذا حدث اعتداء على سوريا فالعراق لا يبقى مكتوفاً . وانا لم تكن لي صفة رسمية ، كل ما في الامر كنت زائراً .
المهداوي – نور المحكمة عما دار ؟ ماذا كانت توجيهات المتهم بهذا الخصوص؟

بابان – طبعاً موقفه معلوم في قضية ...

وهنا قاطعه المهداوي وانتهره بصوته القسلطي صائحاً : بيّنه الآن !

بابان – هو الآخر يتفق اذا وقع اعتداء اسرائيلي على بلد عربي ، على ان العراق لا يمكن ان يبقى ساكتاً . هناك معاهدة الضمان الجماعي بين البلاد العربية ، وللعراق التزامات امام الجامعة العربيـة . وبالنسبة للعراق كل عراقي يتحسس الامر واذا وقع اعتداء على اي بـلد عربي لا يمكن ان يسكت ولا ان يقف مكتوفاً . فكان الموضوع كله على ما اتذكر ، يدور على هذه النقاط . ولا اتذكر شيئا آخر .

المهداوي – بيّنها الآن ! لا تزال تقول كلمات غير مفهومة ! مـاذا دار في هذا الاجتماع ؟

بابان – هل تتصورون اشياء دارت في هذا الاجتماع وهي مخالفة حتى اقولها؟

المهداوي – مخالفة او غير مخالفة ما هي ؟

بابان – هذا الذي اتذكره وقلته لـكم. الاجتماع غير رسمي . انا ليس عندي اي صفة رسمية .

المهداوي – ماذا تسمي هذا الاجتماع ؟

بابان – الزيارة تمت قبل اربع سنين ولا اتذكر شيئاً . الزيارة اذا كانت قبل اربعة ايام هل يتذكرها الانسان ؟

المهداوي – نعم يتذكر ! والمحكمة تطلب منك ان تذكر آراء الجمالي في هذا الاجتماع الذي تذكره.

بابان – قلت لـكم لا اتذكر. ولكن اذا ذكرتموني ببعض نقاط استطيـع ان اخبركم بها .

المهداوي – ذكرت ان العراق لا يسكت . ما معنى لا يسكت ؟

بابان – يا سيدي اتذكر انه عندما دار الكلام حول اعتداء اسرائيل عـلى سوريا او على الاردن او على مصر او اي بلد عربي آخر ، وطلب هذا البـلد معاونة العراق رسمياً ، فهل يبقى العراق ساكتاً ؟ هذا غير ممكن ولا بد ان

يلبي العراق الطلب. وقد قلت ذلك مبدياً رأيي الشخصي لاني لم اكن مسؤولا...

وهنا قاطعه المهداوي صائحاً: اننا نسألك كمتهم ام كشاهد؟ فاجاب: كشاهد، فقال: اذن لماذا تكرر انا غير مسؤول! اننا نسألك عن دور الجمالي في هذا الاجتماع. ماذا كانت توجيهاته؟ ألم يذكر شيئاً عن استخدام الجيش العراقي اذا وقع اعتداء على سوريا كما تزعم؟

بابان – لا اتذكر كلام الجمالي حرفياً ولكنه قال مثلما قلت... الكلام كان يدور على اعتداء اسرائيل. فقد كانت اعتداءات اسرائيل تتكرر في ذلك الوقت، ويوم تعتدي على سوريا تطلب الحكومة السورية من العراق ان يساعد سوريا...

المهداوي مقاطعاً: اي شكل مساعدة؟

بابان – ارسلت الحكومة العراقية ذات مرة طائرات في زمن اديب الشيشكلي الى سوريا، هي ترسل ذلك الى اي بلد عربي آخر لأن اعتداء اسرائيل على اي بلد عربي هو اعتداء على العراق. هذا شعوري انا بوصفي ضيفاً احضر مجلساً لا اكثر ولا اقل. وقد قلت رأيي هذا او قلت شيئاً من هذا القبيل...

المهداوي – كيف طلب الجمالي ان يتدخل العراق؟

بابان – لم اسمع شيئاً بصدد التدخل، ولم يكن هناك بحث رسمي.

المهداوي – هل كانت الاوضاع مستقرة في سوريا؟

بابان – انا لا علم لي باحوال سوريا وهل هي مستقرة ام غير مستقرة.

المهداوي – انت في لبنان ولا علم لك بامور سوريا؟

بابان – لم اذهب للبحث في وضع سوريا او احوالها الداخلية لانها تخص سوريا نفسها. وعلى كل حال كنت في ذلك الوقت خارج الحكم وانا مريض ومستطرق.

وهنا عاجله المهداوي مكرراً بلهجة كلها تسلط وكبرياء: قلت لك لا تعتبر نفسك متهماً فانت شاهد...

وضاق بابان ذرعاً بهذه المحاورة وهذه المضايقة فقال محتدماً: انا اتكلم كشاهد يا سيدي. وانا لي ست عشرة سنة حاكم وافهم القضاء وافهم ماذا يتكلم الشاهد

وماذا يتكلم المتهم وما هي واجبات كل منهما . انا لست بجاهل ، انا رئيس محاكم واشتغلت في كل العراق . انا اعرف شغلي ، لكن اسألوني اسئلة وانا اجيب على قدر السؤال . لقد اقسمت اليمين .

ثم اجاب بابان عن سؤالين او ثلاثة اسئلة اخرى عادية باقتضاب والغضب باد عليه اذ رأى نفسه وهو القاضي المتمرس بالمحاكم والسياسي الذي طالما رأس مجالس ووزارات ، عرضة لاستنطاق عنيف متلاحق الاسئلة شديد النبرات يتخلله كثير من الهزء والسخرية...ولم يلبث المهداوي أن قال له ساخراً : ان عصبيتك هذه تدل على انك تتصور نفسك متهماً وليس هناك داع لذلك لأنك شاهد ، ونعرفك حاكماً ونعرف المناصب التي شغلتها كلَّها .

بابان – يا سيدي انا اعرف اني لست بمتهم بل انا شاهد .

المهداوي   لماذا أنت عصبي اذن ؟

بابان - سيدي انا ما ممكن أن اكون عصبياً امام محكمة ، امام قضاء .

المهداوي – ولكنك عصبي امام محكمة الشعب ؟

بابان – (وهو الساخر هذه المرة) امام « محكمة الشعب » ... انا أقدر القضاء ، وانا واثق من نزاهة المحكمة وعدالتها وحيثيتها ، وانتم لا غرض لكم او غاية . انني اتكلم بصراحة .

وقاطعه المهداوي ليفاجئه باعلان وجود وثيقة ، هي رسالة بعث بها الجمالي الى ابي عصام (ارشد العمري) يتحدث فيها عن المجلس المذكور الذي عقد مع العسلي وعن البحث باتحاد سوريا مع العراق متذرعاً باعتداء اسرائيل الخطير على سوريا لدخول الجيش العراقي الاراضي السورية بحجة حمايتها ، ومن ثم احتلالها . وسأل المهداوي : هل كان ذلك من رأي الجمالي الخاص ام انه نتيجة اتفاق المجتمعين في المؤتمر المذكور ؟

بابان – هذا الكتاب من الجمالي الى العمري ، وهو المسؤول عن كتابته وهو الذي يجيب عن هذا السؤال . انا است بمسؤول عن كتاب كتبه هو ولم يرني اياه ولا علم لي به .

المهداوي بسخرية – عدنا ثانية الى : انا لست مسؤولاً !..

بابان – انا سئلت يا سيدي فأجبت .

المهداوي – من أصبح عصبياً انا ام انت ؟

بابان – العفو انا لست عصبياً .

والعصبية ، والحق يقال ، ظاهرة ملازمة لمحاكمات المهداوي . فالمشهور عنه ان نسمة تجرحه ونأمة تهيجه ، وان غمزة تطلق شياطين لسانه في سورة غضب تقيم المحكمة وتقعدها في لحظات ...

وقد حدث اثناء الأخذ والرد بين بابان والمهداوي ان تناوبا العصبية، ولكن كان المهداوي هو المجلّي اخيراً في هذا المضار ! وقد أماجه بالأخص جواب محكم من بابان أمسكه به من تلابيبه ... كان ذلك حين طرح المهداوي على الشاهد بابان عدة اسئلة بصدد كتاب قال ان الجمالي ارسله الى أرشد العمري ، واخيراً بادره بهذا السؤال : وأنت الم يكن لك دخل في الموضوع ؟ (موضوع الكتاب وما تضمنه من حديث عن الاتحاد) .

وسارع بابان يجيبه واضعاً الامور في نصابها: سيدي قلتم لي انا شاهد لا متهم. ولكن سؤالكم الآن لي يدل على اني متهم ! ليس لي دخل في الموضوع. لقد بينت كل ما عندي وأجبت عن أسئلتكم .

المهداوي – عندما نسألك عن الموضوع ليس معنى ذلك انك متهم .

بابان – ما هو الموضوع ؟

المهداوي – تقوية الوضع القائم آنذاك في سوريا (اى تقوية حكومة العسلي لتستطيع الثبات ، واتحاد سوريا مع العراق) .

بابان – لم يجر بحث باتحاد سوريا مع العراق ، وهذه القصة قديمة . ففي تلك الجلسة قلت لكم ما أتذكره . واذا كان هناك شيء آخر بين الجمالي وصبري العسلي فيجوز انه لم يتم بحضوري .

وفي محاورة المهداوي – بابان وقائع اخرى لا بدّ من ايراد بعضها . ولعلّ ابرزها استنكار المهداوي تلك الحملات ، التي كان فاضل الجمالي يشنها على جمال

عبد الناصر . فقد سأل المدعي العام العقيد ماجد محمد امين : ما رأي الشاهد ، بوصفه مسؤولاً في الحكم السابق ،بتهجم الجمالي على الجمهورية العربية المتحدة وعلى شخص رئيسها جمال عبد الناصر ؟ فاجاب بابان :

– ان موضوع التهجم على مصر استنكره في الحقيقة . وعندي شواهد ، لا اعرف ، سواء الجمالي او غيره . وقد حاولت منع « اخي العربي حيثما تكون » من الاذاعة .

المهداوي – هل كانت تهجماته في مصلحة العراق ؟

بابان – اني استنكر كل تهجم على مصر .

المهداوي – هل كان في مصلحة العراق ام لا ؟

بابان – مصر والعراق كانا يتشاتمان .

المهداوي – هل كان شتم الجمالي لعبد الناصر في مصلحة العراق ؟

بابان – تقدير ذلك يعود الى المحكمة .

وكانت تلك مرة اخرى استنكر فيها المهداوي وماجد امين التهجم على الجمهورية العربية المتحدة وجمال عبد الناصر ولاحقا المسؤولين عن ذلك ، وهما اللذان صارت حملاتها كلها ، في عشرات الجلسات من بعد ، تدور على الطعن بجمال عبد الناصر وجمهوريته العربية المتحدة . اجل انهما عينهما اللذان سميا هذه الجمهورية « بالجمهورية الماسونية » وتطاولا على كل مسؤول فيها حتى بالشتيمة والسباب . وسوف يرى القارىء من تلك الفصول بعد حين ، اشكالاً والواناً .

القضايا الكبرى

هناك قضايا عديدة هامة عالجتها محكمة الشعب لتصل من ورائها او من طريقها ، الى ساسة العهد الماضي في العراق وتحاسبهم وتعاقبهم او تذلهم وتحطم نفوذهم امام الشعب ، وتقيم على الحطام مجداً لسادة العراق الجدد . وليس هذا ببدعة وانما هو سنّة الثورات والانقلابات ... ومن ابرز هذه القضايا : المؤامرة الكبرى على سوريا ، المؤامرة الاولى على الجمهورية العراقية ، المؤامرة الثانية على هذه الجمهورية ، مؤامرة الموصل ، قضية فاضل الجمالي ورفاقه من الحكام السابقين .

والمؤامرة على سوريا او « المؤامرة الكبرى » هي تلك التي بدأت محاكمتها في دمشق وانتهت في بغداد ، والمتعلقة بتهريب اسلحة من العراق الى بعض القبائل وتقديم العون الى بعض الجماعات السورية لمساعدتها على قلب الحكم الذي كان قائماً في سوريا في اواسط العام ١٩٥٦ ، وتمهيد الطريق لتوحيد سوريا والعراق .

ولقد حشدت محكمة الشعب في هذه القضية جميع المشتركين بتنفيذ خطة التسليح تمهيداً للتمرّد على الحكومة السورية ، ومعظمهم من العسكريين ، يتقدمهم امير اللواء غازي الداغستاني معاون رئيس اركان الحرب ، والفريق رفيق عارف رئيس اركان الحرب نفسه ، والزعيم احمد مهدي رئيس دائرة الاستخبارات العسكرية ، والمقدم يوسف محمود . وجاءت المحكمة في هذه القضية بشهود اختارتهم من كبار قادة العهد الماضي وساسته .

وفي المؤامرة الاولى على الجمهورية العراقية جيء برأس من اكبر الرؤوس في العراق ، هو رشيد عالي الكيلاني المشهور ببطل ثورة ١٩٤١ على الانكليز ،

بتهمة التآمر مع الجمهورية العربية المتحدة لقلب حكم الثورة في العراق وضم العراق الى الاتحاد السوري المصري .

ولقد جرت المحاكمة في هذه القضية سراً ولم تذع بعض وقائعها الا بعد شهور وشهور ، لاسباب سياسية تتعلق ببعض الدول العربية ، اذ اعتبر امر كشفها علناً من الامور المسيئة الى علاقات العراق بهذه الدول .

وكان من التهم البارزة التي وجهت الى رشيد عالي في هذه القضية انه لما نزل اول مرة في مطار بغداد عائداً الى وطنه الذي ظل عشرات السنين منفياً منه ، كان معه تفويض مطلق بسحب الاموال التي يحتاج اليها لقلب حكم اللواء قاسم والاستيلاء على السلطة لحساب الجمهورية العربية المتحدة !

وفي قضية المؤامرة الثانية على الجمهورية العراقية ، سيق الى قفص المهداوي العقيد عبد السلام عارف ، نائب رئيس وزراء العراق وسفير العراق المتمرد الى بون وأحد كبار قادة ثورة ١٤ تموز ، بتهمة محاولة اغتيال الزعيم الاوحد اللواء عبد الكريم قاسم تمهيداً لقلب حكمه والاستيلاء على زمام الامور وتحويل الثورة العراقية الى ذيل للثورة المصرية وضم العراق الى الاتحاد المصري السوري . ولقد اتخذ المهداوي من هذه القضية سبيلاً من السبل التي طرقها كي يحل محل عبد السلام عارف في المقام التالي لمقام عبد الكريم قاسم بين قادة الثورة وحكام العراق الجدد .

قبل المحاكمة كان عبد السلام عارف هو المقدم على عبد الكريم قاسم في المجتمعات والحفلات وفي ابداء الرأي والمشورة ، وفي كل شأن آخر من شؤون الدولة ، اما بعدها فقد صارت مهمة المهداوي تحطيم عارف والقضاء على مكانته في القلوب . وما ابث المهداوي ان صار هو النافذ وهو المقدم ، وامسى ذكر عارف مقروناً اما بالتنديد به والتحامل عليه ، او بطلب تنفيذ حكم الاعدام به وهو الحكم الذي اصدرته عليه المحكمة بعد ان ادانته بالشروع في قتل عبد الكريم قاسم وتدبير مؤامرة لقلب الحكم والاستيلاء على زمام السلطة .

اما قضية المؤامرة في الموصل فهي اوسع القضايا طراً وهي اعنف ما شهدته

محكمة الشعب اطلاقاً . انها قضية ثورة العقيد عبد الوهاب الشواف في الموصل لمحاولة قلب حكم عبد الكريم قاسم ، بمعونة الجمهورية العربية المتحدة،او انها ، كما سميت حيناً ، تمرد القوميين العرب في العراق على حكم الشيوعيين وتسلطهم في معظم انحاء العراق . وهي القضية الاولى التي نفذت فيها احكام اعدام اصدرتها المحكمة العسكرية العليا الخاصة، اذ أعدم اربعة ضباط رمياً بالرصاص لاشتراكهم بقصف اجهزة الاذاعة العراقية في ضاحية بغداد ثم اعدم ستة غيرهم .

بقيت قضية فاضل الجمالي ، وقد اتخذتها محكمة المهداوي هي الاخرى سبيلا للظهور وتحطيم ساسة العهد الماضي ، وجعلت منها وسيلة لمهاجمة الغرب وسياسة التعاون مع الغربيين ، وتوثيق الصداقة التي اعلنها اللواء قاسم للدول الشيوعية والتي سارت بالعراق مدة غير قصيرة في اتجاه يساري متطرف جعلت كثيرين يحسبون ان العراق يتحول الى « جمهورية ديموقراطيــــة شعبية » تدور في فلك الاتحاد السوفياتي . بل ان فاضل المهداوي نفسه اسمى الجمهورية العراقية احياناً « الجمهورية الديموقراطية الشعبية » تمثلا بالدول الشيوعية في اوروبا الشرقية .

لقد حوكم فاضل الجمالي بالاخص من اجل سياسته الموالية للغرب ، وحوكمت في شخصه السياسة العراقية التي ارتكزت على حلف بغداد ، وهو الحلف الذي لم يبن على اساس من الاسس المتينة التي تقوم عليها الاحلاف الدولية ، سياسية كانت ام عسكرية ، حتى ان الولايات المتحدة نفسها لم تشترك به رسمياً واكتفت بتعاون محدود معه رغم أنها مدبرة الاحلاف والكتل الدولية من حول الاتحاد السوفياتي لمنع توسعه بعد انتصاره في الحرب العالمية الثانية . ولقد انتهى امره بتبديل اسمه بعد انسحاب العراق منه وهو يعرف اليوم « بمنظمة المعاهـــدة الوسطى » .

اما القضايا الأخرى الأقل شأناً من تلك والتي عرضت على محكمة المهداوي فهي قضايا المذيعين في الاذاعة العراقية وبعض المتهمين باساءة استعمال الوظيفة. وتكاد هذه القضايا لا تذكر اذا قيست بالقضايا الكبرى ، الا ما اتصل منهـــا بحركة وزير الداخلية السابق سعيد القزاز .

والواقع ان محكمة الشعب كانت تستعد لنظر عشرات وربما مئات القضايا من هذا الطراز ، طراز اساءة استعمال الوظيفة وافساد نظام الحكم ، عملاً بالسلطة الواسعة التي اعطاها اياها مرسوم تشكيلها . ولكن تعاقب الاحداث في عهد الثورة ، كظهور قضية العقيد عبد السلام عارف ثم قضية رشيد عالي الكيلاني فعصيان الموصل ، ادى الى اسدال الستار على مخلفات ما قبل الثورة او «محاكات التطهير» اذا شئت ان تسميها كذلك .

في كل هذه القضايا كان نجم العقيد المهداوي في تألق متواصل ، وكان نفوذه في تزايد ، وصيته في انتشار دائم . كانت السياسة ، دون ريب هي عماد محاكمات المهداوي وعصارتها. ولكن السياسة بدأت في المحاكمات محدودة ، وبدأ تظاهره بها معتدلاً رغم ان القضية الاولى ، قضية المؤامرة المسلحة على سوريا، كلها سياسة في سياسة . ولكنه لم يلبث ان تمادى واتسع ، فلما برزت قضية الموصل سيطرت السياسة على كل شيء وتجاوزت الوقائع كل التجاوز وخرجت عن الموضوع فاذا بها تجسيد للخلاف السياسي بين بغداد والقاهرة بكل مظاهره وكل اشكاله وألوانه.

بدأت القضايا امام قوس المهداوي محاكمات تتخللها ملاحظات ثم تحولت بعد حين الى ملاحظات يتخللها شيء من المحاكمات ... كان المهداوي في اول عهد الناس به يلقي نكتة في مناسبة ، او كلمة توجيه في مقام ، او نصيحة او تأنيباً في ساعة عابرة، فأمسى معظم جلساته ملاحظات وفلسفات وتهريجاً ومحاضرات... بدأها بغمزة او لمزة او فلتة لسان ، وانتهى بها الى جلسات سباب وشتيمة واسهال في اللسان !

لقد نجا قليلون من لسان المهداوي ، وتوقع كثيرون ان يستيقظ الناس ذات صباح على صوت المهداوي وقد خفت ، وعلى لسانه وقد اعيد الى «جرابه» بعد ان صال وجال طويلا وتجاوز كل حد . وازداد اعتقادهم هذا رسوخاً لما فترت العلاقات بين بغداد وموسكو ولما حوّل اللواء قاسم وجهه عن الشيوعيين واستنكر اضطرابات كركوك الدامية وندد بهم من اجلها ، في احتفالات الذكرى الاولى لثورة ١٤ تموز . فقد استمدّ المهداوي عوناً له من الشيوعيين ،

ولطالما صفق له هؤلاء في الجلسات وخارج المحاكمات وساندوه في صحفهم وايدوا حملاته على كل ما يتصل بالعهد الماضي ، وقاموا يحاولون احراج اللواء قاسم فيطلبون اليه تنفيذ احكام الاعدام التي اصدرتها محكمة المهداوي . بل زاد هذا الاعتقاد انتشاراً لما خفت حدة النفور بين العراق والجمهورية العربية المتحدة ، وظهرت طلائع تجانس بينهما ، بالاقل في مقاومة النشاط الشيوعي المحلي وقال عبدالكريم قاسم : «عفا الله عما مضى» ، فيما استمر المهداوي يكيل الشتيمة للقاهرة ورئيسها : « الجمهورية الماسونية المتحدة » ... « جمال – عفلق – الحوراني» ، وهي عبارة يريد بها ان يحمل قادة الجمهورية العربية المتحدة : جمال عبد الناصر واكرم الحوراني وميشال عفلق ،ليسبّهم دفعة واحدة . . «المشير الفطير » ، ويقصد بذلك المشير عبد الحكيم عامر ، الى آخر هذه الضروب من التسميات والبهلوانيات .

والحقيقة ان كثيرين وقفوا ينتظرون تطور الاحداث في العراق ليشمتوا بفاضل عباس المهداوي ، وان قليلين توقعوا له غداً سعيداً ومصيراً رغيداً !

القضية الكبرى

اذا اتخذنا الوقائع وسعة المدى والوثائق والشخصيات مقياساً لقضايا المحكمة العسكرية العليا الخاصة ، اعتبرنا قضية التآمر على سورية القضية الكبرى . اما اذا جعلنا المقياس مبلغ انطلاق المهداوي على سجيته ومدى بروز شخصيته واساليبه ، وهي في الواقع اهم ما نهتم به في هذا الكتاب ، فمؤكد ان قضية ثورة الموصل هي القضية الاولى والقضية الكبرى دون منازع .

قلنا ان المهداوي اتخذ من قضية التآمر على سوريا وسيلة لاجتذاب الجماهير ان في العراق او في خارجه ، وسبيلاً الى الظهور باسم الدفاع عن الجمهورية العربية المتحدة ورئيسها جمال عبد الناصر قبل ان ينقلب عليه . والحقيقة ان المهداوي وجد في هذه القضية كنزاً من الوثائق والحجج الدامغة جعله يظهر على مسرح محكمته قوي الحجة شديد المراس سهل الاقناع متحكماً بالمتهمين مسيطراً عليهم تمام السيطرة . يضاف الى ذلك ان عهد الثورة العراقية ، ثورة ١٤ تموز ، كان بعد في مطلعه والنفوس مملوءة حقداً وكراهية على كل ما يتصل بالعهد المقلوب في العراق

دخل المهداوي المسرح مسنوداً بالوثائق والارقام في هذه القضية الاولى من قضايا محكمته ، وافلح في بناء الاساس عليها والانطلاق من مركز قوة . وجد امامه الخطط الكاملة لقلب نظام الحكم في سوريا ، خطط الدولة ، وخطط بعض العسكريين السوريين اللاجئين الى العراق ، كما وجد وثائق المخابرات العسكرية كاملة ، والاموال والاسلحة المخصصة للانقلاب بالارقام والمستندات ، وقد احتفظ بها كلها المتهم الاول في القضية امير اللواء غازي الداغستاني معاون رئيس اركان الحرب والمكلف بتنفيذ المؤامرة ، في خزانة حديدية « باعتبارها ملكاً للدولة

وليست ملكه الخاص» كما اعترف بذلك للمحكمة ، فوضعت سلطات الثورة يدها عليها من اهون سبيل .

على هذا الاساس القوي وهذه الحجج الدامغة راح المهداوي يحاكم في شخص غازي الداغستاني واعوانه من ضباط الاستخبارات العسكرية العراقية ، العهد الماضي كله وسياسته وجميع اساليبه لتحقيق الوحدة العراقية السورية . ولقد تطرف في الحملة حتى شمل احيانا فكرة الوحدة من اساسها وخلط أحيانا اخرى بين الوحدة نفسها واولئك الذين ارادوا تحقيقها ، ولو توسلوا الى ذلك بالقوة لقلب الحكام السوريين المعارضين لها .

ولم يكن موقف المهداويين هذا آخر مواقفهم من امور الوحدة . فقد رأيناهم بعد حين ، لما احتدم النزاع بينهم وبين حكام الجمهورية العربية المتحدة يوجهون اشد الحملات واعنفها الى الاتحاد المصري السوري ويندون به . ولطالما اسماه المهداوي «بالوحدة الماسونية» و «الوحدة المزيفة» و «الوحدة الرأسمالية» الخ . كذلك سمعناه يندد بالاتحاد العربي الذي تحقق في العهد الماضي بين العراق والاردن وينعته بانكر النعوت .

قالت محكمة المهداوي في اسباب التجريم ان خطوط المؤامرة لقلب نظام الحكم في سوريا تضمنت الفصول التالية :

« عين المتهم غازي الداغستاني بمنصب معاون رئيس اركان الجيش في اواخر ١٩٥٤ واعترف بتسلمه آنذاك اضبارة تعرف بالاضبارة «مجهول» (×) من اللواء الركن عبدالمطلب امين وتتضمن خطة مفصلة وضعت للقيام بحركات عسكرية ضد سوريا، ويعتقد بأن عدة اشخاص قد رسموها ولكنه لا يعرف واضعيها . ثم جرى الضغط عليه وعلى رفيق عارف رئيس الاركان العامة – على حد تعبيرهما – لاشراك الجيش بتلك الحركات ولكنه قاوم هذه الفكرة قائلا بالاستعانة بالمبعدين السوريين ، فاختير في مؤتمر عقد في البلاط لمواجهة اديب الشيشكلي لأن الشيشكلي ضابط ويسهل التفاهم معه ، ولكن الحقيقة الدامغة تدل على ان المتهم ارسل لمواجهة الشيشكلي والآخرين للتفاهم

على تنفيذ الخطط العسكرية . ويبدو للمحكمة ان خطة « × » لم تعد صالحة للعمل بها منذ ١٩٥٦. وقد دلت البرقيات المتبادلة بين المتهم غازي الداغستاني ورئيسه رفيق عارف في بيروت وبغداد ، على ان الداغستاني واجه اديب الشيشكلي مساء ٧/٤ (برقية رقم ١٠٦ تاريخ ٩٥٦/٧/٥ وواجه القوميين وتوصلوا الى اقرار الخطة بتفصيل اكثر ، وتم الاتفاق على اسماء اركان اللجنة العسكرية ، وان اديب الشيشكلي يحتاج الى حوالي شهر للقيام بالتنفيذ . كما واجه المقدم غسان (غسان شديد وقد اغتيل في بيروت) ولخصا رأيهما في اسلوب العمل ، كما واجه ممثلي بريطانيا واميركا (البرقية ١٥٩ تاريخ ٩/٢٠/ ٥٦ والبرقية ١٦٨ تاريخ ٥٦/٩/٣٠) وطلب الاميركي الشروع بالحركة .

وقد دل المستند رقم ١ الذي اعترف المتهم بكتابته والذي تضمن سلسلة حوادث للقيام بحركة داخلية في سوريا مشفوعة بخلق مبررات للتدخل المسلح ، بعد تهيئة الجيش للعمل ، على الخطة ولكنه ادعى انه استنسخ هذه الخطة بعد فشل المؤامرة سنة ١٩٥٦ دون ان يقوم دليل على ذلك . ودلت المستندات ١٤ و ١٥ و ١٦ المكتوبة بخط المتهم ، على وجبات الاسلحة وكيفية توزيعها للمتآمرين السوريين الذين جرى الاتصال بهم ، وتضمنت مسودات لعدة جلسات باللغتين العربية والانكليزية بشأن صفحات الخطط السياسية والعسكرية ، وكذلك مسودات باللغتين العربية والانكليزية للخطط وتخصيص مبالغ من المال للمتآمرين ، وهي خلاصة مطالب المبعدين السوريين المتآمرين بتزويدهم بالمال والسلاح وتهيئة الجيش للدخول في المرحلة الاخيرة من الحركة .

كما اعترف المتهم بان عبد الاله ونوري السعيد فاتحا اميركا وبريطانيا بغية الحصول منهما على ضمان بمنع اي تدخل اسرائيلي او فرنسي او تركي في حالة قيام حركة في الداخل ، ولكن المخابرات دلت على ان ممثلي بريطانيا واميركا كانا على علم بمراحل الخطط وساهما بالمال والسلاح لخدمة هذه القضية .

وقد جاء على لسان الشاهد عبد المطلب الامين ان الكثيرين من اللاجئين

السياسيين السوريين جاؤوا الى العراق قبل تاريخ افتضاح المؤامرة سنة ١٩٥٦ (فهم من مجرى المحاكمة ان اديب الشيشكلي امتنع عن تنفيذ المؤامرة آخر الامر) وكانوا يتسلمون رواتب من الحكومة وينوون تشكيل اذاعة سورية وجيش سوري حرّ ، وان بعض اولئك طلب قيادة جيش عراقي يرتدي الملابس العسكرية السورية ويهاجم سوريا لتحقيق الاتحاد بين البلدين . »

هذه هي الخطة ومراحل اعدادها كما جاءت في قرار التجريم. ويتحدث القرار ذاته بعد ذلك عن تكديس القوات العراقية على حدود سوريا استعداداً لدخول الاراضي السورية وبالاخص في نقطة محطة النفط « ه ٣ » .

ويبرز قرار التجريم بصورة خاصة وجود اصابع للاميركيين كالبريطانيين في اعداد حركة الانقلاب المذكورة في سوريا والتشجيع عليها ، ووجود علاقة لايطاليا كذلك بالامر ، ولو من طريق غير مباشرة، لأن بعض الاسلحة التي ارسلت الى المتآمرين قد اشتريت عن طريق ايطاليا . وقد جاء في قرار التجريم عن الاسلحة :

« كانت طلبات الاسلحة للمتآمرين السوريين قد تم عليها الاتفاق بين غازي الداغستاني والمتآمرين في بيروت بالاضافة الى اتصالات الملحق العسكري العقيد صالح مهدي السامرائي بهم والتعرف على رغباتهم . وقد شهد كل من رفيق عارف واحمد مرعي ويوسف محمود بأن الاسلحة التي تم ايصالها الى المتآمرين السوريين قسم منها قد اشتري عن طريق ايطاليا بواسطة الرئيس الأول الركن صالح مهدي عمّاش ، والقسم الآخر هو من المساعدات الاميركية التي تم خزنها في مستودعات قاعدة الحبّانية ، وان المقدم يوسف محمود اتصل بالمتآمرين السوريين من العشائر المقيمين على بعد ٢٥ كيلو متراً من الرطبة وأوصل تلك الاسلحة بايعاز من احمد مرعي (رئيس الاستخبارات العسكرية العراقية) وكانت تحتوي بنادق وعتاداً ورشاشات وكان قسم منها مخزوناً في مستودع العينة في بغداد ، ومن الاسلحة الملغاة والتي جرى تنزيلها من الذمة بقرار من مجلس الوزراء على اساس انها معاونة

للدول العربية كتونس والجزائر. وقد نقل بعض الاسلحة الطياران طه احمد وعدنان امين خاكي، جواً في ٥٦/٨/٢٠، و٥٦/٩/١٠ الى الملحق العسكري في بيروت بصورة سرية على اساس انها مرسلة الى ليبيا.

وهناك اسلحة اخرى نقلها الطيار يوسف عزيز في ٥١/٥/٢٠/ و ٦/١٤ ٥٨ الى بيروت وقد ثبت انها كانت معاونة لحكومة كميل شمعون في لبنان ولا علاقة لها بمحاولة قلب الحكم في سوريا بصورة مباشرة.»

هذه الوثائق ووثائق اخرى تتضمن خطط انقلاب رسمها مبعدون سوريون وغيرهم باسماء مختلفة امثال «خطة صقر» و«خطة نصر» وخطة «ثار» وخطة «سيف العرب» وخطة «ذئب البحار» الخ. قد تسلح بها المهداوي وتسلح بها ماجد امين واتخذاها خير سبيل الى قلوب الناس وعقولهم وحركا بهما عواطفهم واستندا اليها في اصدار اول حكم بالاعدام.

لقد حكمت محكمة المهداوي بالاعدام شنقاً حتى الموت على امير اللواء غازي الداغستاني، وطرده من الجيش واعادة مبلغ ١٥٧٧٠ ديناراً الى خزينة الدولة، على ان يحصّل المبلغ المذكور اجرائياً.

ولم ينفع الداغستاني في قضيته اي دفاع، حتى ولا الدفاع الاساسي الذي اعتبر حجر الزاوية في دفاع معظم الذين سيقوا الى محكمة المهداوي، وهو ان الموظف او العسكري غير مسؤول اذا ما نفذ أوامر رؤسائه لأن رفضه التنفيذ يعدّ تمرداً ويعاقب عليه بموجب القانون. ولا نفعه كذلك قوله:

«اخذ نوري السعيد وعبدالاله بتحريض من بعض السوريين، يضغطون علينا بشدة ويلحّون بوجوب تهيئة الجيش للحركة فقاومنا أنا ورفيق عارف هذا الضغط محتجين تارة بعدم كفاءة وسائط النقل واخرى بعدم تيسر العدد الكافي من الطائرات وضرورة تهيئة الطيارين والمطارات ... كما أوضحنا ان اي اصطدام بين الجيشين العراقي والسوري يكون كارثة للبلدين ولا يخدم إلا مصلحة اسرائيل. وكانت النتيجة ان قبلت الحكومة مبدأ العودة ثانية الى القصة القديمة، وهي الشروع في الحركات الداخلية وحث

السوريين المبعدين على الاستمرار في خططهم الرامية الى احداث انقلاب يؤدي الى قيام حكومة تعلن الاتحاد مع العراق » .

لقد اراد الداغستاني بهذا ان يقول ان القادة العسكريين ، وهو منهم ، عارضوا بشدة كل فكرة تقول باستخدام الجيش العراقي في دخول سوريا وتمهيد الطريق لتحقيق الوحدة السورية العراقية ، وانه كان لهم الفضل في منع اللجوء الى هذا الحل المغرق في التطرف ، وفي ذلك دفاع عن موقفه ودليل غيرة منه على سلامة الجيشين العراقي والسوري معاً . والواقع ان استخدام الجيش ، اي جيش ، في تحقيق وحدة بين قطرين عربيين او اكثر من قطرين ، لم يكن ذات يوم عماداً جدياً ولا اتخذ ذات عهد خطة مقررة للتنفيذ ، بل كان التلويح بالجيش العراقي وبسلاح الجو العراقي ، كل مرة ، وسيلة من وسائل الضغط على العهد المعارض للعراق في سوريا ، وعاملاً من عوامل المساندة لسياسة الاتحاديين كلما اعوزتهم الوسائل والاسباب . ولعل افضل تعليل لذلك انه لا يمكن بحال من الاحوال لجيش عربي ان يهاجم جيشاً آخر عربياً دون ان يقيم ذلك منطقة الشرق الاوسط ويقعدها ، ودون ان يفتح الباب لاثارة اشد السخط والاستنكار في الجماعات العربية من ادنى بلاد العرب الى اقصاها .

كان يكفي إن يقال مثلاً : جيش العراق يهاجم سوريا ، او الجيش العراقي والجيش السوري يتقاتلان ، او عربي يقتل اخاه العربي كي تقوم ضجة ما بعدها ضجة على البادىء بالقتال ، حتى ولو اتخذ الوحدة العربية سلاحاً له ومبرراً لفعلته .

وكان يكفي ان يتحرك جيش عربي حركة جدية واحدة ضد بلد عربي آخر ، ولو بإسم القومية العربية وتحقيق هدفها الاكبر (الوحدة) حتى تتحرك جيوش من هنا وجيوش من هناك دفاعاً عن هذا ومساندة لذاك ، فتنشب في الشرق الاوسط حرب خطيرة يختلط فيها الحابل بالنابل وتتخذها هذه الدولة او تلك من الدول الكبرى ، سبيلا الى التدخل اي تدخل !

من هنا كان الحديث عن تحريك الجيش العراقي لقلب الحكم القائم في سوريا ، آنذاك ، حديث سياسة ...

ولقد اثبتت وقائع المحاكمة في القضية الكبرى ،قضية التآمر على سوريا ،ان نوري السعيد اطلع غازي الداغستاني على اوراق تحتوي سلسلة حوادث موقوتة لاثارة حركة داخلية ضد الحاكمين في سوريا ، بعد معركة قنـاة السويس بحوالي خمسة شهور ، مع اشارة فيها الى حركة يقوم بها الجيش العراقي ، وطلب اليه ، بوصفه معاون رئيس اركان الحرب وفي غياب رئيس الاركان الفريق رفيق عـارف ، اعداد الجيش للعمل . واذا كانت خطـة التحريك الداخلي في سوريا قد وضعت لها التفاصيل وهيئت لها اسباب التنفيـذ ونفذ بعضها ، فإن الاشارة الى تحرك الجيش العراقي ضـد سوريا لم تر النور ولا رسم لها شيء من التفاصيل او من اسباب التنفيذ كالتكديس والتحشيد ، ولم تكلف دائرة من دوائر الجيش العراقي بأي عمل من هذا القبيل . ولما استولت حكومة الثورة على خزائن الجيش ووثائقه ومستنداته السرية ، وفيها كثير مما اعتمدته محكمة المهداوي في كشف تفاصيل المؤامرة على سوريا ، في القضية التي نحن هنا بصددها ، لم تجد اي مخطط او اية اوامر للحركات مبنيّة على ما جاء في اوراق نوري السعيد وغازي الداغستاني من آراء بشأن استخدام الجيش في مساندة حركة داخلية لقلب الحكم في سوريا .

ولعلّ من المفيد هنا ان نورد ما جاء في الاوراق المذكورة من خطط وآراء ، استناداً الى الوثيقة التي تليت في المحكمة :

مصطلحات : تدعى عملية الحركة الداخلية بجميع تفاصيلها «خطة نصر» . تدعى الحركات العسكرية خطة « سيف العرب »

العوامل المهمة جداً والتي يتوقف عليها نجاح الحركة برمتها هي التالية :

١ – تزويد القوة الجوية بطائرات مقاتلة من نوع حديث بسرعة . وهذا العامل مهم لخطة سيف العرب .

الطريقة – اما تطبيق المشروع الذي بحث مع الجنرال تواتيك ، وهـو المفضل والذي يؤمن السرعة ويعزّز بطائرات هنتر تستعجل به بريطانيا ، أو استعارة طائرات تركية (لعل هذا الرأي قد بني على افتراض طلب مساعدة من تركيا بوصفها حليفاً للعراق ضمن حلف بغداد وباسم مكافحة الشيوعية

لان الحكم في سوريا آنذاك كان يتعاون تعاوناً وثيقاً مع الاتحاد السوفياتي ويتلقى منه اسلحة وخبراء ومعدات حتى اشيع ان السوفيات اقاموا قواعد لهم في سوريا وان خبراءهم توغلوا في الادارة السورية الخ) .

٢ – الحيلولة دون وصول المتطوعين الروس بقدر الامكان بحراً او جواً للمداخلة في نجاح عملية « سيف العرب » ، وفي حالة تدخل المتطوعين الروس او القطعات النظامية الشيوعية في جبهتي اذربيجان – راوندوز او سوريا اعتبار ذلك تدخلاً شيوعياً ويطلب تنفيذ مبدأ ايزنهاور فوراً .

٣ – تهيئة الرأي العام العراقي بصورة خاصة والعربي بصورة عامة . فالوضع الحالي بالنسبة للرأي العام هو بجانب الحكومة السورية . وعليه يتوقف النجاح بدرجة مهمة على وضع خطة شاملة قوية من الآن لاستمالة الرأي العام في العراق وفي الدول العربية نحو مقاومة الحركة الشيوعية في سوريا وقبول فكرة التدخل لانهاء ذلك .

المال – تحتاج كلتا خطتي نصر وسيف العرب الى دعم مالي لانجازهما . والارجح وضع مبلغ من المال تحت التصرف على ان يصرف منه ما يحتاج اليه في العمليتين ، وتجري تصفية المبلغ بعد انجاز الحركتين . وقد يتطلب الامر حوالي ثلاثة ملايين من الدنانير لكلتا العمليتين ، هذا عدا ما يلزم من المال لدعم الحكومة الجديدة التي تتأسس بعد نجاح الحركة .

مشكلة الجيش العراقي الرئيسية في الوقت الحاضر هي وسائط النقل (وكلما تقدم التحشد نستخدم وسائط نقل اهلية) مع العلم بان هناك في منهج المساعدات التي قبلته السلطات الاميركية تأمين حوالي الفي سيارة . وعليه يطلب بأسرع ما يمكن تأمين قسم منها على الاقل من اوروبا .

عامل الوقت . يجب الا يتأخر بتنفيذ خطة الحركات هذه اكثر من اللازم لئلا يفسح المجال للعناصر الاخرى التي تقوي مراكزها وتوطد امرها . ونرجح ان الوقت المرجح للتهيئة والشروع بالحركة هو بين ٤٥ و ٦٠ يوماً .

خطط العمل – يجب ان تقسم العملية الى صفحتين مهمتين : الاولى دور التهيوء والاستعداد . والثانية تنفيذ الخطة .

١ – دور التهيوء في خطة نصر : إكمال خطة « غسان » وتمويل المشروع وتعيين وقت شروع محتمل (تنظيم القوميين وجماعـــة صلاح الشيشكلي والضباط الاحرار .)

تنظيم الامر مع العشائر : شمر عنزة، الجبور وملحقاتها ، باتمام توزيع السلاح المهيأ وتعيين وقت شروع بالعمل

– اكمال الاستعداد للعلويين والوقوف على احتياجاتهم الأخيرة وتعيين وقت شروع بالعمل .

– ايصال السلاح الى جبل الدروز وتعيين وقت شروع بالعمل .

– المذاكرة مع جماعة ميخائيل اليان بشأن تنظيم العمـل والوقوف على احتياجاته وتعيين وقت شروع بالعمل .

وفي خطة سيف العرب : ايجاد أسباب مبررة لتمشية القطعات في مناطق الانطلاق ، والأرجح طلب النجدة من الخطر الاسرائيلي ، ومكافحة التهريب ومكافحة المتسللين وضمان الامن على الحدود واعادة النظر في مناطق التمارين

– اجراء التحشد حسب الخطة الموضوعة لعملية سيف العرب .

خطة الدعاية : تهيئة الرأي العام العراقي والعربي ضد التغلغل الشيوعي في سوريا وتبرير احتمال التدخل . ويجب ان تضع لجنة التوجيه والاذاعـة خطة مفصلة لذلك . وتهيئة خطة الدعاية بعد الفوز على ان تقوم بذلك لجنة سرية من عسكريين ومدنيين عراقيين معززة بعناصر مواليـة امثال فرزت المملوك وسعيد تقي الدين وبدوي الجبل وفيصل العسلي وربما تكون برئاسة شخصية عراقية كفاضل الجمالي .

خطة الهيئة الوطنية – تكتيل العناصر السياسية السورية المبعدة او من يلتحق بها باسم « الهيئة الوطنية » والقيام بالحركة باسمها . ويجب التذاكر في ذلك مع ميخائيل اليان ، على ان يشرع بهـا سراً وتبقى سرية حتى يوم التنفيذ .

مقر قيادة للعمليتين – يجب تشكيل مقر قيادة لعملية « نصر » في لبنان

او الاردن ، على ان يدرس ذلك بالتفصيل .

ويجب تشكيل مقر قيادة لعملية سيف العرب . ومن الضروري لتشكيل كلتا القيادتين ادخال عدة عناصر عسكرية ومدنية في السر بصورة مباشرة كلما اقتضت الحاجة ذلك . تصوير سلسلة الحوادث في حملة دعاية قوية ، وتهيئة الرأي العام ، ويعقب ذلك ثورة في كل مكان ، وتقلع انابيب النفط وسكك الحديد والتلفونات ، واعتداء على المخافر العراقية وتطبيق خطة « نصر » بجميع تفاصيلها . وفي خلال هذه المدة الوجيزة واذا لم يتحقق النجاح المنشود من تطبيق خطة « نصر » يشرع حينئذ في تنفيذ خطة « سيف العرب » بطلب من الهيئة الوطنية ، مع الاعتراف بهذه الهيئة كحكومة شرعية لسوريا .

اقتراح ما يجب عمله فوراً : مفاتحة الاميركان بشأن الطائرات والآليات والمال والتأكيد على قضية مداخلة المتطوعين الروس وتنظيم خطة الدعاية ، والبدء في دور التهيوء ووضع الخطط . » *[1]

هذه هي الوثيقة ، وقد نفّذت من خطة « نصر » المتعلقة بالاثارة الداخلية في سوريا اجزاء واخفقت ولكن لم يطبق شيء ، بل لم يعدّ شيء ، من الخطط التفصيلية ولا أتخذت اجراءات تذكر لتنفيذ خطة « سيف العرب » النظرية القائلة بدخول الجيش العراقي اراضي سوريا ...

نعود الى الحكم بالاعدام على غازي الداغستاني فنجد المهداوي وقد خرج به على الناس ، ان في العراق او خارجه ، شديداً حازماً يشعرهم بأن المحكمة العسكرية العليا الخاصة مصممة على ان تصفي الباقين من رؤوس العهد الماضي ، وتحاسب كل من يساق اليها حساباً عسيراً .

كذلك كان شأنها بامر باقي المتهمين في القضية الكبرى فقد حكمت بالاعدام شنقاً حتى الموت وبالطرد من الجيش ، على الفريق رفيق عارف رئيس اركان الحرب ، بعد ان ادانته « بالتغاضي عن نشاط غازي الداغستاني وغيره من المتآمرين على نظام الحكم في سوريا وبالاشتراك بهذه المؤامرة اذ وجدت وثيقة بخط يده واعترف بها وتنطوي على تفاصيل بعض خطط هذه المؤامرة وتحشيد

* ١ ـ من الوثائق المدرجة في كتب وقائع جلسات المحكمة

القوات العراقية في الفرق وتسليح الدروز في سوريا ، رغم انــه اكد ان الحركات العسكرية ما كانت الا للتمرين وان لا دخل له بتسليح السوريين .

وقضت المحكمة كذلك على الزعيم المتقاعد احمد مرعي رئيس الاستخبارات العسكرية العراقية بالاشغال الشاقة المؤبدة وبطرده من الجيش وقد ادانتـه بالاشتراك منذ تعيينه في الاستخبـارات سنة ١٩٥٤ ، بالمؤامرات على سوريا والاتصال باللاجئين السوريين الى العراق وارسال الاسلحة الى سلطـان باشا الاطرش الذي كان ثائراً آنذاك ، وارسال اسلحة اخرى الى هايل السرور وهي التي صادرتها السلطات السورية في منطقة تل طربيل قرب محطة النفط « هـ ٣ » ، والمشاركة بمحاولة زج الجيش العراقي في نزاع مساح مع سوريا وبمعاونة المتآمرين السوريين على اقامة حكومة موالية للعراق او ما اسمته المحكمة «اقامة عرش في سوريا»

وحكم المهداوي في هذه القضية كذلـك على المقدم يوسف محمود بالسجن سنة واحدة وحرمانه خمس سنين ان يكون عضواً في مجلس الامة وفي مجالس الامانة والبلدية والمجالس الادارية والتوظف في الدوائر والشركات والمؤسسات والمصارف والانتماء الى الاحزاب وممارسة الصحافة ، بعد ان أدانته بالقيام بعدة مهات نقل فيها الاسلحة للمتآمرين ولا سيما حسن الاطرش وهايل السرور ، وبالاشراف على ارسال السلاح الى بيروت جواً في دفعتين زنة كل منها ثلاثة اطنان في العشرين من ايار ١٩٥٨ والرابع عشر من حزيران ذلك العام ، ومعاونة عـدد من المتآمرين والتدخل بشؤون لبنان الداخلية بأيصال الاسلحـة المذكورة الى الحكومة اللبنانية آنذاك لمكافحة الحركة القائمة ضدها (اضطرابات لبنـان المعلومة التي نشبت لابعاد رئيس الجمهورية كميل شمعون المنتهيـة مدته ، عن منصب الرئاسة ، وتطورت تطوراً خطيراً كاد يوقع لبنان في اتون حرب اهلية) .

في هذه القضية الكبرى لم يكن المهداوي قد انطلق بعـد على سجيته . كان في بداية عهده يصرف جهـده ، كل جهده نحو تثبيت اركان محكمته وتسلم مقاليد سلطانه . لهذا لم تكن ملاحظاته في مجرى المحاكمة قد برزت بعد ، ولا كان يملك الجرأة على اطلاق لسانه ، كل لسانه ، من العقال يلذع هذا ويسلق

ذاك ويكاد لا ينجو من شرّه احد .

والمناقشات في المحكمـــة ولا سيا مناقشة المتهمين ، هي كما أسلفنا القول ، أحبّ مراحـل المحاكمات الى قلب فاضل عباس المهداوي . ففيها يبرز بكل شخصيته وكل متناقضاته ، من ذرابة لسان الى سرعة خاطر الى خفة ظل ، الى سماجة فوقاحة فصلافة فاسفاف ... من بوارق ذكاء ودقة في الملاحظة وسعة في الاطلاع ، الى ضيق افق وسذاجة بدائية وتغرض أعمى ينحط الى درك الاساليب الصبيانية .

وفي مناقشات هذه القضية الكبيرة شغل المهداوي عن ملاحظاته ومحاضراته ونكاته بالوثائق والحجج التي راح يقارع بها دفاع المتهمين وعلى رأسهم غازي الداغستاني . وليست الوثائق ما اعوز المهداوي في هـذه القضية المكشوفة التي وضع ثوار عبد الكريم قاسم ايديهم على كل ورقـــة من اوراقها وكل مخابرة من مخابراتها ، مجموعة ومرتبة ومهيأة في خزانة حديدية كانت بعهـدة المتهم الاول امير اللواء غازي الداغستاني ، وفي خزائن دوائر الاستخبارات العسكرية .

لقد تولت الوثائق والمستندات الدامغة الكلام في هذه القضيــة ... « حضر الماء فبطل التيمم » على قول المثل ، ولم تكن ادانة المتهمين فيها بحاجة الى براعة المهداوي وغريب اساليبه في تأكيد التهمة واثباتها واقناع المستمعين بها . كانت الارقام والحوادث المسجلة تتكلم ، فصارت المناقشة جافة نسبة الى ما شهدناه في القضايا التالية من بهلوانيات المهداوي والاعيبه ومضحكاته وفلتات لسانه حتى لقبوه في القاهرة بالمهرج ولقبوا محكمته بـ « السرك » و « مرابع الليل » لما اشتدت حملاته عليهم وعلى رئيسهم جمال عبد الناصر .

سأل المهداوي المتهم الداغستاني اثناء المناقشة : هـل كنت تتصور انــك بعملك هذا (تدبير المؤامرات على نظام الحكم في سوريا) تستهدف خير الوطن والامة العربية ؟ فاجاب الداغستاني :

- انا بقدر مايتعلق الامر بي كنت استهدف منــع الجيش العراقي من الالتحاق ...

المهداوي – بزجه ؟

الداغستاني – نعم بزجه . وقد حدث ذلك . فطالما بقيت اشتغل بامر حركات الجيش لم يجر تحشيد للجيش العراقي ولا توريط له في التدخل في سوريا.

وهنا صاح به المهداوي بلهجة التوكيد :

اقول واكرر: لولا ان الثورة ، ثورة ١٤ تموز الخالدة ، ثورة الشعب العراقي العظيمة ، لم تسمح لكم بذلك ، لكنتم نفذتم هذه الخطط ...

ثم شدّد المهداوي لهجته واستطرد منددا بالمتهم غازي : غازي ! هذه المحكمة باسم الشعب . اريد ان اسألك بلسان الشعب الغاضب عليك: لم لمْ تترسم خطى المرحوم الشهيد والدك الذي قتله الانكليز في الحرب العالمية الاولى ويكاد يكون للعراقيين اماماً ؟

الداغستاني – انني لم اتعاون مع الانكليز رغبة في التعاون ...

المهداوي مقاطعاً صائحاً : بلى تعاونت ، واؤكد تعاونك مع الاستعمار واعوانه ضد الشعب العراقي بدل ان تكافئه وتخلص له وتدافع عن حقه السليب وعن حق الأمة العربية في كل مكان .

الداغستاني – لم اتعاون مع الاستعمار البريطاني رغبة مني ...

المهداوي – والأميركي ؟

الداغستاني – ولا الاميركي رغبة مني .

وهنا تهدج صوت المهداوي وعاد الى ذاكرته يبحث فيها عن اشعار الرصافي وصاح : وكلمة الرصافي (التي اصطلح على انها تعني الانكليز) وهو الشاعر الذي حاربه الاستعمار حياً وميتاً والذي يقول :

عبيد للاجانب هم ولكن على ابناء جلدتهم اسود
علم ودستور ومجلس أمة كل عن المعنى الصحيح محرف

الداغستاني – هذا الرمز (الرصافي) لم اختره انا . ولا اعلم من اختاره في المراسلات .

المهداوي – رفيق عارف ؟ نوري السعيد ؟ أم غيرهما من مطايا الاستعمار ،

وانت الذي اعترفت ببلادة نوري السعيد وغبائه وقلت انك انت الذكي .
الداغستاني محتدماً - الرموز يضعها منظم الشفرة . على اي حال اكرّر انني لم اتعاون برغبة مني . كان الدافع ...

وعاد المهداوي يقاطعة ويصيح مقرّعاً : اذا لم تكن كل هذه الخطط وهذه المؤامرات تعاوناً فما هو التعاون ؟

الداغستاني - التعاون يكون لو اني قمت بما طلب اليّ من استخدام الجيش العراقي . ان الامر في ما يتعلق بي كان مفروضاً عليّ من الحكومة . ولست انا من فاتح الدول الاجنبية ولا أنا من ادخلها ، ولم تكن عندي سلطة ادخالها او مفاتحتها . ولو كنت اعمل المؤامرة بكل جوارحي لعملت على حشد الجيش...

المهداوي - اذن لماذا هذه المؤامرة ؟

الداغستاني - هذه المؤامرة هي تجنب لمؤامرة اكبر ولكارثة اكبر ، هي اقتتال الجيش العراقي والجيش السوري ، ولم تحدث .

المهداوي - اذن تعترفون بأنكم عملتم في هذه المؤامرة تجنباً لمؤامرة أكبر .

الداغستاني - انني لم اعمل المؤامرة يا سيادة الرئيس ... لمّا عارضنا في حشر الجيش قررت الحكومة الاستمرار في المؤامرة .

المهداوي - كيف يحشر الجيش اذا لم يكن هذا حشراً للجيش وزجاً له ؟

الداغستاني - كان الجيش سيقوم بغزو سوريا حتى دون وجود حركة داخلية فيها !

المهداوي - هذا تفسير يلائم فلسفتكم الاستعمارية .

الداغستاني - حاشا ان اكون استعمارياً يا سيادة الرئيس .

اما المدعي العام العقيد ماجد محمد امين فقد كان له هو الآخر نصيب في المناقشة والتحليل والاستنتاج . قال في مطالعته الاخيرة التي سبقت الحكم باعدام الداغستاني : «لقد كان عمل المتهم الداغستاني محاولة لحمل دولة اجنبية هي سوريا ، على القيام باعمال عدائية ضد الدولة العراقية او على اشهار الحرب عليها او على الاقل ايجاد الوسائل التي تمكنها من ذلك . وقد ظهر ذلك جلياً

من تفاصيل خطة «نصر» التي تشمل احداث اضطرابات وتخريب داخلي في سوريا ، والقيام بضربة قوية في دمشق تؤدي الى الاستيلاء عليها وتنصيب احد المتآمرين السوريين رئيساً جديداً للجمهورية... كاظهر من تفاصيل خطة « سيف العرب» التي تشمل دخول الجيش العراقي الى سوريا بعد ذلك للمحافظة على الكيان الجديد ، ثم اعتراف الدول المتآمرة (انكلترا واميركا والعراق ومن دار في فلكها) بالحكومة السورية الجديدة . فمن غير المعقول ، والحالة هذه، ان تبقى الحكومة السورية الشرعية مكتوفة تجاه هذه الاعمال وان ما يحتمه العقل والمنطق ان تبادر حالاً الى الدفاع عن كيانها وعن استقلالها ، باعلان الحرب على العراق وردّ الاعتداء عنها باعتداء مقابل .

ان عمله هذا اكثر من مجرد محاولة لحمل دولة اجنبية على اتيان عمل ضد العراق. فقد اجتمع برجال من العهد البائد بصورة غير دستورية واتخذ معهم قرارات ضد ارادة الشعب العراقي، ومخالفة للالتزامات التي تربط العراق بسوريا كميثاق الجامعة العربية وميثاق الضمان الجماعي ، وميثاق هيئة الامم المتحدة ، ومقررات مؤتمر باندونغ .»

ومضى ماجد أمين بصوته الأبحّ يشد على الكلمات ويقول : اما قول المتهم انه موظف يتلقى التعليمات وينفذها فمردود لانه يتجاوز وظيفته معاوناً لرئيس اركان الجيش وقائداً للفرقة الثالثة ، الى تنفيذ المؤامرات . وان ما حاول به تبرير عمله كقوله انه مشى في مؤامرة لدرء عمل اكبر ،انما هو تبرير هزيل ... لذلك يطالبكم الادعاء العام بأن تبيضوا الصفحة التي اراد المتهم تسويدها ، ويتركه لحكمكم العادل بعد ان كشفت سريرته وتعرى من البرقع الذي كان يستر خيانته فبدا على حقيقته . »

وهناك ظاهرة لوحظت في قضية غازي الداغستاني ورفاقه ، وهي ان المتهمين نجوا من الاهانة ومن اتهامات الخيانة يكيلها المهداوي لكل من مثل امامه صبح مساء، في مطلع الجلسة وعند اختتامها، عندما يكون هادئاً ساخراً وعندما يكون غاضباً هائجاً مائجاً . بل ان المهداوي ظل على شيء من

الاحترام للواء الداغستاني بالأخص، وكثيراً ما خاطبه بصفة الجمع : « ماذا فعلتم اذن ؟ لماذا اشتركتم بالمؤامرة ؟ وماذا كنتم تقصدون؟»ولم ينعته ولا مرة واحدة بالخائن كما فعل مع معظم المتهمين الذين تبعوه في القفص ، ان في هذه القضية او في سواها .

لقد كان الداغستاني ورفاقه محظوظين ، بالاقل في هذه الناحية الادبية التي طعن فيها متهمو المهداوي الآخرون في الصميم . ولعل سبب ذلك ان قضيتهم كانت الاولى وان عهد المهداوي كان بعد في مطلعه .

ولقد يكون من المفيد قبل ختام هذا الفصل ، فصل قضية التآمر على نظام الحكم في سوريا تمهيداً لتحقيق الاتحاد العراقي السوري،ان نورد بعض المحاولات الاتحادية التاريخية التي ذكرت في الدفاع عن اللواء الداغستاني واثبات كونه مجرد اداة تنفيذ :

اولاً – في وزارة نوري السعيد الثالثة رفع وزير الخارجية نوري السعيد الى رئيس مجلس الوزراء (نوري السعيد كذلك) كتاباً رقمه/ ٤٨٧٧/ ٣بتاريخ ٢٥ آذار ١٩٣٩ يتضمن ايفاد احد الوزراء لمقابلة رئيس الجمهورية التركية والاتصال برجال الحكومة هناك للتأكد من نوايا الجمهورية التركية بشأن ضم سوريا الى العراق ، فذهب الوزير الموفد الى تركيا واتصل بالمسؤولين الاتراك فعلم بصورة جلية ان الاتراك لا يعارضون ضم سوريا الى العراق ، وان ليس للاتراك مطامع اقليمية في سوريا بعد ان ضمن لهم لواء الاسكندرونة غير ان اندلاع لهيب الحرب العالمية الثانية ادى الى فشل هذا السعي .

ثانياً – قرر مجلس الوزراء في الوزارة الكيلانية الثالثة ، في جلسته المنعقدة يوم ١٩ حزيران ١٩٤٠ القرار التالي : تداول مجلس الوزراء بشأن الوضع الدولي الراهن وقرر ايفاد وزير الخارجية (نوري السعيد) ووزير العدل الى تركيا للمذاكرة مع الحكومة بشأن الامور المتعلقة بالمملكتين » .

وسافر الوزيران وقام وزير العدل بمهمته ولكن نوري السعيد استقل بناحية معينة من المفاوضات ووجع الى بغداد في ١٢ تموز ١٩٤٠ ، وقد سبقته اخبار

مشروع السعيد لاقتسام سوريا بين العراق وتركيا . وجاء في بيان رسمي صدر في ٤ تموز ١٩٤٠ من مديرية الدعاية عن عودة نوري السعيد الى بغداد قوله : «اما ما اذاعته بعض محطات الاذاعة الاجنبية ونشرته بعض الصحف لمناسبة هذه الرحلة ، من الشائعات التي قصد بها تشويش الرأي العام العربي فلا صحة له مطلقاً»

واصدرت الحكومة العراقية بلاغاً رسمياً آخر في ١٤ تموز ١٩٤٠ جاء فيه : «ذكرت وكالة رويتر في برقية مصدرها لندن ان محطتي اذاعة برلين وروما اذاعتا خبراً مفاده ان هناك مشروعاً بين العراق وتركيا لاقتسام سوريا ، ولكن هذا الخبر لا ينطبق على الواقع . .»

ثالثاً - لما احتل الحلفاء سوريا ولبنان من جديد اثر قيام «فرنسا الحرة» بعد استسلام فرنسا للألمان ، اعلن الجنرال كاترو قائد قوات الحلفاء في المنطقة ، استقلال سوريا ولبنان ، واعترفت بهذا الاستقلال دول الحلفاء جميعاً وفيها فرنسا وانكلترا واميركا ، الا العراق فقد امتنع عن الاعتراف واخّر ذلك حوالي عامين كاملين . وقد شكل نوري السعيد وزارتيه السادسة والسابعة وبقي في الحكم من ٩ تشرين الاول ١٩٤١ الى ٣ حزيران ١٩٤٤ ، واصرّ بعناد على رفض الاعتراف باستقلال سوريا حتى ايلول ١٩٤٣ .

رابعاً - اتفاق الكرام (الجنتلمن) فقد ذهب وفد عراقي في وزارة الايوبي الثانية لتصفية الجو بين مصر والعراق . وعقد الوفد اتفاق كرام مع مصر ينص على ان تمتنع كل من مصر والعراق مدة خمسة اعوام من التدخل في امور سوريا الداخلية ، على ان يشمل ذلك ، في ما يشمله ، مشروعي سوريا الكبرى والهلال الخصيب .

ورجع الوفد جواً يوم ٣٠ كانون الثاني ١٩٥٠ فعُقِدَ مؤتمر في قصر الرحاب لدراسة الاتفاق المذكور فعارضه القصر ورفع رئيس الوزراء استقالته في اول شباط ١٩٥٠ ، وجاء فيها ما يلي :

« ذهب وفد من وزيري الخارجية والمعارف الى مصر . ورجع الوفد الى بغداد بعد ان قام بمهمته احسن قيام فأتى بمقترحات اطلع القصر عليها وهي ترمي في ما

ترمي الى اعادة الثقة في جو العلاقات المصرية العراقية والاستقرار الى بعض البلاد العربية (سوريا) وذلك تسهيلاً لخلق جو عام مشبع بشعور الاخوة والمصلحة المشتركة بين الدول العربية حتى تتحقق بواسطتها اهدافنا القومية . ولقد ظهر من المحادثات في القصر ما يشير الى عدم حظوتها بالقبول السامي. فلهذه الاسباب وللاسباب الاخرى اتقدم واسترحم الموافقة على قبول استقالتي .»

خامساً – وقعت في سوريا ثلاثة انقلابات عسكرية في العام ١٩٤٩ ، الاول الانقلاب الذي قام به حسني الزعيم في ٣٠ آذار ١٩٤٩ ، والثاني الانقلاب الذي قام به الزعيم سامي الحناوي في ١٤ آب ١٩٤٩ والثالث الانقلاب الذي قام به العقيد اديب الشيشكلي في ١٩ كانون الاول ١٩٤٩ ، وكانت الغاية من محادثات وفد حكومة الايوبي في القاهرة ومن اتفاق «الكرام» الذي تم الوصول اليه هناك وقف حوادث الانقلابات العسكرية في سوريا وتجميد كل نشاط سياسي داخل سوريا وترك الامور للسوريين انفسهم يعالجونها وفق مصالحهم . ولكن القصر رفض الاتفاق المذكور واصر على متابعة النشاط . وهكذا كان .

قضية رشيد عالي الكيلاني

رشيد عالي الكيلاني اشهر من ان يعرّف باسهاب . فهو المعروف ببطل ثورة ١٩٤١ في العراق والمتعاون الاول مع الالمان الذي هرب الى المانيا بعد اخفاق ثورته وترسيخ الانكليز اقدامهم في العراق . وهو الذي غاب طويلاً عن مسرح السياسة العراقية والتجأ حيناً الى المملكة العربية السعودية واختفى حيناً آخر في اوروبا ، وعاد فظهر في مصر بعد الثورة على الملك فاروق وتولي اللواء محمد نجيب الحكم ومن بعده جمال عبد الناصر . ثم رجع الى العراق بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التي استولى فيها الزعيم عبد الكريم قاسم على زمام الحكم ، وتعاون مدة قصيرة مع حكومة الثورة اذ احسن عبد الكريم قاسم وفادته ، ودلت كل الظواهر على انهما متفاهمان ومتعاونان.حتى ان حكومة بغداد اصدرت بياناً رسمياً يعلن هذا التفاهم لما تقابل قاسم ورشيد عالي اول مرة . ولكن سرعان ما حامت الشبهات حول نشاط الكيلاني وتعاونه مع خارج العراق ، وبالاخص مع المصريين ، وكثرت الشكوك في ولائه لقاسم بعدما سجلت عليه انتقادات ومآخذ ،فقدم الى المحاكمة سراً امام المهداوي اول مرة بتهمة المشاركة بمحاولة انقلاب ثبتت على مبدر الكيلاني وعبد الرحيم الراوي . واعتبر ذلك هزة له وتحذيراً ، اذ سرعان ما قررت محكمة المهداوي براءته ، بل ان المهداوي اعتذر له وصافحه وتبادلا عبارات الود والاخاء بعد انتهاء المحاكمة .

قال المهداوي ، في احدى جلسات محكمته يروي ما حدث :

« رشيد عالي الكيلاني حاكمناه واصدرنا حكمنا ببراءته في المحاكمة الاولى... طالت محاكمته من المساء حتى طلوع الشمس . ولما اردت ان اخرج من المحكمة

رأيته ينظر اليّ فاقبلت عليه وصافحته قائلا : معذرة يا استاذ . الواجب شيء والمعاتبة شيء آخر . فقال لي : اني اشكر عدالة المحكمة واشكر لطفك واخلاقك . ارجوك ان تخبر الزعيم (عبد الكريم قاسم) كي يتم خروجي من العراق صباحاً بالطائرة .

برأت ساحته يومذاك وما كنت اعلم حقيقة طويته ، واذا بها تتكشف لي بعد حين فأعرف انه كان يخاف من اعترافات بعض العارفين بما يدبره من مؤامرات . وقد جاء هذا الاعتراف الذي كان يخشاه من مبدر الكيلاني ، ابن اخيه ، ومن المحامي عبدالرحيم الراوي اللذين حكما هما الآخران بالاعدام في المحاكمة السرية الاولى لتآمرهما على سلامة الدولة . واذا بالاعتراف يدين رشيد عالي بالخيانة ويكشف انه عندما نزل من الطائرة في بغداد كان متآمراً وكانت مؤامرة مدبرة منظمة . وقد جاءت برقيته الى صاحب جريدة « الزمان » تدينه وتثبت تآمره مع جمال عبد الناصر ... انه يبشره بالوحدة . قال ابن اخيه مبدر الكيلاني في اعترافه :

« لما نزل عمي من المطار في بغداد آتياً الى العراق بعد غياب طويل ، كان معه «شنو يسمونو» ورقة ، بطاقة على بياض ، «كارت بلانش» ، بطاقة مفتوحة من البنك الفرنسي ، بواسطة صراف يهودي وبواسطة اليهودي الآخر خضوري شوعة وشخص لبناني موظف في البنك الفرنسي ، يدعى ناصيف صوايا ، مسيحي ! اجل مسيحي » .

وهنا تحمّس المهداوي . وهو من عرف اثناء المحاكمة ، بتمييزه في الأديان رغم ترديده بين حين وآخر : لا فرق بين العقائد والأديان ، ولا بين عرب واكراد ، وأشوريين وتركمان الخ ... تحمس المهداوي وقد سمعه النظارة ، مرات عديدة يحمل على الزعيم البعثي السوري ميشال عفلق ويطعن فيه ويغمز من عقيدته ودينه ويندّد بالبعثيين العراقيين لأنهم تبعوه وعملوا بتعاليمه رغم ان اسمه ميشال ، اي مسيحي ... قال المهداوي : ميشال ؟ وهل في الاسلام ميشال ؟ اين دينكم (مخاطباً الضباط البعثيين المتهمين بالاشتراك في ثورة الموصل ؟)

قلنا : تحمّس المهداوي وهو يتحدث عن صوايا اللبناني الموظف في البنك

الفرنسي وتعاون رشيد عالي الكيلاني معـــه فصاح : اين دينك يا رشيد عالي الكيلاني ؟ اين طريقتك الكيلانية ؟ كاذب دجّال ، كل رأسماله انه رشيد ثورة ١٩٤١ وهي الثورة التي فرضت على البـــلاد فرضاً وظهرت حقائقها . اقرأوا مذكرات تشرشل ومذكرات الجاسوس في الصحراء العربية. انه قام يتآمر... وعلى من ؟ علينا نحن المثقفين الشرفاء الاحرار ، نحن المناضلين الشرفاء الاحرار.

ولنذكر هنا ان عبارة « المثقفون الشرفاء الاحرار » من النغمات التي تكاد تسمعها في كل جلسة من جلسات المهداوي بالاقل مرتين . انه يعتز بكونه مثقفاً ويميز نفسه ورفاقه بالشرف عن سائر المثقفين . وقـــد كان لهذه العبارة غالباً مدلول سياسي يقصد بـــه الشيوعيون ، رغم ان المهداوي ردّد مراراً انه ليس شيوعيـــاً وحمل على جماعة الجمهورية العربية المتحدة لأنهم يتهمونه ورفيقه ماجد محمد أمين بالشيوعية ...

بعد المحاكمة السرية الأولى التي أعلنت فيها براءة رشيد عالي الكيلاني ، بقي في بغداد تحت المراقبـــة الشديدة وفرضت عليه الاقامة الاجبارية ... ومن قائل ان سراحه انمّا أطلق عن عمد حتى تختمر الشكوك التي ظهرت حينذاك بشأن تآمره لقلب حكم عبد الكريم قاسم ، وان اعـلان براءته كان امعاناً في تمهيد السبيل للايقاع به اذا ما أصرّ على التآمر ، والقبض عليه بالجرم المشهود .

لم يلبث عبدالكريم قاسم ان أمر باعتقال رشيد عالي ومحاكمته ثانية، استناداً الى اعترافات ووثائق.وحوكم الكيلاني مرة اخرى بالسرّ ، وثبت عليه استناداً الى اعترافات ابن اخيه وعبد الرحيم الراوي ، بعـــد الحكم عليهما بالاعدام ، تآمره مع هـــذين الشخصين ووجوده على رأس مؤامرة لاثارة حركة في الجيش واقامة تظاهرات معادية للحكم القائم بحجة انـــه يسلم البلاد للشيوعيين ويبيعها للروس ، وتمهيد السبيل لتوحيد العراق والجمهورية العربية المتحدة . وقد حكم عليه المهداوي بالاعدام شنقاً حتى الموت كما حكم على المتهمين الآخرين الرئيسيين بالموت وهما مبدر الكيلاني وعبد الرحيم الراوي . ولكن احـكام الاعدام لم تنفذ لأن اللواء قاسم احتفظ بها مع سواها من احكام الموت الصادرة عن محكمة

المهداوي ، مدة طويلة قبل ان يبت بأمرها ، معلناً مراراً ان الرحمة فوق القانون وانه يؤلمه ان يرى مئات الأسر العراقية تفجع بأربابها وابنائها اذا ما نفذت فيهم احكام الاعدام .

في هذه القضية لم تتح للمهداوي فرص عديدة من الفرص الذهبية التي طالما غنمها في مجرى محاكماته العلنية ، ليسمع الجماهير ملاحظاته ويري مشاهدي التلفزيون حركاته في ملاحقته المتهمين والتضييق عليهم واحراجهم ، او في اهانتهم والتنكيل بهم شر تنكيل . فالمحاكمة سرية ، لا اذاعة ولا تلفزيون ، لا مصفقون ولا هتافون ، لا نظـارة ولا مستمعون ... لا مثقفون ولا شرفاء ولا احرار يتفلسفون ويوزعون على البشر علماً وثقافة ومعرفة .

هناك حكمة شائعة بين العراقيين من خصوم المهداوي والمبتلين بمرض المهداوي تقول : افضل محاكمات المهداوي طراً هي محاكمة رشيد عالي لأن الناس لم يروها ولا سمعوها .

وهناك حادثة يرويها البغداديون في مجالسهم الخاصة لتفريج كربتهم ، على ذكر المثقفين الشرفاء الاحرار . هذه الحادثة هي ان عراقياً دخل احد الملاهي اثناء اذاعة كلمة للمهداوي بمناسبة الذكرى السنوية الاولى لتأسيس المحكمة المهداوية ، وهتف على مرأى المئات من الجالسين ومسمعهم :

« اشهدوا ايها الاخوان اني لست مثقفاً ولا شريفاً ولا حراً » .

قالها من اعماق اعماقه وهتف بها عالياً على رؤوس الاشهاد ولو جاءه الشرطة وساقوه الى حيث لم يعرف مصيره احد ...

اذن ساد قضية رشيد عالي الكيلاني صمت مطبق « فحرم » النـاس مشاهد ومواقف مثيرة . ولكن المهداوي لم يدع بعـد ذلك فرصة تمر ، اثناء المحاكمات الاخرى ، دون ان يغتنمها لكيل مسبة او شن حملة على رشيد عالي : « جاسوس ! خائن ! ناكر جميل ! عميل الاجنبي » الى آخر المجموعة يرسلها المهداوي من فـمه حمماً بصوته الصاعق ونبراته الجارحة ولفظه المفخم .

وكاد المهداوي لا يدع جلسة تمر دون ان يذكر الناس ويذكر من ورائهم

زعيمه الاوحد عبد الكريم قاسم بحكم الاعدام الصادر على رشيد عالي الكيلاني والباقي على مكتب رئيس الوزراء القائد العام دون تصديق ولا تنفيذ . وقد توالت المطالبة في العرائض والهتافات الشعبية وفي عدة صحف بتنفيذ احكام « محكمة الشعب » حتى ضاق عبد الكريم قاسم بهذه المطالبة ذرعاً فقال مرتين او ثلاث مرات في خطبه :

« دعوني اقرّر ما اراه مناسباً . فالامر لي وحدي والقرار لي بمفردي . من صنع الثورة ؟ وهل اخطأت في قراراتي حتى الآن ؟ انني اعرف منكم بما يجب ان افعل . انني لا اخطىء ! »

لقد دأبت جماعات في العراق وفي مقدمتها الشيوعيون ، على السعي لاحراج عبد الكريم قاسم بطلب تنفيذ احكام الاعدام . ولكنه لم يتراجع عن موقفه ، ولم يعدم اي سياسي في العراق تنفيذاً لحكم من احكام المهداوي . كل ما في الامر ان تسعة ضباط ومدنياً اعدموا تنفيذاً لحكم المهداوي عليهم في قضية حركة التمرد العسكري في الموصل بزعامة العقيد عبد الوهاب الشواف .

لقد تسلح قاسم في بداية الامر بضرورة دراسة ملفات الاحكام بالاعدام لتبرير إعراضه عن تنفيذ احكام الاعدام الصادرة عن « محكمة الشعب » . ثم تسلح بالرحمة واكد مراراً انها فوق القانون وحذر مستمعيه في مختلف الفئات والجماعات، من ان ينتزعوا الرحمة من قلبه فتحل محلها القسوة والبطش .

وهكذا بقي الحكم باعدام رشيد عالي الكيلاني شنقاً حتى الموت، مجمداً في عداد احكام الاعدام المجمدة . ولم تنفع في تحريكه او تحريك سواه كل التظاهرات والعرائض والمراجعات ، وكل طرق التلويح « بقميص عثمان » المؤامرات . ولقد اعتاد المطالبون بالتنفيذ ان يلوّحوا بوجود مؤامرة كلما طاب لهم ان يصلوا الى غرض من اغراضهم، واتخذوا الحديث عن المؤامرات وسيلة للتطاول على الآخرين بحجة الدفاع عن سلامة الجمهورية، حتى برم قاسم بهذه الغيرة المضرية على الجمهورية فصاح بهم : « دعوا قمع المؤامرات لي . لا تتكلموا بعد ، عن مؤامرات فليست هناك مؤامرات ... سأسحق اكبر مؤامرة في لحظات . الم أسحق مؤامرة رشيد

عالي الكيلاني الذي خاننا بعد ان اويناه ؟ »

وللواء قاسم في قضية الكيلاني مواقف اخرى ابرزها ما يكشفه من وجود وثائق احتفظ بها دون ان يقدمها الى المحكمة . قال عبد الكريم قاسم :

« من الذي قام بثورة ١٩٤١ ؟ هل هو رشيد عالي الكيلاني ام الجيش هو الذي قام بها ؟ ومع ذلك نكـّل الكيلاني بالرجال وتآمر علينا بعد ان ارجعناه واويناه . ان لدينا مسـّجلات تدينه ولكني لم اعطها للمهداوي .

اما ألوف الدنانير التي صادرناها في قضية الكيلاني فقد اعطيتها للجنود ولكنهم رفضوها قائلين : كلا ! اننا لا نأخذ ثمن الخيانة ... ان القضاء على المؤامرات ، ايها الاخوان ، من صميم عملي . »

ولقد اعتاد المهداوي كل جلستين ان يذكـّر بقضية رشيد عالي أو قضية عبد السلام عارف ، فيهاجم هذا ويندد بذاك : مؤامرة ، استعمار ، نكران جميل ، صهيونية ، ماسونية ، عبد الناصرية الخ ..

قال المهداوي ، اثناء محاكمة الزعيم ناظم الطبقجلي واخوانه الضباط بتهمة مساعدة العقيد عبد الوهاب الشواف في حركة تمرد الموصل : « يدعون ان الجمهورية العربية المتحدة لا تتآمر على جمهوريتنا ولا دخل لها في ثورة الموصل وغير ثورة الموصل ، فماذا ذهب رشيد عالي يصنع في القاهرة ؟ كان رشيد عالي في دمشق فلما وصله نبأ موافقة الحكومة العراقية على عودته الى العراق عاد الى القاهرة واجتمع بعبد الناصر ... لقد أراد عبد الناصر ، بعد ان رأى ان عبد السلام عارف لايتمكن من تدبير مؤامرة سريعة لضم العراق الى الجمهورية العربية المتحدة ، الى « الماسونية المتحدة » ، رأى من الاصوب ان يتعامل مع ناكر الجميل رشيد عالي الكيلاني ... والتفاصيل مسجلة في شرائط ، ونحن بانتظار ان يتفضل الزعيم الاوحد باذاعتها على النـــاس . ولكل شيء وقت ، كما يقول الزعيم . »

وهنا اخذت المهداوي نوبة خشوع وتأليه عند ذكر الزعيم قاسم ، وكان الزعيم قبل يومين قد اعلن عبارته الشهيرة وهي : « انني اؤيدكل كلمة وكل حرف

يتفوه به المهداوي » فصاح :

« انما انا تلميذ من أبسط تلامذة عبد الكريم قاسم . انا جندي مطيع مخلص لعبد الكريم قاسم . انا تابع في وشائج القربى لعبد الكريم قاسم . انا لفظة من لفظات عبد الكريم قاسم . كيف لا وهو الذي كان يعلمني وانا طفل في المدرسة (كان قاسم معلم مدرسة قبل ان يدخل الجيش) التي كانت تحمل اسم الشاعر الخالد الرصافي ، شاعر الامة العربية ... كنت ورفاقي في هذه المدرسة نرى حيوية عبد الكريم قاسم . »

ثم اخذ المهداوي يروي كيف وعده قاسم ، قبل سنين وسنين بأن يجلسه ذات يوم على منصة المحكمة ليقاضي حكام العراق ، مشيراً الى ايام ثورة المرحوم محمد جعفر ابي التمّن وصحبه من زعماء العراق الثوريين الذين ماتوا شرفاء ولم يتلوّث تاريخهم بلطخة سوداء من العار والخيانة والاجرام ، فقال :

« اذا كان الزعيم قاسم قد وعدني قبل خمس عشرة سنة بصعودي الى هذه المنصة التي شرفني الجلوس عليها ، وذلك صحيح وله شهود ومنهم اخي وصفي طاهر والمقدم عبد الرزاق الزبيدي وفاضل زكي العزاوي وابن عمي محمود حسن صبري وغيرهم من الكثيرين الذين كانوا يستمعون الي وانا احمل العصا على انها مطرقة القاضي ، واحاكم الخونة المجرمين واحلم بهذا المنصب الذي شرفني به الشعب والزعيم قاسم ، فاني اريد ان اذكّر الزعيم بانه لم يعمل لهذه الثورة منذ عشرين سنة فقط بل كان يعمل لها منذ ما يقارب ربع قرن .

انني اذكر هذه الحادثة التي وقعت منذ ذلك الحين .. كان الزعيم قاسم يومذاك برتبة ملازم ثان وكنت موظفاً في دوائر العدل ولم تتجاوز سني واحداً وعشرين عاماً . كنا راجعين في فجر احدى الليالي ، ليالي الشباب ، الى بيتنا ، فصادفنا الدكتور عبد الغني عبد اللطيف ، من محلتنا او من محلة قريبة من محلتنا ، فقال للزعيم :

« لم هذه الاشادة الزائدة بالجيش يا عبد الكريم ... وكان الزعيم يحدثني عن الجيش واعماله فيه . فأجاب : « ولم لا اشيد بذكر الجيش الذي هو من الشعب

والى الشعب ؟ »

وكان الدكتور عبد الغني عبد اللطيف يلبس « الغولف » ويبدو شاباً وسيماً رشيقاً ، فما كان من الزعيم الا ان بادره بهذه العبارة التاريخية : « سترى من ينقذ الشعب » .

وهتف المهداوي من الاعماق : « اذن يا سيدي وزعيمي اذا كنت تؤيدني في كل حرف او كل كلمة تصدر عني فأني بك ومنك واليك ، يا زعيم الشعب وقائده المفدى ، يا قائد الملايين العراقية . نحن جنودك الابرار لا نبالي بالمنية ! »

وعاد المهداوي الى واقعه ، الى القضية التي يعالجها ، قضية حركة الموصل وذكريات مؤامرة رشيد عالي الكيلاني وما يحسبه لها من اغراض تتعلق بضم العراق الى الجمهورية العربية وجعلها اقليماً شرقياً يضاف الى الاقليمين الجنوبي والشمالي ، فانفجر في سورة غضب على الرئيس جمال عبد الناصر يندد بما يسميه مطامعه في العراق ونفط العراق وثروات العراق ، ويقول ويخلط في القول :

« ان هذا المتزعم للقومية العربية وهو بعيد عنها ، كان له رصيد في العراق قبل ثورة العراق العظيمة في ١٤ تموز الخالدة ، ولكنه اضاعه لما ظهرت اطماعه في العراق . ان العراق حرّ قبل ان يخلق الفراعنة ، قبل عشرات بل مئات القرون . ومن يحب ان يعرف المزيد عنه عليه مطالعة الكتب العلمية ... هذا الهتلر الصغير والفرعون الفطير قد حسب ان العراق لا يختلف عن بعض الشعوب البدائية او كما نقول نحن « عرب جرب » . من هو العراق ؟ ما شأني بالعراق ؟ اني اريد نفط العراق ... قزّ القرد ما ينطيك العراق !

قالها المهداوي بغضب وصوت ابحّ حتى كادت تتمزق حنجرته وسط عاصفة من التصفيق المعهود ... وقزّ القرد شتيمة بالكردية مشهورة في العراق وسوريا. ولعلّ اكثر ما يصفق له نظارة محكمة المهداوي سباب المهداوي وشتائمه والخشن من غمزاته .

لقد اخذت المحكمة على رشيد عالي الكيلاني اشتغاله لحساب عبد الناصر من اجل ضم العراق الى الجمهورية العربية المتحدة . وجاء في قرار التجريم قوله

ملخصاً القضية :

«علمت الجهات المسؤولة ان هناك مؤامرة تدبر على جمهوريتنا الحبيبة ، وان هناك خطراً على سيادة الزعيم الاوحد عبد الكريم قاسم، لذلك انتدبت الجهات المعنية بالامر كلاً من الرئيس حسون الزهيري والملازم الاول احمد محسن العلي والمحامي عبد الرسول الصراف والسيد جاكوب بلاكن والملازم الاحتياط محمد حسن سميسم ، فاجتمع هؤلاء وكونوا جمعية وهمية اسمها «الاخاء العربي» وغرضها تغيير الوضع القائم بالقوة (كانت مداورة سياسية للايقاع بالمتآمرين على نظام حكم قاسم) واجتذبوا عبد الرحيم الراوي الى جلسات عقدوها معه في بيت جاكوب بلاكن في ٤ و ٥ و ٧ كانون الاول ١٩٥٨ بعد ان اعدوا جهازاً للتسجيل وسجلت اقواله على ثلاثة اشرطة في ثلاث جلسات . وقد تضمنت اقواله استعداده وشركاءه للقيام بمؤامرة تستهدف قلب نظام الحكم يؤازرهم في ذلك بعض العشائر ويزودون بالسلاح حالا عند القيام بالاضطرابات. وسيكون رئيس الحكومة القادمة رشيد عالي الكيلاني .

واتصل الملازم الاول احمد محسن العلي بعبد الرحيم الراوي ومبدر الكيلاني فاستحصل منهما على مبلغ الفين وخمسمائة دينار ومسدسين ورشاشين بحجة مؤازرتهما في اغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم . وقد ضرب المجرم عبد الرحيم الراوي ليلة ٩ الى ١٠ كانون الاول ١٩٥٨ موعداً للمؤامرة . ولذلك بادرت الحكومة الى فضح المؤامرة والقبض على المساهمين بها ، وعثرت على كمية من الاسلحة في بيت مبدر الكيلاني تضمنت رشاشات وبنادق ومسدسات وسكاكين وفؤوساً وآلات راضة فجرى التحقيق مع كل من عبد الرحيم الرواي ومبدر الكيلاني ورشيد عالي الكيلاني واحيلوا الى المحكمة العسكرية وحوكموا وأصدرت المحكمة احكامها عليهم وهي الاعدام لمبدر الكيلاني وعبد الرحيم الراوي والبراءة لرشيد عالي .

وفي ١١ كانون الأول ١٩٥٨ (اي بعد صدور الحكم المذكور باعدام مبدر وعبد الرحيم) أظهر المحكومان مبدر الكيلاني وعبدالرحيم الراوي استعدادهما

للاعتراف كاملا بالمؤامرة وبأداء شهادتيهما عن المساهمين بها ، لذلك فتح التحقيق وضبطت شهادات الشهود على ضوء اقوالهما ، وضبطت افـادة المتهم رشيد عالي الكيلاني وأحيل الينا بموجب امر احالة جديد وتهمة جديدة . وقـد اعترف الشاهدان المذكوران بأن المتهم رشيد عـالي الكيلاني أبدى تذمره الكثير من وضع الحكومـة الحاضرة ، في مجالسه الخاصة ، سواء امام ابنـاء العشائر او العسكريين او المدنيين ، وحرّض كلا من عبد الرحيم الراوي ومبدر الكيلاني على القيام بالمؤامرة والاتصال برجال دولة اجنبيـة والتزود بالمال والسلاح من الرجـال المذكورين ، واشراك افراد العشائر وبعض افراد الجيش بالمؤامرة المذكورة ، وابعاد الزعيم عبد الكريم قاسم عن الحكم بأي ثمن كان ...

وقد قال عبد الرحيم الراوي في اعترافـه ان رشيد عالي الكيلاني كان ينتقد الوضع بشدة ويعزو ذلك الى بعض الحوادث التي وقعت في النجف ، بالاضافـة الى تذمر بعض شيوخ العشائر من قانون الاصلاح الزراعي . لذلـك اجمع عبد الرحيم ومبدر ورشيد على ضرورة قلب نظـام الحكم. فأتصل مبدر الكيلاني بموظفي دولة اجنبية (درجت محكمة المهداوي على تسمية الجمهورية العربيـة المتحدة بالدولة الاجنبية بدل قولها دولة عربية اخرى) واخذ منهم وعداً بالمعاونة بالمال والسلاح. واجتمع احدهؤلاء الموظفين، ويدعى محمد بمبدر الكيلاني ورشيد عالي في بيت مبدر ، وتم الاتفاق على ارسال المال عن طريق جورج اسعـد صوايا الموظف في البنك العقاري الفرنسي في لبنان الى اخيه ناصيف اسعد صوايا الموظف في البنك الوطني للتجـارة في بغـداد ، ويسجل المبلـغ بأسم مبدر الكيلاني . ثم ان موسى مجيد علاوي تلقى برقية من جورج صوايا يقول له فيها. ستصلك بدلة شتاء سلمها الى ناصيف . واخيراً وصلت خمسة آلاف دينار مكان البدلة وسلمت الى ناصيف ومبلغ خمسة آلاف اخرى وصل الى ناصيف كذلك عن طريق الصراف خضوري شوعة اليهودي بموجب برقية صادرة من بيروت ومن ابن الصراف اليهودي خضوري المسمى يهوذا والملقب بلطيف ، وقـد رمزت البرقية الى المبلغ بخمسة بالات وايل (قماش) .

وقد وزع مبدر الكيلاني ٤٥٠٠ دينار على عبد الرضا عبد الكاظم الحاج سكر و ٥٠٠٠ دينار على هزاع و ٢٥٠٠ دينار على الملازم الاول احمد محسن العلي من جمعية الاخاء العربي (الموهومة) و ١٠٠٠ دينار على عبد الرحيم الراوي . واعترف الشاهد عبد الرضا الحاج سكر بانه تسلم مبلغ ٤٥٠٠ دينار من مبدر الكيلاني لتوزيعه على العشائر من اجل القيام بالعصيان ، وان مبدر قال له ان المبلغ من الجمهورية العربية المتحدة وان عبد الرحيم الراوي عين ليلة ٩-١٠ كانون الاول ١٩٥٧ موعداً للبدء بتنفيذ المؤامرة ، واخبر رؤساء العشائر بالموعد المذكور وبعلم رشيد عالي . ثم اكد مبدر ان الاتفاق تم مع موظفي الجمهورية العربية المتحدة على اعطاء مبلغ ٢٥ ألف دينار ، ولم يمانعوا بجعل الحساب مكشوفاً ، باسم رشيد عالي الكيلاني على ان يغطّوه هم . كما ايد مبدر ان البيان الذي اعد ليذاع بعد القيام بالحركة كان بخط المتهم رشيد عالي الكيلاني . وقد تضمن البيان شرح ما وصلت اليه حالة البلاد من سوء وانشقاق في صفوف ابناء الشعب ووقوع الحكم بيد رجل الشارع . وعليه قام هذا الانقلاب لاعادة الطمأنينة الى النفوس والثقة بالنفس . وقد استأجر المتآمرون داراً في بغداد قبل بدء الحركة بحجة مجيء خبير الماني لتأسيس معمل تصليح سيارات في مرأب سالم الكيلاني شقيق مبدر الكيلاني وابن اخ المتهم رشيد عالي الكيلاني وبناء على فكرة المتهم المذكور ، بينما كان الغرض من الدار اتخاذها مقراً لادارة حركة الانقلاب

وكانت صفحة التنفيذ في خطة المؤامرة تقضي بأن يقوم افراد العشائر بالعصيان والتخريب واحداث الاضطرابات حتى يقع انشقاق في صفوف العسكريين وابعاد الزعيم الأوحد عبد الكريم قاسم بأي وسيلة كانت حتى ولو باغتياله ، ومن ثم تأتي الأسلحة من الدولة الاجنبية (الجمهورية العربية المتحدة) سواء بتسليمها في موقع على الحدود بعد اعطاء كلمة السر وهي « عرعر » او ايصالها الى افراد العشائر من الجو » .

ومن عجائب ما تضمنه قرار التجريم كذلك قوله : « لقد ثبت ان المتهم رشيد عالي الكيلاني يريد اعادة الاقطاع الى العراق ، ذلك النظام الذي ساد

اوروبا في القرون الوسطى حين خلت اوروبا من كل مقومـــات الحضارة ايام كانت سادرة في ظلام الفكر والعقل ، كأن المتهم لم يعرف مآسي الاقطـاع في العراق حيث ترك الفلاح في لباس أشبه بالعري وفي طعـــام تلفظه الحيوانات ، وسلبت خيرات الفلاح لتصرف على موائــــد الخمر وتنفق في الاصطياف وعلى الراقصات . كأنما نسي المتهم ان الاقطاع هو دويلات في دولة، ولا تستقيم الحياة الحرة الكريمة في نظام اوروبي يرجع الى سبعة قرون .

يريد المتهم ان يبقى مكسب الفلاح السنوي وعائلته عشرة دنانير وذلـك بتقرير الخبراء ، مع العلم بأن من أهم مكاسب الثورة الغاء نظام دعاوى العشائر وسن قانون الاصلاح الزراعي اضافـة الى مكاسبها الثمينة الاخرى . واقتنعت المحكمة بأن المتهم المذكور هو ربيب الاقطاعي المتخفي بقناع الوطنين القوميين الزائفين ، وانه صنو نوري السعيد الذي كان ربيب الاستعمار السافر ،وان الاستعمار والاقطاع يسيران جنباً الى جنب فهما توءمان .

وقد ثبت من اعتراف المتهم ان سيادة الزعيم الأوحد عبد الكريم قاسم هو الذي وافق على اعادته دون الآخرين فأنكر بتآمره هـذا جميل الزعيم وجميل الجمهورية عليه... وثبت اتصال المتهم بالدولةالأجنبية (الجمهورية العربيةالمتحدة) وعقد مع مأموريها الرسميين عدة اجتماعات ، سواء مباشرة أو بالواسطة ، وتسلم المال منها بواسطة ابن اخيه مبدر الكيلاني واتفق معهم على مده بالسلاح المتهيء في مكان ما على الحدود لتوزيعه على المتآمرين للقيام بالمؤامرة على سلامة الجمهورية وزعيمها الاوحد عبد الكريم قاسم،وبذلك حاول ان يمكن تلك الدولةالاجنبية من اتيان اعمال العداء ضد الجمهورية العراقية ، واوجد لها الوسائل التي تمكنها من القيام بها . »

وعلى اساس قرار التجريم هذا حكمت المحكمة على رشيد عالي بالاعدام شنقاً حتى الموت .

ولقد دافع رشيد عالي عن نفسه فقال ان ليس ثمة مـــا يدينه سوى اقوال المحكومين ، وقد ادليـا بها بعد الحـكم باعدامهما ، وان المحكمة برأت ساحته في

القضية ذاتها اول مرة ، فكيف تعود الى محاكمته ؟

وقال الكيلاني : انما انا شيخ طاعن في السن ، قاربت السبعين ومصاب بامراض خطيرة عدة تمنعني من ارهاق نفسي . وقد امرني الاطباء لما كنت في القاهرة بالابتعاد عن كل عمل مرهق لجسمي وفكري معاً . انني مريض في قلبي وفي كبدي ومصاب بالقرحة في معدتي وبصداع مزمن اعانيه منذ ثلاثين او اربعين سنة . انني عازف عن المنصب او الجاه ولا اطمع في الحكم ، فأنا عاجز حتى لو كلفني الزعيم بمهمة عن ان اقوم بها . كيف يمكنني ان اسهر عشرين ساعة كما يسهر الزعيم الاوحد ؟

وقال رشيد عالي عن الوحدة : تفضل الادعاء العام في بيانه فقال ان الوحدة انا اريدها فورية . كلا يا سيدي ابداً ليست فورية . ان للوحدة ظروفها الملائمة ولها وقتها المناسب . ان العراق يحتاج الى فترة انتقال . وهذه قضية مصر ، عندما قاموا بثورتهم لم يستطيعوا ان يحققوا شيئاً الا بعد فترة انتقال استمرت ثلاث سنين . وخلال هذه الفترة لو لم يكن عليهم بعض الالحاح وغيره (يقصد الألحاح في تحقيق الوحدة المصرية السورية) والله لما كانوا يستطيعون الانتهاء من هذه الفترة في ثلاث سنوات . وانهم يحتاجون بعد الى عمل واصلاح كثير .

اما موضوع تفكيري بالوحدة الشاملة فهو صحيح . لقد كنت افكر بان هذه الوحدة سبيل خير لجمع شتات الأمة العربية . ولكن عرضت لكم واعرض الآن ليس قصدي سيدي ان تحقق الوحدة الآن وفوراً فهذا لا يمكن . هذه سوريا سيدي بقيت سنين في الحكم الجمهوري ، وبعد سنين مرت عليها ظروف قاسية وبعدها عملت الوحدة ... فقضية الوحدة انا لم اقصد بها مثل ما تفضل سيدي الرئيس . في الحقيقة كل عربي يحمل فكرة الوحدة ولست وحدي في ذلك . كل عربي ينتسب للعروبة يعتز بقوميته العربية . كل عربي عندما يرى الظروف مساعدة على التكتل لدفع خطر خارجي استعماري او اسرائيلي يقول نتوحد ، ولكن يا سيدي عندما نقول نتوحد لا يعني ذلك اننا نريد القيام بهذا التوحيد فوراً او بعد سنة او سنتين . »

ولقد حاور المهداوي المتهم رشيد عالي في أمر اتصاله بالرئيس جمال عبد الناصر قبل مجيئه الى العراق ولكن دون فائـــدة ، اذ أكد ان عبد الناصر لم يحدثه بالانقلاب او ما شاكله بل قال له ان في العراق خلافاً ، يقصد بــه خلاف عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف، وانه يريده ان يبذل جهده لتسويته لأن ذلك في مصلحة العراق وفي مصلحة الثورة العراقية .

ولكن دفاع رشيد عالي لم ينفعه ، مثل كل دفاع امام محكمة المهــداوي . فالحكم يقرر ، على ما يبدو ، اولاً ثم تجري وقائع المحاكمة . واذا كانت الوثائق الـتي استندت اليها المحكمة في تجريم مبدر الكيلاني وعبد الرحيم الراوي دامغة ما دامت قد استندت الى الاشرطة المسجلة بعد الخدعـــة البارعة التي قام بها المتظاهرون بالتآمر الذين عهدت اليهم القيادة بمهمة الايقاع بالمتآمرين الحقيقيين ، فالحقيقة ان ليس في الوثائق والاشرطة المذكورة ما يدين رشيد عالي نفسه .

وهـــذا ما جاء في المستندات المذكورة وهو من التقـارير التي قدمهـــا المتظاهرون بالمؤامرة من ضباط الثورة الموالين لقاسم ، الى الاستخبـارات العسكرية :

« يتخوف المتآمرون ، كما وقفنا على ذلك من المحامي فارس ناصر الحسن الذي حصلنا على ثقته ، من المقدم تامر في الاستخبارات العسكرية

يرى المتآمرون ان عبد الكريم قاسم يتردد بين الشيوعيين والقوميـين ويساند الكفة الاقوى .

– لهم ثقة بمدير الشرطة العام وهم راضون عنه . ويعتقـدون بأن هناك كثيرين من الشرطة المحتفظين بقوميتهم ويمكن الاعتماد عليهم .

– قلنـا ان العسكريين المنضمين الى جماعتنـا يعرفون جماعتكم مـــن العسكريين معرفة تامة فيما يحسبون جماعتهم انهم من اليساريين، فاستغرب محدثنا قطب المؤامرة فارس ناصر الحسن ذلك وقال: اصحيح انهم يعرفون جماعتنا العسكريين ؟ فقلنا له بهدوء نعم ، هذا هو اسلوب العمل السري المتزن .

– عاتبناه على كشف قواهم عند مجيء كمال الدين حسين الى بغداد فقال:

لقد تعمدنا ذلك لنظهر امام الوزير ان الشعب العربي في العـــراق لم يستسلم للشيوعيين وان العرب لا يزالون القوى الصامدة في وجه الحزب الشيوعي .

– ابدينا اسفنا للاعمال الارتجالية التي قام بها عبد السلام عارف فقال: انني شخصياً صديقه وقد حذرته من التساهل امام الخطر الشيوعي وقلت بضرورة سيطرته بسرعـة على مقاليد الحكم . وقد قابل احد الدبلوماسيين الزعيم قاسم وقال له ان هناك مؤامرة يحيكها الاميركان والانكليز وجمال عبد الناصر بواسطة عبد السلام عارف ، وعلى الاثر نحي عبد السلام عارف من نيابـة قيادة القوات المسلحة .

وقد كان من اقواله ضد الجمهورية ما يلي :

– دفعت السفارة السوفياتية اشتراك مائة وخمسين محامياً ، وقـــدره سبعمائة وخمسون ديناراً في مؤتمر المحامين .

– سمح لعبد الوهاب محمود نقيب المحامين بالاتفاق مع اليهودي انور زلخه بتأليف شركة « كولكتيف » للتأمين .

– هناك اربعة وزراء لا يداومون الآن في وزاراتهم احتجاجاً على سياسة عبد الكريم قاسم المائعة وعدم اصدار بيان يحدد سياسة العراق الداخليـة والخارجية .

– انهم يشجعون الاغتيالات ويقولون انها ستكون على نطـاق العشائر وانها ألقت الرعب في قلوب الشيوعيين .

– عاد وفد من المحامين السوريين والمصريين من النجف منزعجين لأن الشيوعيين هاجموهم وحطموا زجاج سياراتهم إلا ان الشيـخ احمد الجزائري حماهم وآواهم .

– بصدد الجبهة الوطنية تم الاتفاق مع قادة حزب البعث على ان يشتركوا بها اشتراكاً صورياً ويتعاونوا معنا خفية بانتظار الضربة القاصمة .

– اما رشيد عالي الكيلاني فهو مستعد للتعاون ضد الخطر الشيوعي وله مفاهيم عميقة اكثر منا بشأن الوحدة والقومية العربية . وقد جمد الآن اعماله

بسبب يقظة الشيوعيين تجاهه ، مع العلم بأن رجاله يعملون . »

وهذه معلومات اولى قدمها الى الاستخبارات العسكرية المتآمرون الصوريون انفسهم كما استقوها من عبد الرحيم الراوي المرشح لوزارة العدل في حكومة الانقلاب لو نجح الانقلاب :

– تقوم مظاهرة نسائية مساء ٩ كانون الاول ، ثم تخرج مظاهرة مسلحة ببنادق الصيد . وقد وزعوا اكثر من ٥٠٠ بندقية معظمها في بغداد . وتطالب المظاهرات بسقوط الزعيم قاسم . ويتولى جماعتهم من الضباط في البصرة وبغداد وكركوك والديوانية والموصل والحبانية وبعقوبة ، احتلال المدن باسم المحافظة على الامن وتشجيع المتظاهرين على الاستمرار بالتظاهر كي يكون لهم مبرر للعمل والاحتلال تحت شعار حقن الدماء واعادة الامن الى نصابه . وسيطالب هؤلاء الضباط الزعيم بالتنحي فوراً والا وقعت مذابح يتحمل هو تبعتها

– قال عبد الرحيم الراوي ان كل شيء سيتم يوم ١٠ كانون الاول وان حملة ابادة ضد الشيوعيين ستجري بعد اسقاط الشيوعي عبد الكريم قاسم .

– اعطى الراوي اسماء الضباط الآتية اسماؤهم على انهم المسؤولون عن تنظيم الضباط ، كل في منطقته :

– العقيد حميد عبد الرحمن آمر كتيبة المخابرة في بعقوبة . وكلمة السر للتعارف معه هي « ابن اخوك قاسم مشرف يسلم عليك »

– في كركوك العقيد نوري الراوي ، وكلمة السر معه هي « زكي اخوك قال لك سافر يوم خمسة الى كركوك »

– في الحبانية العقيد عبد القادر البهرزي ، آمر فوج ، وكلمة السر معه هي « يسلم عليك خليل ابراهيم ابو عكاش »

– قائد الفرقة الاولى ، وكلمة السر معه هي « قائمقام المحمودية يسلم عليك .

– في الموصل العقيد عبد الوهاب الشواف ، وكلمة السر معه هي « انك

مرسل من قبل طه الدوري »

- البصرة العقيد غني الراوي ، وكلمة السر للتفاهم معه هي « تحضيرك الفوج يوم ١٢ - ٥ »

- بغداد الثكنة الشمالية الرئيس الاول طه ياسين الدوري وكلمة السر معه هي « ارسلني عبد الرحيم الراوي »

- بغداد القيادة ، الرئيس الاول الركن صبحي حميد ، وكلمة السر معه هي « بسلم عليك خير الله طلفاح »

وجاء في المعلومات كذلك قول الراوي ان الاسلحة الموزعة للعشائر اشتريت من العشائر السورية القريبة من الحدود العراقية وهي اسلحة اميركية انكليزية . اما عن الاسلحة المصرية فهم متمسكون بنصائح عبد الناصر (كما قال الراوي) بعدم توزيعها الا عند مباشرة تنفيذ الخطة أي ان يتم التوزيع في ساعة الصفر او قبلها بساعات . والسيارة رقم ٣٣٠٦٠ بغداد هي التي تقوم بتوزيع الاسلحة . ويحمل الراوي عدداً من ارقام السيارات ويقول انه يستعملها عندما تنكشف سيارته فيبدل الارقام . »

وجاء في تقرير آخر للاستخبارات السرية قدمه الضباط الموالون والمتظاهرون بالتآمر للايقاع بالمتآمرين الحقيقيين ادعاؤهم ما يلي:

«لقد جمعنا جمال عبد الناصر وحلفنا بالقرآن ان لا نوزع هذه الاسلحة الا في ساعة الصفر ، اي ساعة تنفيذ الخطة ، وهذه الاسلحة مخبّأة خارج بغداد في العراء ولا يعرف بأمرها الا اشخاص معدودون ولا يمكن تزويد احد بالسلاح الا بعد الاتصال بجمال بيومين »

وهناك معلومات اخرى عن حركات تنفيذ المؤامرة تنص ما يلي :

مساء يوم ٩ كانون الاول تنسف السكة الحديدية والهاتف والجسور ، وتحدث حركات تمرد .

– يقام مجلس ثورة من خمسة عشر ضابطاً بين كبير وصغير. الا ان المدنيين من المتآمرين يخالفون العسكريين في الرأي فيقولون بانشاء وزارة وطنية برئاسة رشيد عالي الكيلاني مع اربعة عسكريين .

– لدى المتآمرين سلاح يكفي للقتال مدة شهر حتى ولو وقف الجيش ضدهم !

– اكدوا صلتهم بسفير الجمهورية العربية المتحدة ، وقالوا ان كل شيء على ما يرام والأمر منته معهم .

ويتولى الضغط على قاسم لتنحيته بعد نشوب الاضطرابات وقيام حركات التمرد ، شاكر محمود شكري (معاون رئيس اركان الجيش) ورفعت الحاج سري (مدير شعبة الاستخبارات) وعبد اللطيف الدراجي (آمر الكلية العسكرية) وطاهر يحيى (مدير الشرطة العام) ويقود التمرد في الديوانية عبد العزيز العكيلي قائد الفرقة ، وخيري يحيى حافظ آمر المدفعية مع عدد كبير من الضباط الموصليين ومن حماة العهد البائد . ويتولى العسكريون في المقر تصفية الحساب مع قاسم .

– اذا فشلت المؤامرة سوريا قريبة .

– من الشباب المدنيين المرشحين لوزارة ما بعد الانقلاب : عبد الرحيم الراوي وفارس ناصر حسن .

وفي هذه الوثائق ما يكفي لأدانة مبدر الكيلاني وعبد الرحمن الراوي ولكن ليس فيها ما يدين رشيد عالي نفسه . ولقد اعترفت المحكمة بذلك حين اعلنت براءته في القضية السرية الأولى ، ولكنها لما قضت باعدامه في القضية السرية الثانية اعتمدت على اقوال المحكومين بالاعدام مبدر الكيلاني وعبدالرحيم الراوي التي اتهمت رشيد عالي بتزعم حركة الإنقلاب واثارة العشائر لهذه الغاية .

ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة التي اتبعت فيها المحكمة العسكرية العليا الخاصة الأسلوب المذكور . فقد حدث في قضية عصيان الشواف ان استمعت

المحكمة تحت ضغط حكم الأعدام ، الى نص كتاب وقعه المدني العراقي المحكوم بالأعدام فاضل الشقرا مذيع محطة اذاعة الموصل في عصيان الشواف ، وفيه رجوع عن افادته السابقة وإدانة لبعض رفاقه . وفي صباح اليوم التالي لتلاوة هذا الكتاب تم تنفيذ الاعدام بفاضل الشقرا ، شنقاً حتى الموت ...

قضية عبد السلام عارف

كشفت المحاكمة في قضية العقيد عبد السلام عارف عن حقد عليه هائل كان دفيناً في صدر المهداوي ايام نفوذ عبد السلام وسيطرته ومشاركته عبد الكريم قاسم امجاده . كان ذلك في مطلع العهد بثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ . فقد بلغ نائب رئيس الوزراء عبد السلام حينذاك اوج مجده ، وكاد نجمه الساطع يطغى على نجم عبد الكريم قاسم نفسه ، وبدأت خطبه وبياناته تلفت الانظار في مختلف ألوية العراق التي زارها فأقيمت له مظاهر الولاء والتحمس والاستحسان .

لقد طلع عبد السلام عارف على العراقيين ، بعد الثورة ، بأفكار غرفها من معين القومية العربية ، وهو كما اسلفنا القول معين غزير لا ينضب وله فعل السحر في نفوس الجماهير . سمعته الجماهير العراقية ، بعد طول قطيعة مع مصر وسوريا في العهد الماضي وبعد الحرب الباردةالتي احتدمت طويلا بين العراق والجمهورية العربية المتحدة ، يحدثها عن « تلاقي الثورتين » ثورة مصر وثورة العراق ، وعن القومية العربية المستقلة الحيادية ، اللاشرقية واللاغربية ... واستوقفت انظار العراقيين وحركت عواطفهم المكبوتة طلاقة لسانه وحماسته في الحديث عن الوحدة العربية الشاملة من المحيط الى الخليج ، وهي عين الوحدة التي طالما سخر بها المهداوي اثناء محاكمة عبد السلام عارف وبعدها في جميع المحاكمات وهو يردد بلهجة تنضح بالهزء : « وحدة سماوية إلهية ، خاكية (نسبة الى الخاكي الذي يمتاز به العسكريون)من المحيط الى الخليج ... »

اجتذب عبد السلام عارف جماهير العراقيين بخطبه وآرائه الثورية الجديدة. فقد ضرب فيها على اوتار حساسة في سواد الشعب العراقي المحروم . قام يحدثهم

عن المساواة فيقول : « لا مزارع ولا قصور ، لا سيد ولا مسود ، لا فخفخات ولا زعامات ، الجميع سواسية في ظل ثورتنا الخالدة » الى آخر هذه الضروب من تشويق المحروم والمعذب والمضطهد وتمنيتهم بعهد جديد واسلوب جديد وعيش رغيد ..

كان عبد السلام عارف متجهاً بكل وضوح اتجاه العهد الناصري السائد في مصر ثم في سوريا بحكم الاتحاد المصري السوري ، يستوحيه ويسير على منواله ويحاول ان يدفع بعجلة ثورة ١٤ تموز نحو التلاقي معه . ولكن عبد الكريم قاسم وعقداءه المربوطين به ، وعلى رأسهم فاضل عباس المهداوي ووصفي طاهر وصالح العبدي وطه الشيخ اختاروا طريقاً غير هذه الطريق ، ورسموا خططاً غير هذه الخطة ، فقاموا يحدون من غلواء القوميين العرب ويخفضون من اجنحتهم ويقصونهم شيئاً فشيئاً عن المناصب الاساسية ويحلون الشيوعيين محلهم .

وسارت هذه السياسة بسرعة فاذا الثورة تزداد احمراراً ، واذ بالشيوعيين يخرجون من مخابئهم ويسفرون عن وجوههم ويتطلعون الى تولي زمام السلطة في العراق . فلما تم اقصاء عبد السلام عن الحكم بإقالته من منصب نيابة رئاسة الوزراء ثم من منصب وزير دفاع ثم تجريده من كل سلطة ونفوذ ، نزلت بالقوميين العرب اشد الضربات وانقلب عليهم قاسم واعوانه ايما انقلاب ، حتى باتت محاربتهم هدف المسؤولين وديدنهم وكل مقصدهم . وكان المهداوي على رأس المنقلبين ، واثبت انه متحمس للتنكيل بالعبد السلاميين اكثر من سيده ومعلمه عبد الكريم قاسم ، وقد كان قبل ايام معدودة يشيد بذكرهم ويحيي ناصرهم ويحاكم كل من ناصبهم العداء قبل الثورة . وانفثأ حقد المهداوي على عبد السلام عارف ، فقام يتشفّى منه ويحطمه شرّ تحطيم ويقيم على الحطام مجداً له في مصاف امجاد عبد الكريم ...

سيق عبد السلام عارف الى المحكمة بتهمة محاولة اغتيال الزعيم الاوحد عبد الكريم قاسم وتدبير مؤامرة لقلب نظام الحكم . حاكمه المهداوي شرّ محاكمة وضايقه اشدّ المضايقة ، حتى انتهى الى الحكم باعدامه حكماً لم ينفذ بعد وما زال

رهن مشيئة اللواء قاسم ، كغيره من عشرات احكام الاعدام الصادرة عن محكمة المهداوي والباقية حتى الساعة دون تنفيذ .

وتفصيل القضية ان عبد السلام عارف لما اعفي من مناصبه واقصي عن الحكم عيّن سفيراً للجمهورية العراقية في بون العاصمة الموقتة لالمانيا الاتحادية ، فرفض التعيين وقاومه وسعى لدى اللواء قاسم للعدول عنه . ولكن عبد الكريم اصرّ على ابعاده من العراق وتمسك بقرار ايفاده سفيراً الى المانيا الغربية . وقد حدث في المقابلة الاخيرة التي سبقت سفر عبد السلام الى اوروبا ، ان اشتبك عبد الكريم بعبد السلام وتعاتبا وسمعت صيحاتهما ... ثم بكى عبد السلام من فرط ألمه وخيبته وشهر مسدسه لينتحر ، كما يقول هو ، وليقتل عبد الكريم قاسم كما يقول المهداوي والادعاء العام وقرار الاحالة الى المحاكمة .

ودخل الضباط والجند لما سمعوا الضجة وجردوا عبد السلام من سلاحه .

قال عبد السلام عارف يدافع عن نفسه امام المهداوي : كلا ! معاذ الله ان اكون حاولت قتل عبد الكريم قاسم . لقد استبدّ بي الألم ففكرت بالانتحار وشرعت فيه . ولو اردت ان اقتل عبد الكريم لما كان اسهل عليّ من ذلك لأنني كنت دائماً بجانبه .

وصاح به المهداوي : بل كنت تريد قتل الزعيم الاوحد . والا فما معنى ان تنتحر في غرفته ؟ انتحر في بيتك ان رمت الانتحار ! وما معنى ان تشهر مسدسك حين ادار لك الزعيم ظهره ؟ يا ناكر الجميل ، لقد اردت اغتيال بطل ثورتنا الخالدة ، كي يخلو لك الجو وتقدم العراق لقمة سائغة الى الطامعين .

كانت تلك المقابلة ، كما ذكرنا منذ قليل ، محاولة قام بها عبد السلام ليحمل اللواء قاسم على الغاء قرار انتدابه سفيراً الى بون . ولكن قاسم اصرّ على ان يخرجه من العراق بهذه الوسيلة السياسية . وقد ظلّ على رأيه هذا حتى بعد حادثة المسدس . واقبل على عبد السلام يلاطفه ويطيب خاطره ويدعوه الى الامتثال لامر تعيينه والذهاب الى بون حتى تهدأ الامور حيناً ثم يكون لكل حادث حديث . عندئذ قبل عبد السلام السفر الى بون على مضض وغادر بغداد الى

اوروبا. ولكنه لم يكن راضياً عن المنصب ولا مصمماً على البقاء فيه لأنه مجرد منفى، ولو اوروبياً، ومجرّد وسيلة للتخلص منه.

لم يطق عبد السلام طويل صبر، وقام ذات صباح يحزم متاعه ويركب الجوّ الى بغداد وينزل من الطائرة دون طبل ولا زمر، ويذهب الى داره من طريق جانبية، دون ان يعلم احداً من المسؤولين في بغداد بعودته. عندئذ صدر الامر بتوقيفه وبدأ اعداد العدة لمحاكمته بتهمة محاولة اغتيال الزعيم عبد الكريم!

قال المهداوي مخاطباً عبد السلام: لقد عدت خلسة الى العراق لتنفذ مؤامرة وتحاول اثارة الاضطراب والقيام بحركة عصيان لقلب نظام الحكم وتسليم البلاد لعبد الناصر، من سمح لك بالعودة؟ وكيف تعود دون اذن ولا اجازة؟ لقد خنت الامانة واخللت بالواجب والوظيفة التي عينك لها الزعيم الاوحد. عدت لكي تحاول من جديد اغتيال الزعيم بعد ان اخفقت في محاولتك السابقة. متآمر، ناكر جميل. انك لم تكن شيئاً في الثورة، ولست انت واضع خطتها. فالزعيم وحده هو واضع الخطة ومنفذها. انه هو بطل الثورة وما انت الا دعيّ. لماذا كنت تغفل اسم الزعيم في خطبك؟ كنت تريد ان يصفقوا لك وحدك ويذكروا اسمك وحده. تريد الامجاد لنفسك ... اناني، مدعي زعامة. اتق شرّ من احسنت اليه!

وصاح عبد السلام مقاطعاً والغصة في صوته: كلا لم اتآمر على الزعيم! انه زعيم ثورة ١٤ تموز الخالدة وانا من هذه الثورة واليها، فكيف اتآمر على زعيمها وبطلها؟ انني اعلن ولائي واؤكد تعلقي بالزعيم عبدالكريم قاسم وثورة ١٤ تموز! انني لم احاول قتل الزعيم. شلّت يد من يحاول قتل الزعيم! كنت اريد الانتحار لما اخرجت مسدسي. وقد ادرك الزعيم نفسه ذلك حين جاءني مهدئاً ملاطفاً، وراح يقنعني بأن سفري موقت وليس سوى مسألة بضعة اسابيع وينتهي الامر واعود الى العراق. ولو كانت هناك حقاً محاولة اغتيال هل كان الزعيم يأتي اليّ ويربت على كتفي ويحدب علي ويخاطبني بروح المودة والاخاء ويناشدني باسم الاخوة القائمة بيننا وباسم الثورة التي قمنا بها معاً ان اذهب الآن ثم يتدبر هو الامر

بعد حين ؟ »

والحق ان هذه الناحية من الحادثة اثارت ، اثناء محاكمة عبد السلام عارف، جدلاً قانونياً ظهرت منه فضيحة تتناول اساس احالة المتهم الى المحاكمة . فقد وقعت حادثة شهر المسدس ، ايا تكن الغاية منها ، قبل ان يسافر عبد السلام الى المانيا سفيراً لبلاده فيها . ولو كان في الحادثة مأخذ عليه واتهام له بمحاولة اغتيال رئيس الوزراء القائد العام وزير الدفاع ، يكون قد ذهب الى اوروبا موفداً اليها بقرار رسمي بوصفه سفيراً معتمداً، وهو حامل على عاتقه تهمة طويلة عريضة كفيلة بأن توصله الى المشنقة .

والتناقض في ذلك واضح . فإما ان يكون عبد السلام بريئاً من محاولة الاغتيال ويكون الزعيم مقتنعاً بذلك حتى عيّنه سفيراً معتمداً لبلاده والحّ عليه في تسلم هذا المنصب ، وفي ذلك ايلاء ثقة واعتراف بنزاهة ، فهل يوفد سفيراً من هو متهم بجريمة ؟ او ان يكون عبد السلام مذنباً والزعيم مقتنعاً بذنبه فيجب عليه تقديمه الى المحاكمة في ذلك الحين ، حتى ولو اسقط عنه حقه الشخصي لأن هناك الحق العام ، لا محاكمته بعد عودته الى البلاد بتهمة كانت في حكم المنتفية عنه لما اوفد الى الخارج بصفة سفير .

كتبت يومذاك في حقل تعليقي السياسي اليومي في « الحياة » وهو الحقل المعروف بـ « دنيا العرب » في هذا الصدد :

« ليس وقع الحكم على العقيد عارف في اوساط العراق هو موضوع البحث هنا . فالاحداث نفسها تتولى ترجمته . واستقالة الوزراء الستة (استقال يومها ستة وزراء من حكومة قاسم احتجاجاً على ذلك) هي الحدث الاول وقد تتبعها احداث اخرى لا تقل شأناً عن التبديل الوزاري . اما الموضوع فهو الحكم ذاته . ففي الحكم ، والحق يقال، نواقص كثيرة واخطاء اكثر منها تجعل المنصف يوجز وصفه بأنه حكم سياسي .

ان من تابع وقائع محاكمة العقيد عارف ليدهش حقاً كيف يصدر حكم بالاعدام في قضية لم تسند الاتهام فيها أدلة تذكر بل قامت ادلة اقنعت حتى

المحكمة المهداوية ببراءة المتهم من تهمة التآمر .

ويقيناً لو ان الحكم لم يكن قطعياً ولو افسح المجال لطريق من طرق المراجعة الاستئنافية في امره لقضى المستأنف اليهم ببطلانه ولو لهذين السببين :

الاول - انه لو كان حقاً في حركة عارف عند قاسم شروع في اغتيال او حتى محاولة اغتيال اقتنع بها قاسم لما توانى عن ضبط الحادثة رسمياً ساعة وقوعها ، ولما ابقى على قرار تعيين عارف سفيراً .. اذ كيف يوفد سفيراً لبلاده من حاول اغتيال زعيم هذه البلاد ؟

والثاني - كيف تثبت للمحكمة براءة المتهم من تدبير مؤامرة لقلب الحكم ولا تثبت لديها براءته من محاولة اغتيال من اذا اغتيل انقلب نظام حكمه من دون ريب ؟

الحق ان الحكم لايمت بصلة الى رزانة الاحكام وعدلها . وان تكن عدالة المحكمة العسكرية العليا الخاصة قد خانتها ، فالمنتظر من عدالة الزعيم قاسم ، وهو ادرى الناس بصديقه ورفيقه العقيد عارف ، الا تخونه . »

●

وان لهذه النقطة الاساسية في قضية العقيد عبد السلام عارف لشأناً يزداد خطره واثره اذا رجعنا الى تفاصيل المحاكمة . فقد دلت هذه التفاصيل على ان تهمة التآمر بعد عودة عبد السلام من اوروبا الى العراق خلسة ، لم يقم عليها اي دليل بل ولا شبه دليل ، وان المحكمة لا تملك اي مستند للحكم على عبد السلام بموجب هذه التهمة . فالحكم باعدامه لم يستند في الواقع ، الا الى محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم ، وهي تهمة انعدمت ، كما قلنا منذ حين ، بمجرد تفاهم قاسم وعارف فور الحادث وبمجرد ذهاب عبد السلام الى اوروبا موفداً رسمياً معتمداً موثوقاً به .

تضاف الى ذلك واقعة اخرى ، هي انه لو كانت هناك شبهة بوجود محاولة اغتيال حقاً ، لكانت الحادثة سجلت في محضر ضبط رسمي في حينها . ولم يكن في قضية عارف محضر ضبط ولا جزء من وثيقة كهذه ...

ولكن هل المناقضات او المخالفات القانونية هي حقاً ما ينقص محكمة المهداوي

حتى نقف اكثر من هذه البرهة عند الحكم على عبد السلام عارف ؟

اما المصادمات بين المهداوي وعبد السلام فلم تكن بالكثيرة . فقد تجنب المهداوي ان يبالغ في اهانة المتهم ، وكان بعد محتفظاً بشيء من ضوابط فكره ولسانه وشيء آخر ، ولو قليلاً ، من مراعاته مقام عبد السلام الادبي . على ان هذا الشيء القليل وذاك قد تبددا بعد حين اثناء المحاكمات التاليـــة ولا سيما محاكمات المتهمين بالعصيان في الموصل مع عبد الوهاب الشواف. ولعلّ المهداوي اراد ان يستدرك ذلك « التقصير » الذي ابداه اثناء محاكمة عبد السلام فجعل من عبد السلام محط كلامه وسخطه ومدار حملاته والسبيل الى تهجمه على الجمهورية العربية المتحدة وكل من لفّ لفّها .

لقد صارت عبارة « الخائن عبد السلام عارف » ابسط السباب والالقاب التي يوزعها المهداوي بمناسبة وغير مناسبة على الزعيم الثاني في ثورة العراق . ولا تسل بعد ذلك عن « تسابيح » المهداوي الباقية التي يخص بها عبـــد السلام : عميل الاستعمار ، المتآمر الحقير ، مدعي القومية العربية ، المتعصب الاجير ، تابـــع عبد الناصر الامين ، عميل العفالقة ... كان يريـــد ان يقدم العراق لقمة سائغة لعبد الناصر ... وحدة عربية ، ماسونية ، من المحيـــط الى الخليج » الى آخر السلسلة المهداوية .

وقد تساءل المهداوي يوماً ، وكان ذلـــك في جلسة الثالث والعشرين من حزيران ، اثناء محاكمة دفعة من دفعات الضباط المتهمين بعصيان الموصل : مـــا معنى «من المحيط الى الخليج» ؟ انها تعني امبراطورية الوحدة العربية التي يريدها الهتلر الصغير ... ماذا عملوا لفلسطين والجزائر ؟ هـل ساعدوا الجزائريـــين والعمانيـين (الجزائريون الذين يقـاتلون الفرنسيين والعمانيون الذين يقاتلون الانـكليز) كما ساعدتهـم الجمهورية العراقية ؟ ولمـــاذا كل شيء هـادىء في جبهة « الماسونية » المتحدة واسرائيل ؟ . ومـــاذا يفعل الجنرال الامبراطور ناصر الدين شاه ؟

وفي جلسة الخامس عشر من آب ١٩٥٩ كشف المهداوي النقاب عن وجود

ما اسماه « وثيقة رسمية » عند عبدالكريم قاسم ارسلتها سفارة الجمهورية العربية المتحدة في بغداد الى حكومـة القاهرة تنبيء بأن عبد السلام عارف سيطغى على قاسم وصحبه وحينئذ يتـولى ضم العراق الى الجمهورية المتحدة . وقال : نعم ، كانوا يريدون ضم العراق الى الامبراطورية الموهومة كأنه ارث ورثه عبدالسلام عارف وجماعته من آبائهم واجدادهم ... كانوا يريدون وضع الخبز على الشحم . ولكن الشعب العراقي متنبه ، ذكي ، يقرأ الممحي !

ارادوا ان يضعونا لقمة سائغة في افواه المحتكرين المصريـين الجشعين الذين صنعت من اجلهم الوحدة الكاذبة الفارغة ... ناكر الجميل عبد السلام عارف ، والاقطاعي رشيد عالي الكيلاني والخائن القـذر المجرم عبد الوهاب الشواف (حتى الموتى لم ينجوا من لسان المهداوي) اشتغلوا لضمنا الى « الامبراطورية » وما زال اسيادهم يعملون على حبـك المؤامرات ، ولكن الشعب والزعيم لهم بالمرصـاد . »

ومن مآخذ المهداوي على عبد السلام عارف انه يميز بين الاكراد والعرب والتركمان وغيرهم . قال المهداوي يندّد بأحد المتهمين اثنـاء محاكمة الزعيم ناظم الطبقجلي في قضية عصيان الموصل : عقليتك مثل عقليـة عبد السلام عارف «انتم وحد ... ونحن وحد» ! كلاّ فالجميع سواسية في الجمهورية الخالدة. لقد وحدتهم الثورة فلا فرق بينهم ولا تمييز .

قالها المهداوي ولما يكن قد مضى سوى اسبوعين على مجزرة وقعت في كركوك بسبب التمييز بين كردي وتركماني وذهب ضحيتها اكثر من مائة تركماني قتـلوا وجروا بالحبال في الشوارع (سحلوا) وعلقت جثثهم على الأشجار واعمدة الكهرباء وقد مثل بها وقطعت بعض اوصالها شر تقطيع ، ودفن بعضهم أحياء .

أجل لم يكن قد مضى سوى اسبوعين على مجزرة لم تتحرك لها شعرة في رأس المهداوي ولا علق عليها بكلمة من كلمات استنكاره وهو من عرف بدقة انتباهه لكل صغيرة وكبيرة في العراق ، ورغم ان عبد الكريم قاسم استنكرها وندّد بها اشدّ التنديد في جمع من الصحافيين ثم في عدة خطب وبيانات .

وبلغ بالمهداوي الحقد على عبد السلام عارف حداً أخرجه عن طوره احياناً. قال في الجلسة الرابعة والعشرين بعد المائة يوم اول تموز ١٩٥٩ ، وكان يحاكم العقيد جميل الخشالي ورفاقه بتهمة العصيان في الموصل :

– كيف تريدون أن نرضى بتبديل دولتنا بأقليم . يريدون أن يجعلوا من العراق الأقليم الشرقي في الجمهورية (الباب الشرجي !) العراق الذي ذاق معنى الحرية ، العراق الذي يعني باللغة السومرية بلاد الشمس . والشمس ترمز الى كل التواريخ في العالم والى جميع عقليات الشعوب التي شبهت الحرية بها .

ان البشر منذ وجوده يقدس الحرية ويشبهها بالشمس لأن الشمس اعظم جرم سماوي ومن اهم العوامل التي تديم الحياة ، سواء للبشر ام للحيوانات ام للطيور ام للنباتات ، بل للوجود جميعاً .. يريدون ان يبدلوا اسم العراق الحبيب الى الاقليم الشرقي . سخيف ! الوحدة التي تنشدونها هي وحدة الحكم الفاشي الذي يسير في ركاب الاستعمار . »

وانطلق المهداوي يهدر في حملته ويخلط موضوعاً بموضوع . يشرح الاشياء شرحاً بدائياً ساذجاً ، ويتحدث عن حقائق ووقائع عمرها من عمر الشمس ، كشرحه خصائص الجرم الشمسي وكيف انه حيوي للانسان والحيوان والنبات!

قال متابعاً حديثه عن الوحدة العربية .

« ان المؤامرة التي حاكها الاستعمار الانكليزي الاميركي لإيهام الامة العربية ان وحدتها ستتحقق بهذا الانطلاق الناصري الذي ابدل الحكم من نظام ملك فاسد الى حكم فاشي رجعي افسد من الحكم السابق...

الوحدة العربية الحقيقية هي وحدة الشعور بمكافحة الاستعمار والرجعية والاقطاع . وما اكثر البلاد العربية التي ترزح تحت هذه العوامل المميتة للامة العربية ؟ الوحدة العربية كذب ودجل ومؤامرة استعمارية . وهدفكم ايها الجبناء السخفاء التنكيل بعنصر كريم ، عنصر الاكراد بحجة مكافحة الشيوعية ، حجة نوري الباطلة وحجة الرجعية والاقطاع . »

وللمهداوي حديث آخر عن عبد السلام عارف والاكراد والتوحيد قاله في

الجلسة العشرين بعد المائة اثناء نوبة من نوبات تهجمه على الجمهورية العربية المتحدة:

« كان عبد السلام عارف يتصل ببعض اخواننا الاكراد ويمنيهم بتأسيس حكومة لهم في العراق ويتحدث معهم حديث الاطفال . ولكن بما انني احب الاطفال فانني اقول انه حديث الاطفال غير الابرياء ... « ما علينا بكم ولا عليكم بنا . نحن وحد وانتم وحد . » هل هذا وارد في مبدأ او نظام او حكم ؟ وهل هذا منطق لرجل مسؤول ؟ وهل هذا عقل لمتزعم في قومية اعتدائية ووحدة موهومة سداها شهوة الحكم المطلق الدكتاتوري ؟ كان يريد ان يكون نائباً لرئيس الجمهورية المتحدة في العراق .. اي لغراب البين ! شبيه الشيء منجذب اليه !(وهو مثل يجنّ به المهداوي وقد اعتادان يردّده مرة بالاقل كل جلستين)... هذه العقول كانت تريد ان تحكم العراق ، ورجال العراق قوم احرار ومفكرون ديموقراطيون لا يرضون بأن ترجع بلادنا الى العصور الفاشية الرجعية التي لا تهمها مصلحة الشعب بل يهمها الحكم والسيطرة والنفوذ .

اننا نحن القوميون الحقيقيون ، ولكننا قوميون متحررون ، وكل قومية متعصبة هي ضد الانسانية وضد الديموقراطية والسلام . اننا مع جميع القوميات وقد صهرتها ثورة ١٤ تموز في بوتقة الاخاء الوطني والمساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات . العرب والاكراد والتركمان والاشوريون والارمن والصابئة وغيرهم ، كلهم اخوان تحت لواء الجمهورية الخالدة . »

وعلى ذكر القوميات والعصبيات والاديان المختلفة في العراق يقدر عدد الأكراد بمليون ونصف ، والتركمان بمائة ألف والاشوريين والكلدان بثلاثمائة الف ، والارمن بثمانين الفاً والبزيديين بخمسين الفاً والصابئة بخمسين الفاً ...

وفي جلسة من الجلسات الحامية اثناء محاكمة العقيد الخشالي وصحبه ، اقام المهداوي نفسه شاهداً على عبد السلام عارف ، ولو بعد زمن طويل من انتهاء محاكمته والحكم باعدامه ، فقال : « كان هذا الارعن السخيف يتبجح بأن باستطاعته ان يعزل الزعيم قاسم لانه كان يذهب الى الالوية ويزورها ويسمع الهتافات للثورة وتعلق الناس بها . وقد اعتاد في تصريحاته وخطبه العديدة ان

يلوّح بزعامة اخيه الاكبر جمال عبـــد الناصر . لقد قال لي ذات مرة : أليس سخيفاً ان ينام عبد الكريم قاسم على الارض ؟ (اشتهر عن اللواء قاسم انه ينام على الارض تقشفاً وانه لا ينـــام سوى ثلاث او اربع ساعات ويقضي بقية اليوم في عمل دائم . وقاسم غير متزوج ومعروف بانطوائه على نفسه وشدة تعلقــه بعمله) انني استطيع الآن ان اعزل قاسم . » اجـــل قال لي عبد السلام عارف ذلك بنفسه ... كان ينادي : ديموقراطيــة ، اسلامية ، تعاونيــة سماوية الهية . وقد قال لي الاخوان المثقفون الشرفاء مراراً : اسمع يا فاضل مــاذا يقول عبد السلام ، وكيف بدأ ينحرف . ولكني لم اكن اصدق ولا كنت قد فتحت الراديو لاستمع الى عبد السلام يلقي خطبه في الألوية.

ثم لقيته ذات يوم فواجهته بالتحية والعناق.قلت لابدّ ان يرجع عن غيه ... واذا به يسألني : فاضل نعمان ماهر شيوعي لماذا تركتموه ؟ فـلان شيوعي ابعدوه !

وازداد عبد السلام تصلفاً لمــا خرج تسعون الفاً من اهـــالي لواء السليمانية لأستقباله بوصفه رسول الثورة .. لقلق الثورة ! وقد اثبت فعلاً انه لا يقبـــل النصح . فلكم نصحه الزعيم ولكم ارشده الى الطريق المستقيم ولكن ... وهنا جادت ذاكرة المهداوي ببيت من الشعر مناسب .

« لا تنتهي الانفس عن غيّها ما لم يكن منها لها زاجر »

كانت محاكمة عبد السلام عارف سرية.وقال حكام العراق في تبرير ذلك.. « ان من الضروري تجنب كشف اسرار الخلاف وشدته بين بغداد والقاهرة. » ولكن اوجه هذا الخلاف بدأت تتكشّف وتتضح في الصحف والاذاعات بعد حين . ولما حمي وطيس المعركة الباردة اجيزت اذاعة وقائع المحاكمة السرية كما سجّلت في حينها ...

كانت عبارة « اخي الاكبر » هي الصفــة التي دأب عبد السلام عارف على تسمية عبد الكريم قاسم بها اثناء دفاعه وتنصّله من تهمة الشروع في قتل الزعيم قاسم .وقد حرص عارف في الدفاع على ان يوضح نقطة طالما ترددت عنها الشائعات

اثناء جولاته في الالوية ، وهي حقيقة دوره في انقلاب ١٤ تموز .

قال عبد السلام في دفاعه ، يروي قصة الثورة :

ابو الثورة هو زعيمنا الركن عبد الكريم قاسم ومن تشدق بغير ذلك فهو مارق . . لابد انكم سمعتم عنها الكثير ، وكل يدعي الوصل بها . وفعلاً قد ساهم كثيرون بها . وكثيراً ما كانت تعقد الاجتماعات للهيئة العليا وتكون النتائج نظرية ويكون معظمها جدلاً . وقد انسحب ضباط عديدون من الهيئة فكنت اتألم واصر على رأيي بضرورة تنفيذ الثورة وباقرب وقت وزعيمنا يؤيدني . واخيراً قال لي الزعيم : دعنا نجاملهم كأخوان ، ولكن العمل الحاسم بيني وبينك

وفعلاً حاول كثيرون من ضباط الثورة معرفة وقت الحركة ويومها فابينا الاجابة ، وكانت غايتنا الاساسية الكتمان والمباغتة . وانما اكتفينا بتبليغ الضباط القليلين جداً والذين عليهم واجبات التنفيذ . وقد عهد اليّ زعيمنا بالتبليغ والتنفيذ والحكمة المحترمة على علم بذلك ، فكان واجبي ايضاً ان اسيطر على جحفل اللواء العشرين ، واعزل مقر اللواء واتسلم قيادة جحفل اللواء تنفيذاً للسيطرة على بغداد ، بينما كنت آمر الفوج الثالث من اللواء .

ولم يكن اللواء يملك العتاد إلا فوجي فقد دبرت له العتاد من قبل وحسبت حساب اللواء والقطعات الملحقة في امر تموينها . وكانت قطعات التنفيذ في بغداد في معسكر الرشيد ، لا تملك العتاد هي الاخرى ، فكانت الاشارة بيننا بتطبيق الحركة ان ارسل اليهم العتاد . وفعلاً تم ذلك بواسطة الملازم ياسين العبدلي .

كذلك وزعت العتاد على بقية الوحدات . وقد تأخرت الحركة بسبب تأخر اعتقال آمر الفوج الثاني العقيد الركن ياسين محمد رؤوف على يد الرئيس فاضل الساقي والملازم كريم جاسم المكلفين بهذا الواجب ، فاضطررت للذهاب بنفسي وعرضت عليه الاشتراك معنا ولكنه رفض ذلك فاعتقلته واعلنت نفسي آمراً للجحفل .

وكان في اثناء ذلك قد تم عزل مقرّ اللواء العشرين حسب الخطة . وبسبب ضياع الوقت كاد الضباط الذين كنا على اتفاق معهم في التنفيذ يعودون عن موقفهم

لولا اصراري . الا انهم تلقوا الواجبات بطيبة خاطر وبوطنية صادقة ، وساروا مع القطعات المخصصة للتنفيذ وتمت السيطرة على بغداد والاهــداف المطلوبة حسب الخطة المرسومة . ونجحت الثورة ، بقيادة زعيمنا ، في كل مكان مــن العراق . وكان مقري انا في الاذاعة منتظراً زعيمنا وقائدنا بعد اذاعة البيانات والموقف للشعب والتوجيه حسب الخطة . ولما جاء اخبرته بالموقف ثم توجه الى وزارة الدفاع وطلبني فذهبت اليه . وكان اشتغالي معه روحياً ووطنياً واخلاصاً اخوياً ، الله على ذلك شهيد ... والله كنا زاهدين في كل شيء . وقــد طلبت ان ابقى آمراً للواء العشرين ولكن ارادة زعيمنا أبت إلا ان نكون معــاً على الدوام فنفذت ما أراد وصرت نائباً ومعاوناً ووزيراً له... وقد قدمت استقالتي من الوزارة بعد تشكيلها بشهر ولكن ارادة أخي الأكبر اجبرتني على البقاء .

كنت قد أعلنت منذ اليوم الأول للثورة ضرورة رجوعنا الى الثكنات ، فكيف تقاس هذه التضحية ، وقد تركت سبعة أطفال وزوجة ورضّعاً وايتاماً وأباً شيخاً وقمنا بالثورة ، وبأمر زعيمنا وقائدنا عبد الكريم ؟ وهل يعقل بعد هذا ان يقوم عبــد السلام ، جزء عبد الكريم الذي لا ينفصم عنه ، بعمل يسيء الى زعيمه والى جمهوريته ؟

وانني لأعلنها كلمة واضحة قاطعة انني بوصفي رجلاً عسكرياً ، لم يكن لي اتصال بالاحزاب قبل الثورة وليس صحيحاً اني اتصلت بجماعــة وقدمتها على سواها . »

ولقد نفى عبد السلام بهذا وجود اتصال له بحزب البعث العربي الاشتراكي الذي اتهم بانه كان يشتغل معه لضم العراق الى الجمهورية العربية المتحدة ،ولكن المعروف عنه جيداً انه كان يؤيد البعثيين وان البعثيين يؤيدونه ، وان جريدته « الجمهورية» كانت تنضح بالآراء البعثية .

ولا بدّ هنا من كلمة في موقف عبد السلام عارف من الوحدة والاتحاد . فقد نادى بالوحدة ودعا اليها في خطبه اثناء تجوله في ألوية العراق وفي صحيفته وفي كل أحاديثه . قال عن الوحدة والاتحاد في دفاعه امام المحكمة :

« لست ممن يجبرون الرأي العام على قبول اي شكل من اشكال الحكم وخاصة اننا في فترة انتقال . فان كان لي رأي فهو رأيي بوصفي احد المواطنين . اعني لم اصرح بتاتاً بالوحدة فوراً . وهذه كلماتي ، تستطيع المحكمة الرجوع اليها . لقد كنت اقول اننا نحتاج الى دراسة وزمن طويل والى صبر واناة ، وان ما يريده الشعب هو ما يؤخذ به ... واذا نظرنا الى دستورنا فالمادة صريحة فيه وهي ان العراق جزء لا يتجزأ من الامة العربية . وقد تكون الوحدة على عدة اشكال ومنها ما نراه اليوم في الجمهورية العربية المتحدة ، التي قسمت الى اقليمين بينما ينص دستورنا صراحة على عدم التجزئة .

والامة العربية امة واحدة جمعاء وليس هناك من حدود او اقليمية او تجزئة . فجمهوريتنا مبدأها عام شامل ، وهو ان الامة العربية جزء واحد فان تقسمت الذرة في العلم الحديث فجمهوريتنا لا تتجزأ من الامة العربية بتاتاً ، وهذا ليس رأيي فقط بل انه سياسة الحكومة الصادقة . فلو كنا امة واحدة من الخليج الى المحيط (وهذه العبارة اشد ما يهزأ به المهداوي ويتنكر له) لما عانينا الامرين من الاستعمار ومن هذا الوضع الاجتماعي والاقتصادي ... »

على ان دفاع عبد السلام لم يجده فتيلا ، وحكم المهداوي ، احد ضباط الثورة البسطاء الذين لم يكن لهم كبير دور في قلب الحكم ، باعدامه بعد ان قررت المحكمة تجريمه بالخروج عن مبادىء الثورة ، ومحاولة اغتيال زعيمها الاوحد ...

على ان قرار الحكم تضمن اشارة تقدير الى دور عبد السلام في الثورة مع توصية الى الزعيم الاوحد بالرأفة به .

ولقد كان عبد الكريم قاسم عند حسن ظن المحكمة به فلم يصدق حتى الساعة ، حكم الاعدام ، وتحدث في مناسبات عدة وبعبارات مؤثرة عن الرأفة بعائلات عشرات المحكومين بالاعدام الباقية اضباراتهم مجمدة على مكتبه ، وعن الرحمة ووضعها فوق العدالة وفوق القانون .

مع الجمالي ورفاقه

من رجال العهد الماضي الذين وقعوا في يد المهداوي ، فاضل الجمالي وسعيد القزاز وبرهان الدين باش اعيان وبهجت العطيه وخليل كنه واحمد مختار بابان وعبد الجليل الراوي . وقد حوكموا بتهمة افساد الحكم والاشتراك بالتآمر على سوريا لضمها الى العراق وتوريط الجيش العراقي وسلامة البلاد في ذلك ، ودفع اموال الى صحف والى اعوان للحكومات السابقة اشتركوا بالتآمر لقلب حكومة دمشق . وقضت المحكمة بإعدامهم إلا عبد الجليل الراوي فبالسجن سنة واحدة اذ لم يثبت عليه اشتراكه بالتآمر ولا بافساد الحكم .

في كل هذه القضايا كانت سوريا هي المحور ، ومشروع الاتحاد العراقي السوري هو العماد ، والى جانبه سياسة العراق القائمة على التعاون مع الغرب وعقد ميثاق بغداد المعروف . ولقد تولى المهداوي وماجد امين اثناء المحاكمة في هذه القضايا ، مهمتين اساسيتين :

– الاولى فضح كل من له علاقة ، من قريب او بعيد ، بمشروع اتحاد العراق وسوريا ، في مختلف ادواره ، وكشف مخابرات وزارة الخارجية العراقية في العام ١٩٥٥ والعام ١٩٥٦ وبعض مخابراتها في العام ١٩٥٨ .

– والثانية التهجم على كل ما هو غربي والطعن في سياسة العراق القائمة على التعاون مع بريطانيا والولايات المتحدة وبث الدعاية للاتحاد السوفياتي والتلويح بالتعاون معه ومع البلدان الدائرة في فلكه .

ولقد ابدى ماجد امين ، بالأخص في هذا المقام ، حماسة شديدة تتفق وميوله الشيوعية . فالمشهور عنه انه شيوعي سواء أكان مسجلا ومرقماً رسمياً ام لم يكن.

وقام فاضل المهداوي ، هو الآخر ، بنصيب كبير في حملة الدعاية للاتحاد السوفياتي والشيوعيين اطلاقاً وفي اطرائهم والاشادة بسالمتهم واشتغالهم لسلام العالم . ولا عجب فنظارة محكمة المهداوي شيوعيون بنسبة تسعة وتسعين في كل مائة ، والهتافون والمصفقون له شيوعيون جميعاً . وقد صارت الصلة وثيقة جداً بين المهداوي والشيوعيين ولو لم يكن شيوعياً . وكاد مصيره يكون مربوطاً بمصيرهم ومصلحته مرهونة بمصلحتهم . وانك اذا طفت العراق اليوم واستمعت الى آراء الناس في المهداوي ومحكمته لم تجد من يحبه او يسانده او يتحمس له غير الشيوعيين ، ولو الى حين . . . أما الباقون فيكرهونه ويعتبرونه طاغوت العراق ويخجلون من اساليبه الخشنة والاشد من الخشنة .

ولقل ظل المهداوي على تعلقه بالشيوعيين حتى النهاية ورغم السخط الذي اثارته عليهم حوادث كركوك الدامية . وقام في الجلسة الحادية والاربعين بعد المائة يوم الرابع والعشرين من آب ، اثناء محاكمة الزعيم ناظم الطبقجلي ورفاقه بتهمة مساندة العقيد المتمرد عبد الوهاب الشواف ، يدافع عن الشيوعيين في شخص « جماعة انصار السلام » فيقول :

« ولماذا قام جماعة الموصل يعارضون مهرجان انصار السلام؟ (سكان الموصل في كثرتهم الساحقة إما مسلمون من السنة او نصارى وجميعهم متمسكون باهداب الدين ولا يطيقون الشيوعية) لقد قام انصار السلم بمهرجانات عديدة ، سواء في بغداد او في غيرها من ألوية العراق دون أن يحدث حادث يعكر صفو الأمن . فأنصار السلام ، سواء في العراق او في العالم اجمع جماعة مسالمون لهم اهداف انسانية سامية . ومن ذا الذي لا يدعو الى السلام في العالم ؟ حتى الاسلام ؟ وحتى بغداد تسمّى بدار السلام . وحتى التحية بين المسلمين والعرب اجمعين تبدأ بالسلام ... السلام عليكم ! وعليكم السلام . . هل يعني ذلك : الشيوعية عليكم ! وعليكم الشيوعية ؟ ورحمة الله وبركاته ماذا تعني ؟ هل تعني رحمة ماركس ولينين او ستالين او انجلز والآخرين ؟

هذه الادعاءات الكاذبة والتسميات الفارغة التي يتشدقون بها ضد انصار

السلام لا تخدع احداً . ان البشرية تتوق الى السلام العالمي منذ الخليقة . ومن اراد الادلة فليطالع الكتب التاريخية ، علميـة كانت ام ادبية ام اجتماعية ام ثقافية ام تتعلق بأي مجال من مجالات الثقافة العامة او الاسانيد التاريخية فانها تثبت لنا منذ ظهور حواء وآدم انهما ارادا ان يعيشا بصفاء ووئام وحب شريف طاهر وانسانية فاضلة .. وبعـد ذلك تكونت المجتمعات البشرية والشعوب والقبائـل والدول . ثم وقعـت الحروب ، سواء اكانت محلية او عالمية ولكنها كانت للتعصب الاعمى في كل شيء . وبعـد ان تحرر العالم من هذا التعصب عاد السلام يرفرف عليه وآمنت الشعوب بالسلام العالمي . »

هكذا دافع المهداوي عن انصار السلام ايام كانت دماء كركوك طريّة لما تجف وكان المحققون يدمغون هؤلاء الانصار بإهراق تلك الدماء. وبهذا الاسلوب العجيب شرح حركتهم واهدافهم وعلل مبادئهم وغـاياتهم ... وقد لا تعرف ان المهداوي وماجد امين يحمـلان شهادة الشرف ووسام السلام من مجلس السلم العالمي الذي عقد في استوكهولم في الثامن من ايار ١٩٥٩ اعترافاً « بخدماتهـما لقضية السلام والصداقة بين الشعوب » . كما تقول الشهادة .

وبمثل هذه الحماسة عينها بث المهداوي وماجد امين الدعاية للاتحاد السوفياتي اثناء محاكمة رجال العهد الماضي واستنكار سياستهم الموالية للغربيين . اسمع يقول في مناقشة فاضل الجمالي :

– تآمرت على سلامـة الوطن بتوجيه السياسة الداخلية والخارجية ضـد مصلحته . وكان عملك السياسي يرمي الى الاندفاع والانضمام الى المعسكر الغربي فهل كان ذلك من مصلحة الوطن ، مع العلم بـأن اميركا وانكلترا حليفتان لاسرائيل المغتصبة لفلسطين العربية الشهيدة ؟

الجمالي – دعوتي للسير مع الغرب لم تكن غير مشروطة ، بل كنت اريدها مقرونة بضمان مصالح البلاد العربية لاتحاد العرب والتفاهم مع الغرب متحدين.

المهداوي – اشتركت بتوقيع معاهـدة بورتسموث وفاوضت عليهـا في لندن ، وارتضيت الدفاع المشترك مع بريطانيا وبقـاء قواعدها في العراق ،

وانهيت المفاوضة في ثلاثة ايام دون اخذ رأي الشعب الذي يمثله مجلس الامة .

الجمالي - اما المعاهدة فلم اكن ارمي من ورائها الى ابقاء الاحتلال البريطاني بل إزالته . واما توقيع المعاهدة فلا قيمة له ما لم يقترن بموافقة مجلس الامة . والشعب لم يرض بهذا التوقيع فلم يتم نهائياً .

وراح المهداوي يهاجم المساعدة الاميركية العسكرية للعراق ايما مهاجمة ويصفها بالخطرة على سلامة العراق اذ تعرضه لنقمة الدول وتضعه في موضع الدول المتحيزة وتشركه بالحرب الباردة ثم الحامية .

وسانده ماجد امين وقام يثبت ان الجمالي كان وزير خارجية مزمناً في العراق واشترك بوزارة ارشد العمري الاولى من اول حزيران ١٩٤٦ حتى ١٤ تشرين الثاني ١٩٤٦، ووزارة نوري السعيد التاسعة من ١٤ تشرين الثاني ١٩٤٦ الى ١١ آذار ١٩٤٧ ، ووزارة صالح جبر من ٢٦ آذار ١٩٤٧ الى ٢٧ كانون الثاني ١٩٤٨ ، ووزارة نوري السعيد العاشرة من ١٧ آذار ١٩٤٩ الى ٦ كانون الاول ١٩٤٩ ، وفي وزارة مصطفى العمري من ١٢ تموز ١٩٥٢ حتى ٢١ تشرين الثاني ١٩٥٢ ، ووزارة نور الدين محمود من ٢٣ تشرين الثاني ١٩٥٢ الى ٢٢ كانون الاول ١٩٥٣ ، وكان رئيس وزراء ووزير خارجية بالوكالة من ٨ آذار ١٩٥٤ الى ٢٩ نيسان ١٩٥٤ . ثم كان وزير الخارجية في وزارة أرشد العمري الثانية من ٢٩ نيسان ١٩٥٤ الى ٣ آب ١٩٥٤ ، وفي وزارة نوري السعيد الرابعة عشرة من ٣ آذار ١٩٥٨ الى ١٤ ايار ١٩٥٨ .

قال ماجد امين ساخراً: تسع مرات وزير خارجية ويقول انه غير مزمن... الظاهر انه يريد ان ينافس نوري السعيد ! اما الفترات الاخرى ففي معظمها كان ممثل العراق الدائم (العفو ممثل بريطانيا واميركا واسرائيل) في هيئة الامم. لقد امضى اربع سنين وأربعة اشهر في وزارة الخارجية .

وهنا حضرت النكتة فاضل الجمالي، والمعروف عنه ان له نوادر «على البارد»، فقال وسط ضجيج القاعة بالضحك :

سيدي الرئيس ... انا صرت وزير خارجية ثماني مرات لا تسعاً واظنّ ان

جمع الاشهر فيه خطأ . فالوزارات لم تكن تعمر اكثر من ثلاثة شهور او اربعة، واقصى حدّ ستّة !

المهداوي – اما كان الافضل لك يا جمالي لو بقيت في المعارف وتدرجت في مناصب حقيقية بدل المناصب الوزارية ؟

الجمالي : اقصيت عن المعارف بطلب الانكليز . فقد ساءهم أن آتي بمعلمين سوريين ومصريين ولبنانيين . قالوا اني اغذي القومية والفتوة في المدارس، واصروا على اخراجي بعد حركة ١٩٤١ فأخرجوني وامضيت سنة ونصفاً في بيتي ثم عينت مدير خارجية عاماً .

ماجد امين – يقول: الانكليز اخرجوه، والمعروف عنه أنه امر بحذف عبارة في كتاب تاريخ للصفوف الابتدائية تقول: ان البرابرة لما غزوا الجزر البريطانية وجدوا الانكليز يلبسون الجلود ويأكلون الخبز ...

وانتقل المهداوي الى موضوع جد حساس حين راح يتحدث عن مؤتمر باندونغ ويناقش الجمالي الحساب عما فعله فيه . فالمعروف ان الجمالي تولى في ذلك المؤتمر اثارة حملة عنيفة على الشيوعية قائلاً ان هناك استعماراً شيوعياً تجب محاربته مثلما يحارب الاستعمار الغربي .

وسأله المهداوي – هل السلم العالمي شيوعية ؟ هل نهرو شيوعي ، هل التعايش شيوعية ؟

وكان الجمالي كل مرة يحاول ان يجيب فيقاطعه المهداوي باسئلته حتى ضاق به ذرعاً فقال:

– اذا كنتم تحبون ان اتكلم دعوني اتكلم ...

فلما قال له المهداوي : « تفضل » راح الجمالي يشرح الامر فقال : انا قلت ان الالفاظ التي تستعملها الشيوعية الفاظ كلنا نؤمن بها ، وليس هناك شخص واحد لا يحب ان يحارب الاستعمار ولا يحب التعايش السلمي ولا يحب الديموقراطية ولا يحب الشعبية ، ولكن المهم ان نتفق على مدلول هذه الكلمات .

المهداوي مدافعاً – يعني تريدون ان تحرموا على الشعوب حتى الالفاظ ؟ تتهمونها بالشيوعية ؟ وهل كان واجبك بصفتك مندوب العراق ان تحارب

الشيوعية فقط في مؤتمر باندونغ ؟

ولما قال الجمالي انه حارب الاستعمار الغربي كذلك ، عاجله المهداوي بسلسلة وثائق ومخابرات من الخارجية العراقية تثبت تضامنها مع الدوائر السياسية الغربية في محاربة الصين الشيوعية اثناء المؤتمر حتى خرجت منه بنتائج اقل مما قدرته واعتبر ذلك اثباطاً لهممها في الهجوم على جزيرة فورموزا ، وكان للجمالي في ذلك فضل كبير .

جاء في قرار تجريم فاضل الجمالي بشأن السياسة الخارجية : « لقد كشفت معاهدة المساعدات العسكرية التي عقدها المتهم مع اميركا سراً مدى تحديه ارادة الشعب معرضاً البلاد لخطر الحرب والدمار . » الى ان قال : « وبذلك جعلت هذه المعاهدة من الجيش العراقي اشبه بالقوة البوليسية لضرب القوى التحررية وخنق الحريات ، ومهد المتهم السبيل لانضمام العراق الى الكتلة الاستعمارية ومن ثم ضم العراق الى الحلف التركي الباكستاني فانتمى الى حلف بغداد المشؤوم واصبح العراق جزءاً من قوة الدفاع عن العالم الحر ، عالم اميركا ... وبريطانيا وفرنسا واسرائيل ... وبذلك سعى المتهم الى وضع البلاد بمواردها وثرواتها ومرافقها في خدمة اهداف الحرب وتعريضها لاهوال حرب ذرية مبيدة . »

كذلك كان شأن المهداوي وماجد امين مع برهان الدين باش اعيان ، فقد قال باش اعيان في خلاصة دفاعه : « ان من الصعب التثبت من توفر القصد الجرمي في الافعال التي تناولها القانون الذي نحاكم بموجبه لأن هذه الافعال افعال سياسية والسياسة اجتهاد، والقاعدة الفقهية ان الاجتهاد لا ينقض بمثله وان المرء لا يؤاخذ على اجتهاده ، سواء أأخطأ ام اصاب وانما يؤاخذ على سوء نيته وليس من اليسير التثبت من سوء النية او القصد الجرمي في مثل هذه الاحوال» . قال باش اعيان ذلك دفاعاً عن سياسته ، فحمل عليه المدعي العام ماجد امين بقوله: « انني استغرب جداً ثقافة وزراء العهد السابق . يقفون امام محكمة الشعب ثلاث ساعات في قفص الاتهام يدافعون عن الاستعمار وعن سياسة نوري السعيد

في قضية حلف بغداد . »

وقال له المهداوي : حاولت دفع سياسة البلاد الى جهة تخالف المصلحة الوطنية كانضمام العراق الى حلف بغداد والسير في ركاب السياسة الغربية كلياً، فأية مصلحة جناها العراق من ذلك ؟

باش اعيان – كان هذا اجتهادي في موضوع ميثاق بغداد : انه يعزل اسرائيل ويؤدي الى حل قضية فلسطين ويفيد العراق عسكرياً ويساعدنا على الحصول على ما نريده من الدول الغربية . ولما وجدنا ان الميثاق لا يحقق ذلك تقدمنا الى نوري السعيد بتلك الاقتراحات لتعديله وبعدها استقالت الحكومة .

المهداوي – تباكيت على عدم انضمام اميركا الى ميثاق بغداد خوفاً من فقدان الغرب للشرق الاوسط ونسيت ان انضمام العراق الى الاحلاف العسكرية سيجعله ساحة حرب لا ناقة له فيها ولا جمل ، فما قولك ؟

باش اعيان – اردنا ان تنضم اميركا لكي نقوي الميثاق وتزداد عزلة اسرائيل عن المعسكر الغربي وعن منطقة الشرق الاوسط . وقد اتبعنا في هذا السبيل طريقة لاغراء الاميركان حتى ينضموا الى الميثاق وذلك بتخويفهم دائماً بالخطر الروسي .

وفي مرحلة اخرى من مراحل محاكمة باش اعيان تطرقت المحكمة الى ما دار في احد اجتماعات رؤساء حكومات دول حلف بغداد الاسلامية الاربع ، العراق وتركيا وباكستان وايران ، حسبما جاء في احدى وثائق وزارة الخارجية العراقية السرية للغاية ، من ان رئيس وزراء باكستان قال « ان قطع سوريا انابيب النفط امر خطير وقد يسبب حرباً في بعض الحالات ، وان من رأيي ان سوريا والاردن لا يمكن جلبهما الى صفوفنا إلا بالقوة » فصاح المهداوي :

– من رئيس وزراء باكستان ? هل هو عربي ? كان يجب على الباكستان ان تتحد مع الهند وتسير بزعامة واحدة ، زعامة نهرو العظيم . الم تكفنا نكبتنا في فلسطين وتريدون أن تخلقوا فلسطين اخرى في سوريا ? ورأي من ? رئيس وزراء باكستان !

باش اعيان : حاشا ! لم نوافق على ذلك .

وفي قضية احمد مختار بابان ندد المهداوي وماجد امين بالتعاون مع بريطانيا واميركا . واثار المهداوي حادثة المؤتمر الذي عقده الموفد الاميركي هندرسون في تركيا بسبب تخوف الاميركيين من تغلغل شيوعي في سوريا آنذاك ، وقد حضره الملك فيصل والامير عبد الاله والفريق رفيق عارف وفاضل الجمالي ورئيس جمهورية تركيا ، قال :

– هل يجوز لأميركا وتركيا ولكم انتم يا رجال العهد البائد من العراقيين التدخل في شؤون سوريا الداخلية بهذا الشكل وتدبير قلب نظام الحكم فيها بالقوة ؟

بابان – مطلقاً ، لا يجوز ، وقد كان موقفي سلبياً وقلت انه اذا كان للاميركيين شيء يتحدثون عنه معنا فليأتوا الى بغداد وسنرى .

وقد جاء في قرار تجريم احمد مختار الذي أدى الى الحكم باعدامه ، « انه احد دعاة الاستعمار وركيزة من ركائزهم ، فهو لم يناد بازالة القواعد الاستعمارية بل أيد ميثاق بغداد الذي أقرّ وجودها . وقد اتخذ المتهم الميثاق وسيلة للاندفاع في تأييد الغرب والدوران في محوره دون قيد ولا شرط ... وقد فسح الميثاق المجال لدولة كي تتدخل في الكثير من الشؤون التي تعتبر من صميم امور البلاد الداخلية ، حتى راح كثيرون يقارنون بين المعاهدة البريطانية العراقية السابقة التي قوت في البلاد النفوذ البريطاني وبين هذا الميثاق الذي لم يقلل من هذا النفوذ بل زاد عليه نفوذ الدول المشتركة به . »

وهكذا مثل المهداوي وهيئة محكمته دوراً كبيراً في الدعوة لاقصاء العراق عن الغرب والتقرب الى الكتلة الشيوعية والدفاع عنها وبث الدعاية لها في جماهير المستمعين والنظارة والقراء في العراق وخارج العراق كذلك . ولقد ساهم ذلك ايما مساهمة في الميل بالعراق نحو اليسار وتمكين الشيوعيين من التنفس فيه طويلا .

أما دور المهداوي واعوانه في فضح كل من له علاقة بمشروع اتحاد العراق

وسوريا فقد برز في كل مرحلة من مراحل محاكمة ساسة العهد الماضي ، وفي كل دقيقة من دقائق المحاكمة. لقد كشفوا كل المخابرات السرية في وزارة الخارجية واسماء جميع المشتغلين للاتحاد العراقي السوري والمبالـــغ التي دفعت لمساعدة المشردين منهم والمطاردين والمحتاجين وغير المحتاجين ، ونكلوا بمن وقع منهم في ايديهم وأهانوه وألصقوا بـــه كل التهم وكالوا له نعوت الخيانـة والتآمر والغدر والتفريق بين الدول العربية ، رغم مناداته بالوحدة. وقد قالوا في قرار تجريمهم فاضل الجمالي بهذا الصدد :

« في ما يتعلق بالتهمة المتعلقـــة بتدخل المتهم في شؤون سور ولبنان الداخلية والاعتماد على الاميركان والانكليز في تغيير نظام الحكم في سوريا، ظهر للمحكمة من اعتراف المتهم انه منذ سنة١٩٤٩ بل وقبلها كان يتبنى فكرة الاتحاد السوري العراقي وكان لا يفتـــأ يذكر ، في تصريحاته وفي مجالسه وفي مقالاته وفي اجتماعه بالمسؤولين وغير المسؤولين ، ما يؤيد هـذه الفكرة ويشجع عليها . ولو ان المومأ اليه لجأ الى فكرة الاتحاد عن طريقهـا المعروف ، كما هو متعارف عليه دولياً ، بعقد المؤتمرات الرسمية وبوجود تشجيع رسمي من الجانب السوري لما كان على فكرته اي غبار (وهنا يحاول المهداوي ان يـــبرر محاكمة المنادين بالوحدة العراقية السورية بإعتبار ان الرأي العربي حساس في امر الوحدات التي يجتذبه بريقها ويسهل الوصول الى اعماقه من خلالها) ولكنه كان يجتمع بالرسميين وغير الرسميين لتحقيق هذا الاتحاد والتفاوض عليه في الخفاء دون اطلاع الرأي العام في كلا القطرين... وظل الى يوم الثورة يواصل مساعيه بشأن تحقيق الاتحاد عن طريقه غير المشروع وذلك بزج الجيش العراقي في الامر » .

اما الجمالي فقال دفاعاً عن نفسه : « اني لم افكر يومـــاً من الايام في تحقيق الاتحاد بين سوريا والعراق بطرق غير مشروعة ، بل بالعكس يمكنكم التأكـد من ذلك مما جاء في احدى رسائلي الموجودة لديكم الى الامير عبد الاله من ان الاتحاد لا خير فيه ما لم يقبل عليه الشعب وما لم يقم بإرادتـــه ، وكذلك من اعتذاري عن مساعدة الاستاذ معروف الدواليبي مساعدة عسكرية حـــين جاء

لينهي حكم الشيشكلي في سوريا. ولم يتسن لي يوماً ان اكون في الحكم واعمل في سبيل الاتحاد منذ ١٩٥٤ حين زارني صبري العسلي. ولا يمكن بوجه من الوجوه ان يعتبر اجتماعي برئيس وزراء وانا وزير الخارجية ، في الخارج للاستشفاء وتبادل الآراء معه (اجتماع برمانا في لبنان) مؤامرة على سوريا » .

وفي قضية باش اعيان جاء في قرار التجريم : «اتضح ان المتهم كان حاضراً في مؤتمرين في البلاط بخصوص البحث بأمور سوريا، وان النية مبدئياً كانت متجهة الى ارسال المتهم برهان الى بيروت لمقابلة اديب الشيشكلي ثم وقع الاختيار على غازي الداغستاني وزود غازي بثلاثة آلاف دينار لانفاقها على المتآمرين السوريين المقيمين في بيروت ، وان غازي ذهب الى سويسرا وقابل اديب الشيشكلي وقام بمباحثات لتغيير نظام الحكم في سوريا . ولما رجع اخبر المتهم بنتائج هـــذه المباحثات . ثم حدثت المؤامرة في صيف ١٩٥٦ (قضية هايـل السرور ورفاقه الذين ضبطت الاسلحة المرسلة اليهم لقلب نظام الحكم) وانكشفت للملأ في اواخر تلك السنة وجرت المحاكمات . وقام المتهم بمخابرات مع دول ميثاق بغداد وبعض دول الجامعة العربية للتأثير بتخفيف الاحكام الصادرة على المتآمرين .

ولم يعارض المتهم فكرة نوري السعيد لارسال الجيش العراقي الى سوريا، وان ما جاء في افادته عن عدم موافقته على ارســـال الجيش العراقي الى دير الزور حين عرضت الفكرة ، لا ينفي اشتراكه بالمؤامرة ، خصوصاً انه امر بارســـال الاموال الى المتآمرين على سوريا من السوريـــين وان بعض هؤلاء كانوا يترددون عليه في مكتبه وانه زار بعضهم عند زيارتهم بغداد .

وثبت كذلك ان المتهم سعى الى عقد اتفاق عسكري مع لبنـــان ولكن اللبنانيين ترددوا في قبوله ووافقوا على ان يرسل العراق ضباطاً عراقيين فقط ، وان الاتفـــاق على ذلك وقع قبل المؤامرة على سوريا مما يدل على ارتبـــاطه بالمؤامرة ارتباطاً وثيقاً . »

ولقد دافع برهان الدين باش اعيان عن نفسه ضد هذه التهم دفاعاً طويـــلاً استمر ثلاث ساعات وجعل المهداوي يبرم به ويقرّعه على الشرح والتطويل ، قال :

« بعد فشل الثورة العربية في تحقيق الوحدة بين الاقطار العربية لم تجد فكرة الوحدة تربة صالحة تنبت فيها من جديد الا في سوريا والعراق . وقد ساعد على ذلك تقارب البلدين واتصالها جغرافياً واقتصادياً وسياسياً وطبيعياً ، فتأصلت هذه الفكرة في قلوب كلا الشعبين العراقي والسوري منذ ذلك الحين وتبناها اغلب الساسة الوطنيين في كلا البلدين وبذلوا من اجلها اعظم التضحيات .

وليس من الانصاف ان يوصم كل من عمل على تحقيق هذه الفكرة بأنه كان يعمل لمصلحة اسرة معينة او شخص معيَّن لان الوحدة ، وهي غاية قومية مقدسة ، تبرر للسياسي الذي يعمل على تحقيقها ان يتوسل لذلك بكل وسيلة تهيئها له الظروف . واذا كانت هذه الفكرة قد اصطدمت منذ بدايتها بعقبات خارجية فانها لم تلبث ان اصطدمت بعقبات اخرى عربية من داخل البلاد العربية .

ولم تكن هذه العقبات العربية ايجابية . ففكرة توحيد سوريا مع العراق لم تكن تقاوم بفكرة انشائية مقابلة بل كانت تقاوم بفكرة سلبية هدفها الوحيد الحول دون قيام اتحاد بين العراق وسوريا .

وقد بقيت هذه الحالة المؤسفة مستمرة حتى العام ١٩٥٧ حين ظهرت اول مرة فكرة توحيد سوريا مع مصر التي تحققت ولله الحمد ... اما ما قمنا به نحن فهو اجابة ضعيفة لرغبة اخواننا السوريين المؤمنين بفكرة الاتحاد ، الغيورين على سمعة العراق . ولم نحاول التدخل في شؤون سوريا ... اما الاسلحة التي جرت المحاكمة بشأنها في سوريا فقد سألت عنها نوري السعيد فنفى لي مطلقاً ان يكون لها علاقة بالمؤامرة (مؤامرة هايل سرور ورفاقه) وقال ان الاسلحة المذكورة هي قسم من الاسلحة التي كان يراد ارسالها الى الجزائر عن طريق سوريا ... »
(صدر بلاغ عراقي في ذلك الحين بالمعنى ذاته) .

ويكاد لا يختلف الامر في قضايا الساسة العراقيين الآخرين الذين حاكمهم المهداوي في قضية التآمر على سوريا والسعي لقلب الحكم فيها ، عن هذا النمط من الاتهام والدفاع والتجريم .

في كل هذه القضايا ظل المهداوي محتفظاً بشيء من الاحترام نحو المتهمين .

فكثيراً ما قال للجمالي : تفضل ... واذا اردت ، وكما تريد . وكثيراً ما حرص على مداراة احمد مختار بابان بالأخص لمـا عاتبه لأنه لا يصدقه او لما قال له انه مريض وان طول المناقشة يرهقه . ولكنه خرج مراراً عدة عن طوره اثنـاء محاكمة وزير الداخلية السابق سعيد القزاز . فقد وقف القزاز في المحكمة وقفة عنترية وجابه المهداوي بمثل صفاقته ومثل عنفه في المناقشة والاخذ والرد ، ولم يبد عليه انه يخشى المهداوي او يهابه . ولا عجب فقد عرف عن القزاز شدة بأسه لما كان في الحكم . ولعل ما زاد المهداوي رغبة في التشفي منه ما اشتهر عنه من البطش بالشيوعيين في تظاهراتهم في البصرة وكركوك وبغداد ، واستعماله القوة في تفريق جموعهم وتشتيت شملهم .

نعته المهداوي بالخائن والسفاح والوزير الدموي . ووصمه بالكردي القـذر ، واستدرك قائلاً انه خائن الاكراد ومسوّد وجوههم . فالاكراد من الجمـاعات التي يحرص المهداوي على خطب ودّهـا واطرائها بل التزلف اليهـا : اخواننا الاكراد ، الوحدة العربية الكردية المباركة ، نصف العراق الكردي ، الى آخر عبارات التقرب والتفخيم ... تهجم عليه المهداوي ايمّا تهجم . ولكن القزاز لم يسكت ، مثلما فعل معظم الذين وقفوا في قفص اتهام المحكمة العسكرية المهداوية . وقف يصيح بالمهداوي : اسكت ! اياك واهانتي . حاكمني ولكنك لن تستطيع اذلالي . انني لا أهاب الموت . قمت بواجبي بوصفي وزيراً للداخلية . اردت ان اضمن حرية العمل للراغبين فيه من العمال والمستخدمين لمّا حاول الشيوعيون حرمانهم منها بفرض الاضراب عليهم فرضاً . حافظت على الامن والنظام وقضيت على اعمال الشغب ، ولو كنت اليوم وزير داخلية لفعلت ما فعلته يومذاك ، فما انا بالنادم على ما كان .

ثورة الموصل

في هـــذه القضية الكبيرة ، قضية عصيان العقيد عبد الوهاب الشواف في الموصل ، ظهر المهداوي على حقيقته ، كل حقيقته . فيها انطلق لسانه من آخر عقال كان يضبطه . فيها انفجر يهاجم عبد الناصر والجمهورية العربيــة المتحدة واتحاد سوريا ومصر ، ويحرض السوريين على هـذا الاتحاد ويندّد به ويحط من قدره .

في هذه القضية سيق الى محكمة المهداوي خمسون ضابطاًونيف في حركة تطهير شملت مختلف ملاكات الجيش وسلاح الجو ، فأقصت عنهـا كل ضابط مشكوك بولائه للواء قاسم ورفاقه ، وكل مشبوه وكل مشترك بالعصيان ومؤيد له . فكأنما كانت ثورة ١٤ تموز بحاجة الى حركة كهذه كي يظهر فيها الموالون والمعارضون من الضباط وتتم الغربلة والتنقية فلايبقى الا المعتمد عليهم في مراكز القوة الحساسة.

اما الذين ظلوا ولم تجرفهم حركة الشواف ولا حركة التطهير التي تبعتها ، واولئك الذين يتكل عليهم اللواء قاسم اليوم في اطار قيادة الجيش والقوة الجوية والحكم ، فهم :

١ – اللواء احمد صالح العبدي رئيس اركان الجيش والحاكم العسكري العام. ولد سنة ١٩١٢ ، وبلغ مرتبة ضابط سنة ١٩٣٤ ، خريج كلية الاركان العراقية. وهو ضابط مدفعي قدير ، متزوج ، يجيد اللغة الانكليزية ، اشترك بـــدورة مدفعية في «لاركهيل» في انكلترا ، وخريج دورة الاقدمين او «الضباط العظام» كما يسمونهم في الجيش .

يعاون رئيس اركان الحرب معاونان همـــا : الزعيم شاكر محمود شكري ،

والزعيم الركن فريد ضياء محمود الذي يتولى منصب قائد الفرقـــة الخامسة في الوقت ذاته ، وهو معروف بميوله الشيوعية . اما شاكر محمود شكري فمن غير الحزبيين .

وقد كان الزعيم رشاد عوني الطائي معاوناً لرئيس الاركان وكان من الضباط القوميين العرب المرموقين . فلمـا اعتقل رفاقه كبار الضباط بعد حركة عصيان الموصل ، جن جنونه واصيب باضطراب عصبي خطـــير فأدخل المستشفى ولم يلبث ان انتحر . ومما يروى عنه ان الحزن بلغ به حد الجنون ، فجاء بحاجبه الى مكتبه واجلسه على كرسيه وألبسه سترته العسكرية وراح يؤدي له التحيـــة ويخاطبه مخاطبة المرؤوس لرئيسه او العابد لمعبوده ... ثم كان مـا كان من امر مصيره المؤلم .

٢ – العقيد فاضل عباس المهداوي. وهو عقيد احتياط ، وعقيد الاحتياط لا يحق له الترفيع الى اعلى من رتبة زعيم ولا يصير ضابطاً ركناً ولا يحق له ان يدخل كلية الضباط . على ان المهداوي دخل كلية الضباط على اساس شهادة مدرسية اخذهـا من بـيروت حيث درس مدة ، ورفضت وزارة المعارف ان تعادلها كما كان شأنها مـــع عدد من الضباط دخلوا الكلية ثم سويت مسألتهم على اساس بقائهم ضباط احتياط . ولعل هذه الحادثة الهامة في حياة المهداوي العسكرية ، قد خلقت فيه عقدتين : الحقد على من يعتبرهم مسؤولين عن رفض المعادلة من حكام العهد الماضي والغيرة من رفاقـه الضباط الأركان .

كان المهداوي ضابطاً عادياً غير لامع قبل ان يبرز في « محكمة الشعب » ويذيع صيته ويتناقل العالم اخباره . وقد أمسى اليوم سنداً للواء قاسم الذي يستمدهو ومحكمته القوة منه في الاصل ، ويعد تابعاً له امينا « كلمة من كلماته ، لفظـة من لفظاته » كما قال المهداوي عن نسبته الى الزعيم الأوحد يوم اعلن الزعيم الاوحـد تأييده لكل حرف يقوله في محكمته وخارجها .

٣ – العقيد وصفي طاهر ، وهو الآخر ضابط احتياط ، كان نكرة بـــين الضباط ، ثم عين مرافقاً للواء قاسم . والمرافق عادة ليس ضابطاً من كبار الشأن ،

ولكنه في الظروف الاستثنائية كالتي يجتازها العراق منذ انقلاب ١٤ تموز يعد ضابطاً هاماً وحارساً ومساعداً للواء قاسم ...

٤ – الزعيم الركن طه الشيخ احمد المعروف بفيلسوف الحزب الشيوعي ، وهو في هيئة القيادة العليا ، خريج كلية الحقوق ، مثقف ثقافة متينة ، كثير المطالعة وحسن الاطلاع . وقد قام بدور كبير في الثورة مع قاسم . ولكن طرأ بعض الفتور في علاقاته بقاسم حتى انه اقصي حيناً عن السلطة .

وهناك الى جانب هؤلاء الضباط الكبار ، قادة الفرق الخمس في الجيش وقائد القوات الجوية ، وهم :

٥ – الزعيم الركن السيد حميد سيد حسين قائد الفرقة الاولى ، من الناصرية في جنوب العراق . معروف بطيب عنصره وقدرته ، وهو من القوميين العرب المرموقين ، يحترمه اللواء قاسم ويجله خصوصاً انه من سادة الشيعة . وهذه الفرقة هي مشاة عادية .

٦ – العقيد محمود عبد الرزاق قائد الفرقة الثانية (فرقة جبلية) وهو من بغداد ، مشهور بأخلاقه الطيبة ، ومن خصوم الشيوعية .

٧ – الزعيم الركن خليل سعيد قائد الفرقة الثالثة (فرقة مشاة) ، بغدادي من الأعظمية يماشي اللواء قاسم مسايرة للوضع ، ويميل الى العمل في الجيش اكثر من ميله الى السياسة . وهو نجل عالم ديني كبير .

٨ – الزعيم الركن صديق حسن ، قائد الفرقة الرابعة وهي فرقة المدرعات والدبابات ، من الموصل ، عسكري يكاد لا يحيد عن اوامر الرؤساء قيد شعرة ، ويخشى الاشتغال بالسياسة . المعروف عنه انه لا يحب الشيوعيين وانه يتمسك بقوميته .

٩ – الزعيم الركن علي غالب عزيز ، قائد الفرقة الخامسة ، من بغداد معروف بوفائه وتمسكه بقوميته العربية .

١٠ – الزعيم الركن جلال الاوقاتي ، من بغداد ، قائد سلاح الجو العراقي . معروف بميوله الشيوعية . ترك الخدمة مدة طويلة وكان مقدماً فأعيد الى الخدمة

بعد الثورة ورقي الى رتبة عقيد ثم رفع الى رتبة زعيم . يخلص للواء قاسم .

هؤلاء الضباط العشرة الكبار هم أبرز القادة الذين يعتمد عليهم اللواء قاسم . وهناك ضباط غيرهم اقل رتبة منهم ولكنهم لا يقلون عنهم شأناً وبالأخص اولئك الذين يشتغلون في الاستخبارات العسكرية فإن سلطتهم ونفوذهم كبيران ويعدون يد قاسم اليمنى .

اما الضباط الذين اصابتهم حركة التطهير بعد عصيان الموصل فقد سيقوا بالتدريج الى محكمة المهداوي بتهمة الاشتراك بالمؤامرة او تأييدها ، فحكمت على معظمهم بالاعدام وعلى قسم منهم بالسجن المؤبد وبرأت الآخرين مكتفية بما صاروا اليه من بطالة باخراجهم من الجيش .

على ان المحكومين بالاعدام ،وهم في محكمة المهداوي نصف الذين مثلوا امامه ، ما زالوا ينتظرون ان يبت اللواء قاسم بأمرهم ، إلا تسعة قد تم تنفيذ حكم الاعدام فيهم . ويغلب على الظن ان قاسم لا يريد تصديق اعدامهم بل تخفيض الاحكام عليهم الى السجن المؤبد ولكنه يترك امرهم معلقاً ليظلوا هم واعوانهم رهينة عنده ..

والا لكان اسرع بالتصديق والتنفيذ مثلما فعل في قضايا المحكومين العشرة الذين تم تنفيذ الاعدام فيهم بعد قليل من صدور احكام المحكمة العسكرية الخاصة عليهم .

اما هؤلاء العشرة فهم الضباط الطيارون الاربعة الذين اشتركوا بقصف محطة اذاعة بغداد في ضواحي العاصمة اثناء عصيان عبد الوهاب الشواف في الموصل : العقيد عبد الله ناجي والرئيس قاسم الغزاوي والملازم احمد عاشور والملازم فاضل ناصر وقد اعدموا رمياً بالرصاص . وخمسة ضباط غيرهم اتهموا بالاشتراك في عصيان الشواف وهم الرئيس الركن نافع داود ، وهو الضابط الاعمى وقد نفذ فيه حكم الاعدام رغم اصابته ، والرئيس محمد امين عبد القادر ، والملازم الاول سالم حسين ، والملازم مظفر صالح ، والملازم اسماعيل عموري . وقد اعدموا في ٢٥ آب ١٩٥٩ . اما عاشرهم فهو المدني فاضل الشقرا الذي اذاع

بيانات العصيان من محطة اذاعة الموصل وكان له مع المهداوي مواقف شهيرة . وقد شنق وكان المدني الوحيد الذي اعدم منذ انقلاب ١٤ تموز .

لقد حوكم ضباط كبار في قضية الموصل وقضى المهداوي باعدامهم ، ولكن التنفيذ لم يتم الا في صغار الضباط من رتبة رئيس اول فما دون ذلك . اما زعيم حركة عصيان الموصل العقيد عبد الوهاب الشواف فقد قتل حين قصفت طائرات اللواء قاسم مقره في الموصل اذ جرح بشظية ثم ما لبث ان هاجمه خصومه واجهزوا عليه فانهارت حركته وقضي عليها في ساعات اذ لم يكن فيها شيء من مقومات الثورات او حركات العصيان الطويلة النفس .

سيق الى محكمة المهداوي في قضية الموصل ست قوافل من الضباط ومدنيان احدهما إمام من ائمة الموصل هو سعيد عبد العزيز والآخر فاضل الشقرا :

- قافلة الضباط الذين اشتركوا بقصف اذاعة بغداد وهم : العقيد عبد الله ناجي والرئيس قاسم العزاوي والملازم احمد عاشور والملازم فاضل ناصر . وقد قضت المحكمة باعدامهم ونفذ الحكم فيهم بعد ان صدقه اللواء قاسم .

- قافلة السبعة عشر وهم ستة عشر ضابطاً وامام وقد حكمت عليهم في ٣٠ نيسان ١٩٥٩ بما يلي : الاعدام رمياً بالرصاص للمقدم الركن علي توفيق آمر حامية عقره ، والمقدم يوسف كشموله ، الرئيس هاشم الدبوني ، الرئيس محمد سعيد قاسم ، الرئيس صديق علي الصفار ، والملازم الاول حازم خطاب .

والسجن المؤبد للامام سعيد عبد العزيز وتسعة ضباط هم : الملازم الاول غانم فتحي والملازم هاشم يونس والملازم عبد الرزاق اسماعيل والملازم سعيد محمد فتحي ، والملازم شريف الحازم ، والملازم سلطان خلف ، والملازم طارق حسين ، والملازم حاتم عبد العزيز ، والملازم هاشم عبد العزيز .

وقضت المحكمة ببراءة المتهم السابع عشر نائب الضابط سامي فتحي .

وقد تضمن قرار التجريم ان هؤلاء الضباط اشتركوا بالمؤامرة التي دبرتها الجمهورية العربية المتحدة لقلب نظام الحكم في العراق بالاتفاق مع العقيد عبد الوهاب الشواف (ولقبه المفضل عند المهداوي وماجد امين هو « الخائن القذر »

وصفة حركة الشواف المفضلة هي «القذرة») وان الامام عبدالعزيز القى خطاباً دينياً حرض فيه اهل الموصل على الثورة قائلاً ان عبد الكريم قاسم انحرف عن اهداف الثورة وباع البلاد للشيوعيين وان الخطر بات يهدد الناس في دينهم وأعراضهم وحرياتهم .

وشرح قرار التجريم دورالباقين ، فقال : « ان المقدم علي توفيق آمر حامية عقره توجه الى الموصل واطلع على خطة العصيان ومساهمة الجمهورية العربية المتحدة بها ، وعرف ان الحدود مفتوحة مع سوريا فاجتمع بآمري السرايا كشمولة والدبوني وقاسم والصفار وسعدالله الراوي (الذي سحلته جماهير المتظاهرين من الشيوعيين في الموصل بعد فشل عصيان الشواف حتى لقي حتفه) وألغى الاجازات وقرر توزيع العتاد واجتمع برؤساء العشائر وامر باعتقال ١٧ عسكرياً و ١٤ مدنياً من المخلصين للجمهورية وساقهم بالقوة الى الموصل وعين نفسه حاكماً عسكرياً في عقرة ، وابلغ محافظ القضاء ومعاون الشرطة انه ساند حركة الشواف ، وان الجمهورية العربية المتحدة تؤازر الحركة . وخطب في الجند وحمل على اللواء قاسم وندّد بسياسته وجمهوريته وامر بإنزال صوره وهتف لعبد الوهاب الشواف. وقد ثبت للمحكمة انه حمل السلاح ضد نظام الحكم وسعى في ضمّ العراق بالقوة الى الجمهورية العربية المتحدة وهي دولة اجنبية ، وهدد حياة اللواء قاسم . »

وادان قرار التجريم المقدم كشمولة والرئيس الدبوني بمؤازرة حركة الشواف واعتقال العسكريين المؤيدين للجمهورية ومحاولةضم العراق الى الجمهورية العربية بالقوة وتهديد حياة الزعيم الاوحد والتمرد على الحكومة القائمة . وادين الضباط الآخرون إما بالتقصير في مقاومة حركة الشواف او باعتقال عسكريين موالين للجمهورية او بالاتيان بزعماء عشائر لاشراكهم بحركة التمرد .

- قافلة الضباط الاحد عشر وهم : المقدم اسماعيل هرمز والمقدم كامل الدبوني والرئيس الاول مجيد الجلبي والرئيس زكريا طه والرئيس صديق اسماعيل والرئيس حازم حسن العلي والملازم الاول كامل اسماعيل والملازم حازم العمري

والملازم هاني عبد القادر والملازم سالم محمد سعيد ونائب الضابط انور عساف ، وجميعهم من الموصل الا نائب الضابط عساف فهو من نينوى .

وقد حكمت المحكمة في ٢٣ ايار ١٩٥٩ في الجلسة الثانية عشرة بعد المائة بإعدام ستة منهم رمياً بالرصاص حتى الموت وهم :

المقدم اسماعيل هرمز ، والمقدم كامل الدبوني والرئيس الاول مجيد الجلبي والرئيس زكريا طه والرئيس صديق اسماعيل والرئيس حازم حسن العلي .

وقضت المحكمة على الباقين بالسجن المؤبد . وقد جرمتهم المحكمة بتحريك وحداتهم وفقاً لاوامر القائد المتمرد عبد الوهاب الشواف وحمل السلاح ضد الجمهورية في زمن مفروضة فيه الاحكام العرفية الخ .

– قافلة التسعة وجميعهم من الفوج الثالث اللواء الخامس وهم : العقيد خليل سلمان والمقدم عبد الله الجبوري والرئيس يحيى حسن الحمادي والرئيس توفيق يحيى اغا والملازمون غانم محمد العبدالله وحسن محمد صالح وعبد الرحمن مصطفى وذو النون يونس وكامل يحيى الحافظ .

وقد قضت المحكمة في العاشر من حزيران ١٩٥٩ بالاعدام رمياً بالرصاص حتى الموت على اربعة منهم : العقيد خليل سلمان والمقدم الجبوري والرئيس الحمادي والرئيس يحيى اغا ، وقضت بالاشغال الشاقة المؤبدة على الخمسة الآخرين . وقد جرمت المحكمة هؤلاء الضباط بتحريك فوجهم الثالث ومهاجمة كتيبة الهندسة الموالية لقاسم عند قيام عصيان الموصل وتجريدها من سلاحها ، وبحمل السلاح ضد حكومة الجمهورية في وقت كانت فيه الاحكام العرفية معلنة ، والتآمر لتقويض الجمهورية العراقية وضمها الى الجمهورية العربية المتحدة بالتعاون مع تلك الجمهورية وهي دولة اجنبية ، وبتهديد حياة الزعيم الاوحد .

– قافلة الواحد والعشرين وهم : العقيد جميل مهدي الخشالي والرئيس الركن نافع داود والرئيس محمد امين عبد القادر والملازم الاول سالم حسين والملازم مظفر صالح والملازم محسن اسماعيل عموري والرئيس منعم حميد والرئيس الصيدلي امين مجيد كوركجي والرئيس الاول محمد سليم احمد والرئيس الاول

حامد سعيد والرئيس الاول فيصل الخوجه والرئيس محمد رجب والرئيس نجم عبدالله والرئيس عدنان شمس الدين والملازم الاول ادريس ابراهيم والملازم خلدون صديق والملازم حازم صالح والملازم سعدي العمري والملازم طه حمو سليمان ، والمدني فاضل الشقرا والصحافي الموصلي عبد الباسط يونس .

وقد قضت المحكمة في ١٩ آب ١٩٥٩ بإعدام ستة من هذه القافلة هم المدني فاضل الشقرا مذيع محطة حركة الموصل ، والعسكريون : الرئيس الركن نافع داود والرئيس محمد امين عبد القادر والملازم الاول سالم حسين والملازم مظفر صالح والملازم محسن اسماعيل عموري . وقد تم تنفيذ الحكم فيهم .

وحكمت المحكمة على ثلاثة آخرين من القافلة هم العقيد جميل الخشالي والرئيس الصيدلي امين مجيد ، بالسجن المؤبد وبطردهم من الجيش . وقضت ببراءة بقية القافلة .

– قافلة الكبار ، وعلى رأسها ناظم الطبقجلي قائد الفرقة الثانية في كركوك سابقاً ، وقوامها الزعيم الركن ناظم الطبقجلي ، والعقيد الاحتياط مصطفى رفعت الحاج سري ، والعقيد الركن محمد سعيد الشيخ والعقيد نوري صالح الراوي ، واللواء الركن حسين العمري ، والزعيم عبد العزيز العقيلي ، والعقيد الركن منير فهمي الجراح والرئيس الركن داود السيد خليل ، والمقدم ذياب العلكاوي والتاجر عبد الرحمن محمود الملقب « ا ب ث » . وهناك متهمان آخران هاربان وهما العقيد ياسين السامرائي ومنصور خياط وقد تقرر فصل قضيتهما عن قضية الآخرين والسير بها على حدة بعد حين .

وقد اضيف الى هذه القافلة ثلاثة شهود من شهود الادعاء العام تضامنوا مع المتهمين اثناء المحاكمة ولم تعجب شهاداتهم المحكمة ، وهم المقدم الركن عزيز احمد شهاب ، والعقيد ابراهيم علي الكيلاني ، والمقدم يوسف عطار باشي ، فأمرت بمحاكمتهم اجابة لطلب الادعاء العام .

والتهم الموجهة الى هؤلاء الضباط جميعاً تتراوح بين مساندة عصيان الشواف في الموصل والسكوت عنه والاحجام عن استعمال القوة في قمع حركته ، والاتصال

بالسوريين وطلب المعونة منهم .

هذه القوافل الستّ تعاقبت على قفص المهداوي وشهدت وشهد العالم معها اعجب وافظع واطرف المحاكمات التي شهدها البشر منذ اجيال واجيال . وفي محاكمة هؤلاء المتهمين بدأ لسان المهداوي يلسع دون رحمة واخذ صوته يهدر دون وازع ولا رادع .

في هذه القضية انطلق المهداوي على سجيته وظهر للناس سافراً دون اي تصنع ، يقول ما يجول في خاطره ، يهاجم ، يحاور ، يداور ، يسبّ ، يغضب حتى يكاد ينفجر ثم يهدأ فتخاله السمن والعسل ! يهتاج ويهيج جمهور النظارة معه فتقوم المحكمة وتقعد وتهتزّ اركانها وتزلزل زلزالها ضجاً وتصفيقاً .

في هذه القضية قام المهداوي يفرض نفسه على التاريخ وينتزع له مكاناً فيه بين الحكام الاعاجيب في ازمانهم فيقال : في عهد المهداوي ، ايام المهداوي ، في محكمة المهداوي ... او يقال : عاصرت الاعجوبة ، عاصرت المهداوي ، عرفنا المهداوي ، سمعنا المهداوي ... رأيناه ايام كان يجلس الى قوس محكمته يجول فيها ويصول. يفور ثم يهمد، يهزّ احدى كتفيه هزاً عصبياً بين الحين والحين ... يلعب بنظارتيه فيما يدلي المتهم بدفاعه او الشاهد بشهادته ، وهو مشغول عن اساس القضية باعداد محاضرة يلقيها في مَنْ مِنَ النساء اطيب ، البلديات ام الاجنبيات ، ومن منهن اظرف السمراوات ام الشقراوات ، او ملاحظة يبديها في هل الكذب افضل ام الصدق ! او هل الشوارب عصرية ام عتيقة بائدة،وهل ام كلثوم غنت تلك القصيدة او لم تغنّها ، وهل الرقص بهز الارداف والصدور احلى وافضل ام الرقص الفني الايقاعي المحتشم ...

في هذه القضية اطلق المهداوي العنان لكل عبقرياته : فهو محدث لبق ، وخطيب مصقع، وقاضي قضاة... وهو عالم اريب ومحاضر لبيب ومعلم عجيب. وهو الى هذا دائرة معارف ، مكتبة سيارة ، حافظ شعر وامير شعراء ولو كره شوقي وانصار شوقي . اديب ولو كره « شيخ زبير » ، وشيخ زبير هو التسمية العربية التي اطلقها المهداوي على شكسبير ، اجل شكسبير عينه ، في ساعة من

ساعات المجون ! وهو ، فوق هذا نقّاد شديد ، ومناقش عنيد وسبّاب لا يشق له غبار .

من هذه القضية بدأ المهداوي يسلط لسانه على الجمهورية العربية المتحدة ورئيسها جمال عبد الناصر وراح يسلقهما بالحملات صباح مساء. ولسان المهداوي جيش من الألسنة فالت سائب لا سبيل الى كبح جماحه ... جهاز دعاية كامل لم يخلق الشرق والغرب اذرب ولا احدّ منه ...

كان المهداوي لما شرع بمحاكمة المتهمين بالتمرد والعصيان في الموصل ، قد تسلح بسلاحين : الاول حرية مطلقة أباحها له الزعيم الاوحد بالتهجم على الرئيس جمال عبد الناصر وكل ما يمت اليه والى جمهوريته العربية المتحدة بصلة . والثاني رصيد كبير من النفوذ والتسلط والجبروت جمعه من المحاكمات السابقة التي مثل امامه فيها اكبر ساسة العراق وقادته من العهدين القديم والجديد .

وكانت محكمة المهداوي قد اشتد عودها وانتشر صيتها وقويت شوكته وشوكتها معاً فلم يبال بأحد ولم يردعه احد . وحتى بعد احداث كركوك لما قام اللواء قاسم يندد بالفوضويين ، وفهم الجميع انه انما يعني الشيوعيين ، والشيوعيون انصار للمهداوي وهو نصير لهم ، ولما ظهرت حركة تمرد جماعية بين الضباط المتهمين على المهداوي ، وقف عبد الكريم قاسم وقفته المعلومة يسانده ويدعمه ويعلن على الملأ : « انني اؤيد كل كلمة يقولها المهداوي وكل حرف يتفوه به . » قالها عبد الكريم دون ان يخشى ملامة او يحسب حساب احد ، حتى رؤساء الدول التي هاجمها المهداوي ، وحتى الامم التي اهانها واستباح حرماتها .

ولعل من الاسباب الاخرى الوجيهة التي زادت المهداوي هياجاً وتصلفاً وكبرياء في هذه القضية ، قضية الشواف ، ان معظم المتهمين فيها ضباط ادنى رتبة من المهداوي فله عليهم فوق حق القاضي والديان ، حق الرتبة العسكرية ، حق الرئيس على مرؤوسه .

اما القضية في اساسها فقد لخصتها بيانات الادعاء العام بأن « حكام الجمهورية

العربية المتحدة ، تآمروا على كيان جمهوريتنا الديموقراطية وحياة الزعيم عبد الكريم قاسم ، فأعلنت ثورة الشواف بالاتفاق مع شيوخ العشائر ، بعد مهرجان انصار السلام في الموصل. واستغل الشواف وزمرته فرصة هذا المهرجان فأخذوا يحرضون الناس بواسطة اعوانهم من اعضاء حزب البعث والاخوان المسلمين ، على القيام بمظاهرة والعمل على الاخلال بالأمن في الموصل وتهيئة الجو لاطلاق يد الشواف . وقامت فعلاً مظاهرة مسلحة تهتف بسقوط الزعيم عبد الكريم والجمهورية ، وتدعو الى الوحدة مع حكومة جمال عبد الناصر ، وتنادي بحياة عبد السلام عارف ورشيد عالي الكيلاني وعبد الوهاب الشواف . واستطاع بعضهم حرق احد المقاهي ، واطلقوا النار في الشوارع والمحلات العامة دون تمييز فقتل وجرح العشرات بل المئات، الامر الذي استنكره المخلصون للجمهورية فقامت مشادة عنيفة بين الجانبين اتخذها الشواف سبباً لاعلان منع التجول . واقدم الفوج الثاني على احتلال مدينة الموصل والسيطرة على المنافذ الهامة فيها ومخازن الوقود والجسور ومضخات الماء والكهرباء ، ثم وزع السلاح على المتمردين ورجال احمد عجيل الياور زعيم عشيرة شمر واعتقل الموالين للجمهورية وللزعيم عبد الكريم من مدنيين وعسكريين ، وانزلت صور الزعيم ومزقت . . . وقد تلقى الثوار اسلحة وعتاداً وجهاز اذاعة (محطة الموصل التي كانت تذيع اثناء حركة تمرد الشواف وتعلن ان قاسم ورفاقه انحرفوا عن ثورة ١٤ تموز واخذوا يلقون بالعراق في احضان الشيوعيين حتى باتت اديان الناس واعراضهم واموالهم في خطر عظيم) وامدتهم بالمتسللين ووعدتهم بالطائرات .

واستمرت حركة العصيان يومين واعتقل العصاةُ العشرات من العسكريين والمدنيين الموالين للجمهورية وساقوهم الى الثكنة العسكرية « تمهيداً لقتلهم ، كما فعلوا بالشهيد كامل القازنجي (زعيم شيوعي شهير طالما ترحم عليه المهداوي وماجد امين اثناء المحاكمة) والمقدم عبد الله الشاوي. » ولم تلبث القيادة العامة ان ارسلت الطائرات فقصفت مقر الزعيم المتمرد العقيد عبد الوهاب الشواف بالصواريخ فأصابته وجرحت الشواف نفسه فكان ذلك بداية نهايته ،

واصيب احد كبار اعوانه الرئيس نافع داود الذي تم تنفيذ حكم الاعدام فيه، بشظايا زجاج في عينيه فكف بصره . ولم يشفع له ذلك عند المهداوي فقضى باعدامه ، ولا شفع به لدى قاسم فاقر الحكم وامر بتنفيـــذه فتم تنفيذه رمياً بالرصاص في آب ١٩٥٩ . وله قصة طويلة ستأتي بعد حين .

ولما مات الشواف وانتشر خـبر موته انهارت الحركة وتشتت القائمون بها . وحاول بعضهم ان يهرب الى الاقليم السوري ولكن الجماهـــير فتكت ببعضهم وسلمت البعض الآخر للسلطة ، فيما تولت طائرات قاسم مطاردة فلول القوات العاصية في الجبال فقصفتها واعملت فيها تقتيلاً وتبديداً .)

قال المهداوي يفتتح الهجـــوم على الجمهورية العربية المتحدة واتهامها باثارة عصيان الشواف :

« هذه ثالث مرة تتآمرون فيها علينا . ثلاثة متآمرين : عبد السلام عارف ورشيد عالي الكيلاني وعبد الوهاب الشواف . فمن هو رابعهم ؟

– كلبهم ؟ سنصطاده حتماً كما تصطاد الكلاب الكلبة !

لقد تآمروا على جمهوريتنا لانهم يريدون ضمها الى جمهوريتهم. اتصل بالثوار في الموصل وشارك باعداد الخطة سيد فهمي من السفارة المصرية والملحق العسكري بهذه السفارة العقيد فريد عبد المجيد ، وفؤاد عبد المهدي. وقاموا بتسليح عشائر شمر والتبوت والجحيش ، واتصلوا بالشيخ نوري الفيصل ووثبان الفيصل ... عفالقة متآمرون حشاشون . »

وتوترت اعصاب المهداوي فصاح باحد الشهود وكان قد شرع يدلي بافادته ويبدأها بمقدمات وتمهيد :

« شنو ؟ تريد تسويلي مقدمة ابن خلدون ؟ حدثنـــا عن المؤامرة ، مؤامرة الماسونية المتحدة (كذا) وصحفها الحقيرة المـــأجورة ، صحف « اخبار اليوم » الروانترية (نسبة الى وكيل وزارة الخارجيـــة الاميركية راونتري الذي زار الشرق الاوسط وفاتح دوله بأمر التعـاون مع الغرب) او صحف دمشق الشام كالايام... او صحف بيروت الاجيرة للاميركان والناصريين وغيرهم من المستأجرين

وعملائهم .

وقام ماجد امين يساعد المهداوي في الحملة فيقول رداً على شائعات ترددت آنذاك بأن مؤامرة شيوعية على قاسم قد اكتشفت : « كلها مناورات فاشلة . هذه صحيفة «المساء» بعد ان اخذت تدار بتوجيهات صلاح سالم ، العميل البريطاني الفاشل ، اخذت مع الجمهورية تنطق بلسان ناصر الاستعمار (كذا) . قالت في عددها ٢٠١٤ ان هناك مؤامرة ونشرت اسماء المتآمرين المزعومين على الزعيم عبد الكريم قاسم وعلى الشعب واوردت حوادث ما انزل الله بها من سلطان ، والحاكم العسكري احمد صالح العبدي احد هؤلاء المتآمرين المزعومين . وطلبت ان اعرف الموضوع فسألت فاذا كل ما في الامر منشورات لا نعلم كيف اخذت تطبع وتظهر في الآونة الاخيرة ... ولكن الشعب العراقي اخذ يستعملها في المراحيض ! »

ولا ننسَ هنا ان ماجد امين يعد نفسه هو الآخر مع المهداوي من المثقفين!

وسارع المهداوي ينتزع دور الكلام من ماجد امين ... وهل يطيق المهداوي ان يبرز له منافس او مناجز ؟ قال :

«رَوَوا ان العقيد وصفي طاهر ياور الزعيم قاسم ، بين قوسين ياور نوري السعيد سابقاً كما يزعمون ، كان ينوي اغتيال الزعيم قاسم... ربما كان فعلها لو شرب جيغاره (يقصد سيكارة حشيش تعريضاً بالمصريين) او خمس جغائر ... هي الاخير ظهر ان المصادر الموثوق بها التي اعتمدوا عليها في نشر هذ الروايات هو انطوني براون مراسل الديلي مايل . والله ما شايف انطوني هذا ، بشرفي ما شايفه ومع ذلك نسبوا اليّ حديثاً معه ... هذا اخو انطوني ناتنغ ... انطوني النتن ! يا انطوني يا ملعون ليش ندل تصيرون ؟

خوش مصادر موثوق بها ! امبراطورية من المحيط الى الخليج بمعاونة براون!

قالوا انهم يتألمون لحرق القرآن في باب وزارة الدفاع . كلاب هاي اش جابها!»

كانت المحاكمة في تلك الساعة تتناول فاضل الشقرا ، مذيع محطة ثورة الموصل ، فانتقل المهداوي فجأة اليه يداعبه ويهزأ به :

« الشقرا ! فاضل الشقرا ! خوش اسم . »

قالها حالماً وظهر واضحاً ان الشقرا او الشقراء لعبت بأحلامه . وقد اثبت المهداوي في مجرى محاكماته الطويل ان مجرد ذكر امرأة يحرك عواطفه ويحمله على اجنحة الخيال ...

ثم انه عاد الى الجد فصاح به : متآمر قذر . اخـــلاق متفسخة . انزلاق في الخيانة ، تآمر باطل على حكومة شرعية ، حكومة الجمهورية العراقية الخالدة ... شبيه الشيء منجذب اليه ! دماغ سز ؛ (بلا دماغ) خائن متآمر !

فاضل الشقرا – احكم عليّ بالاعدام ولا تقل خائن !

المهداوي - شنو انت انسان ؟ انت خائن ، خائن اجرب !

كنتم تقولون : تعيش الاباحية في ظل الشيوعية... ولا زواج بعـد اليوم ! الاخ يأخذ اخته .. سفلة منحطون ... العرب منكم براء . العرب اشراف لا يكذبون ولا يخونون ! جلف عديم التربية ! »

لقد تمرد الشقرا على المهداوي فانتقم منه المهداوي مرتين : جعله مرة يرجـع عن افادته اذ امناه بالرحمة بعدما اصدر عليه الحكم بالاعـدام ، مع ان كثيرين لم يتوقعوا لمذيع في اذاعة العصيان ان يعدم ، وحامل السلاح والقائم بالعصيان الفعلي ان يحكم بالسجن كما كان شأن عدة عقداء اشتركوا بالحركة .

وانتقم منه مرة ثانية فشنقه في اليوم التالي !

وعلى ذكر الانتقام هناك ضابط آخر تشفى منه المهـداوي باعدامـه ، وهو الرئيس الركن نافع داود ، او الضابط الاعمى . فقد وقف هذا الضابط مـــن المهداوي مواقف عنيدة . وكاد يكون اول من تحدث علناً امام المحكمة عـــن التعذيب الذي يلقاه المتهمون اثناء التحقيق . اما اشد ما اغاظ المهداوي فهو ان حـالة هذا الضابط الكفيف البصر قد اثارت شفقة النـــاس عليه وحفيظتهم من التنكيل به . فقد ثبت ان الاهمال مقروناً بالتعذيب قد ادى الى فقدان بصره مع ان اصابته لم تكن القاضية على عينيه .

قال نافع في الجلسة السابعة والعشرين بعد المائة : لقد اتوا بي بالبيجامـا من

المستشفى الى السجن وجرحي ينزف . تركوني اسبوعاً دون راحـة وانا مريض وتحتاج الجراحة في عيني الى العناية. حتى في المستشفى اهملوني ولم يعتنوا بجراحي بل اكتفوا بعلاج جد بسيط .

المهداوي – صحيح ان المحققين قلعوا عيونك كما يقول البعثيون في دعاياتهم؟

نافع داود – لقد جروني الى التحقيق وانا مريض وعيناي تحتاجـان الى المعالجة...ابقوني في المعتقل وعولجت معالجة سطحية ولم تكن مستمرة بل متقطعة لذلك انتهى الامر بفقد اعز ما عندي : النظر !

وهنا يتجلى جبروت المهداوي وشدة عنفوانه ، اذ يناقش الضابـط الأعمى بلا رحمة ، يحمل عليه ، يهزأ به ، يذله ويقهره . قال :

– يعني ، التحقيق ما قلع عينك !

نافع – لا سيدي .

المهداوي – يعني الله قلع عيونك ! يعني الله انتقم منك على خيانتـك باشتراكك في المؤامرة .

نافع – على كل حال سيدي انا باذن الله اصبت ، واني اؤمن بالله .

المهداوي – الله عاقبك على اعمالك . تستحق كل ما اصابك . اين كنـت صباح اليوم الذي قصف فيه مقرّ الخائن الشواف؟هل كنت معه ؟ الم تكن اصابتك من تأثير قصف الطائرات وانهيار الزجاج المحطم ؟ اذن كيف يقول الجماعة الذين يدافعون عنكم ويسمونكم الضباط الاحرار ان المحققين قلعوا عينيك ؟ لقد وقعت ثلاث مؤامرات ولم تقم هيئة التحقيق بشيء يخالف القانون مع المتهمين فيها .

وهنا كذب المهداوي كذباً علنياً فاضحاً . فقد اعترف هو نفسه بعد حـين بأن هيئة التحقيق استعملت العنف والتعذيب في استنطاق المتهمين ، وانه لمـا علم بذلك سارع يخبر الزعيم الاوحد بالامر ، فأتخذ اجراءات لوقف التعذيب .

وقصص تعذيب المتهمين اثناء التحقيق اكثر واشهر من ان يمكن اخفاؤها . وقد بلغت من الشدة والافتضاح حداً جعل المهداوي نفسه يعترف بها ويكتفي من كل رد على المتهمين الذين اشتكوا من التعـذيب ، بقوله ان الاجراءات

اتخذت لوقف التعذيب . اما اولئك الذين عذبوا وضبطت افاداتهم تحت تأثير العذاب والخوف وبالقوة والارهاب ، والذين حكمت المحكمة على كثيرين منهم استناداً الى هذه الافادات فلم يأت المهداوي على ذكرهم ولا اشار الى قضاياهم .

اجل هكذا يقول المهداوي بكل بساطة : ثبت وجود تعذيب فأمر الزعيم بوقف التعذيب . ماذا تريدون اكثر من هذا ؟

قال الرئيس نافع داود يصف التنكيل به :

« لقد اصبت بجراح في القرنية وفي المقلة . وفي ١٧ آذار ١٩٥٩ فكوا ضمادة العين اليسرى قبل الوقت اللازم لان الطبيب سيسافر الى بغداد . وبقيت في المستشفى من ١٧ الى ٢٣ من ذلك الشهر دون اية معالجة تذكر . وبعد ذلك ساقوني الى بغداد ، وبدلاً من ان يدخلوني المستشفى ادخلوني معتقلا . ولم يرسلوني الى المستشفى الابعد عشرة ايام اي في ٢٦ آذار .

كنت ارسل الى المستشفى في اوقات متفاوتة بصورة غير مستمرة ولا منتظمة . وفي احدى المرات تركوني تسعة ايام دون ان يرسلوني الى المستشفى . واعتقد ان قلة المعالجة والاهمال وكون العلاج سطحياً لا يتعدى القطرة والمرهم ، هي التي أفقدتني البصر نهائياً . »

وبكى نافع داود من كبد حرّى واستطرد :

« ان امر معالجتي مسألة انسانية ، انه عمل انساني لا علاقة له بالتهمة الموجهة اليّ . وقد كان الزعيم الاوحد اول من تحسس ذلك . وقد طرق سمعي انه قال بالحرف الواحد : اذا كان الشواف قلع عيونه خوش انا اعيد اليه عيونه ! وهذا منتهى النبل والعطف والانسانية .

لقد طلبت بعريضتين مواجهة الزعيم ولكني لم احصل على نتيجة ، واعتقد انها لم تصلاه . لذلك اوجه اليه نداء من هنا ، من قفص الاتهام ، نداء من عينين مريضتين فقدتا النور منذ اكثر من اربعة شهور ، الى الانسانية التي تتمثل في شخصية الزعيم عبد الكريم قاسم . وآمل ان يكون قد سمعني وان يكون هذا القفص الواسطة . »

كانت صرخة من اعماق المتهم تحرك اشد القلوب واقساها . ولكنها ضاعت في ارجاء المحكمة وطغت عليها ردة المهداوي وصرخات الهائجين المتنمرين من زبائن محكمته الدائمين. وكأنما حدس نافع داود بما ينتظره فقال :

« انني فقدت بصري وهو اثمن ما يفقده انسان . ومن المحتمل ان اموت فإن مت ففداء للجمهورية والزعيم ! »

وهنا تبرز في المهداوي حقيقتان : الاولى تحجر قلبه الى حد تجاهل ابسط مبادىء الانسانية ، والثانية براعته في الكر على العدو ، وكل من وقف في قفص المهداوي صار عدواً له . وقد ظهرت هاتان الحقيقتان في رده السريع على الضابط الاعمى لتحويل شعور المستمعين عن واقعه الانساني وتحجير ما لان من قلوبهم ، اذ صاح به :

« خلصت ؟ ان اعز ما يملكه الانسان ليس النظر وانما هو الشرف ! »

وكادت القاعة تنفجر لشدة ما ضجت به من تصفيق المهتاجين المأخوذين ...

« انت ضابط ركن واشتغلت بالمؤامرة وكنت الى جانب الشواف وهل كانت مؤامرة الشواف القذرة الدنيئة ساحة حرب بين جيشين اجنبيين خصمين ؟ ان الاسير يعتنى به ويعامل بحيث لا يمسه سوء ، بموجب معاهدة جنيف الدولية او غيرها المتعلقة بمعاملة جنود العدو او الجماعات او القطع العسكرية، بل تجرى معهم تحقيقات اصولية .ولكن الجرائم المرتكبة ضد الشعب واستفزاز الشعب في الموصل وضد قطعات الجيش والضباط الشرفاء والجنود الاحرار ، شيء آخر ... ان امر الاعتناء بعينيك ليس معناه انه يحلل لك صفة التحدث على هذا النحو وانت في قفص الاتهام ، وادانة التحقيق بأنه لم يراع آلامك الجسدية والنفسية .

وقد عاقبك الله نتيجة اشتراكك بهذه المؤامرة القذرة ... هذه المؤامرة التي كان الاستعمار لحمتها وسداها مع الطامعين الفاشست من حكام الماسونية المتحدة.»

نافع داود - سيدي لا اريد ان ادين هيئة التحقيق . ولكني اردت ان اقول ان المحقق دائماً يحاول ان يربط بين كل عمل وكل تصرف وبين القضية التي يجري من اجلها التحقيق .

المهداوي مقاطعاً -- هذا حق ... يعني المحقق يتركك تتصرف كما تشاء ؟

والمقاطعة ، مقاطعة المتهم او الشاهد حق الرفيق الامـين ماجد امين ، من خصائص المهداوي وملذة من ملذاته . وهي كذلك اسلوب من اساليبه في هدر قيمة ما يقوله المحدث وتبديد اثره ومعناه .

قال نافع داود : إن ما اردت ان اشرحه هو الرابطة بين آلامي وما سجّل عليّ من اقوال في افادتي ... كان التحقيق يستغرق وقتاً طويلاً وكنت فيه اعاني وأقاسي الامرين من الآلام المبرحة ، حتى اني اضطررت في بعض الاحيان ان اقول للمحقق اشياء لا اساس لها من الصحة لـكي انهي التحقيق والاخذ والرد وإلحاح المحققين فأستريح من ألمي . لم تكن الظروف ...

المهداوي - كفى ! اسكت !

نافع داود -- انت لا تعطيني حرية الكلام .

المهداوي - اعطيك حرية الدفاع بعدين ... جاوب ! هل صحيح ان سبب العصيان الوحيد هو الظروف التي كانت في الموصل ، اي انه لا توجـد مؤامرة ولا متآمرون ولا خونة ؟

نافع -- الحركة التي فهمناها نحن ليست على اساس انهـا موجهة ضد سيادة الزعيم الاوحد بل انها كانت لانهاء الاوضاع الشاذة في البـلد . وعلى هذا كان التقاؤنا بالشواف . كنا نريد ايقاف الشيوعيين عند حدهم بعد ان استباحوا كل شيء ... ثم كان ما كان من امر قيام الشواف باصدار الاوامر والبيـانات التي اصدرها . وقد كان من الصعب علي ان افعل اي شيء لوقف حركة الشواف بعد ان تطورت .

وكأنما حان دور المدعي العام ماجد امين في الاحراج والمناقشة فقال :

« ان موقف هذا الخائن كله لؤم ودس وخبث . انه يريد ان يقول ان الزعيم الاوحد تأثر لما صار اليه حال احد الضباط فينتفض عندما يسمع قصة آلامه في التحقيق ويقول : اذا كان الشواف قد سبب له فقد بصره فأنا سأكون السبب في اعادة بصره ... انه يريد ان يحول الانظار عن دوره في مؤامرة كبيرة دارها في

مقر الخائن الشواف وقاوم الزعيم عبد الكريم وأدار دفة المعركة ضد شعب آمن مطمئن وديع وضد مبادىء الثورة ... موقف رحمة وشفقة وعزة وكرامة يقابله موقف دناءة وخزي وعار في قفص الاتهام ! انه يدافع عن جريمة شنعاء ، عن مؤامرة اقيمت في اعز منطقة من العراق ، في الشمال ، في الموصل العزيزة، وشملت اربعة ألوية وهو يعرف كل خفاياها ...

انه يتناسى الآن رحمة الزعيم ويقوم مدافعاً عن تلك المؤامرة بلؤم ، ويريد ان يخفي جرائم حزب التآمر والخيانة ، حزب البعث الذي يعمل لبث البلبلة والاضطراب والذي حرق المكتبات في الموصل . وقد بلغني امس ان احد الأئمة (في احد جوامع جانب الكرخ) اخذ يقذف محكمة الشعب كما فعل ناصر الاستعمار. (كان القوميون العرب في العراق يحاولون التحرك بكل وسيلة لنفض سيطرة الشيوعيين عنهم) وهوذا احدهم في قفص الاتهام يحاول ان يفعل مثله .

نافع داود – سيدي ...

المهداوي – اسكت !

المدعي العام متابعاً – كيف يتصور احد ان قاضي التحقيق يستطيع ان يلفق اقوالاً كالتي جاءت في افادة المتهم ، من انه في اواخر شباط ١٩٥٩ جاء من كركوك المقدم الركن عزيز احمد شهاب ومعه اوامر بالسفر الى سوريا ومقابلة عبد الحميد السراج للبحث بمساعدة الجمهورية العربية المتحدة لحركة العصيان المقررة ، وان اللقاء تم فعلاً بحضور ممثل الفرقة الثانية (فرقة الزعيم ناظم الطبقجلي الذي حوكم في آب – ايلول ١٩٥٩) وتم البحث بامر المساعدة ..؟ كيف يتصور احد ان المحقق يلفق انه في الثالث من آذار ١٩٥٩ ارسل الزعيم ناظم الطبقجلي قائد الفرقة الثانية شخصاً من كركوك الى الموصل ليبحث مع مقر الشواف بتأجيل ميعاد المؤامرة التي كانت يجب ان تنفذ في الرابع من آذار الى الثامن منه ؟

كيف يمكن ان يتصور احد امكان تلفيق حوادث كهذه ؟ ولو كان هذا المجرم (لغة ماجد امين من معدن المهداوي عينه ... وشبيه الشيء ، على قول

المهداوي المأثور ، منجذب اليه !) يراعي المشاعر النبيلة وموقف زعيم الامـة وعطفه على حالة المتهم الحاضرة ، لما تنكر لهذا الجميل ، وكان الواجب يفرض عليه قول الحقيقة عن مؤامرة الموصل ، لأن هذه المؤامرة كانت موجهة الى شخص الزعيم قاسم .

بهذا ألقى ماجد امين حجراً آخر يرجم به الضابط الاعمى نافع داود ولا تأخذه في مصيبته ذرة شفقة . اما «عطف زعيم الامة على حـالة المتهم وشفقته ورحمته وكل ما صنعه من جميل نحوه » فقد توجت جميعها بقرار تصديق حكم المهداوي باعدامه ، ونفذ فيه الاعدام رمياً بالرصاص في آب ١٩٥٩ ... وما كانوا بحاجة الى عصب عينيه عند التنفيذ ، فقد كانتا مطفأتين ...

كان الوقت قد طال بالمهداوي دون كلام في تلك الجلسة السادسة والعشرين بعد المائة - على ما جاء في مذكراتي عن المحاكمات - وذلك مـا لا يطيقه رئيس المحكمة الجليل ... كيف تمضي عشر دقائق دون ان يثبت وجوده رئيس المحكمة العسكرية العليا الخاصة ، محكمة الشعب ، ومدير «مدرسة الشعب» ومدلـل الجمهورية وبنيامين ثورة ١٤ تموز الخالدة ..؟ كيف يطيق صبراً على الصمت ، بل كيف يدع ماجد امين يصول ويجول في الميدان وحده ؟

قال المهداوي متحدثاً عن بعض حركات التململ من اليمينيين في الـكرخ والأعظمية في تلك الايام ، اوائل تموز ١٩٥٩ ومندداً بها ومدافعاً عن الشيوعيين:

- تعليقاً على ما تفضل به الأخ ماجد بشأن الكرخ والاعظمية اقول : سوف تطلع الشمس على الحرامية ! (مثل عراقي شائع) فإن شمس الحرية اذا اصابتهـا العجة (هبة الغبار) الاخيرة العجاجة من ابي الدجاجه الخواجه ، فإن الجو بدأ يصفو . وان الذين عناهم الاخ ماجد في الكرخ لايتجاوز عددهم اصابع اليدين .. او الرجلين !

اما هذا المتهم فاذا اراد ان يستغل عطف الزعيم ويتجنى على الحقيقة فـلا استغرب ذلك مطلقاً . فمن يخون لا تكون له ذمة ولا ضمير . فضمير الخائن يموت منذ الشروع في خيانته ، وهيهات هيهات ان يبعث مع حزب البعث . (وهنـا

لم يدع المهداوي نعتاً الا ألصقه بهذا الحزب .. المعتبر عدو الشيوعيين الاول في العراق وخارج العراق كذلك) .. وها اننا نسمع ان حزب البعث في سوريا الذي انفذ سمومه الينا (كذا) سواء في العهد المباد او في العهد الحاضر، انقلب على موظفي المباحث لأنه شعر بأن الخواجه والمشير الفطير والسادات الحشاش والبهلوان الشافعي والشعار صلاح سالم ارادوا بانتخابات الخلاف القومي، او الاتحاد القومي كما يسمونه، ان يسيطروا فتكون نتيجة الانتخابات لهم بكثرتها. (وهنا حمل المهداوي بكل شدة على انتخابات الاتحاد القومي في الأقليم السوري وطعن فيها ونعتها بأشد النعوت . وكانت الانتخابات قد جرت واسفرت عـــن فشل كثيرين من مرشحي حزب البعث .)

ومضى المهداوي في تناقضه فحمل على حزب البعث وقال : «ان حزب البعث في سوريا مثل غراب البين . اذا دخل مكاناً خربه . عفلقه .. فجلقه ! الحوراني ايد الزعيم ، حسني الزعيم ، فذهب ، وايد الشيشكلي فمضى ، وايد الحناوي فتمت تصفيته .

وعاد المهداوي يهاجم الضابط الأعمى ويمعن في تعذيبه ، قال :

— لقد فقد بصره نتيجة اشتراكه بهذه المؤامرة القـــذرة . واكتشفت في سراديب البيوت رشاشات من طراز «بور سعيد» المصنوعة في الجمهورية العربية المتحدة ومسدسات الاميركان مما كان في خبر كان . فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟

وراح المهداوي هكذا يطبق الكلام ويرصفه على السجع من كل مكان ومن اي صنف كان !

وفي موقف آخر من مواقف محاكمة الضابط الاعمى واثناء الحديث عن سفره الى بغداد سأله المهداوي هازئاً : اسألك واحلفك بشدة عينيك : هـــل جئت لشغلك الخاص الى بغداد ام بمهمة تتعلق بالمؤامرة ؟

نافع — جئت لشغلي .

المهداوي — للاثنين معاً ! عصفورين بحجر واحد. بشرفك قل لي ، بضميرك اجبني !

نافع — انا متهم والمتهم لا يحلف اليمين .

ومضى المهداوي يهزأ بالضابط الأعمى ويلهو به كما يلهو القط بالفأر :

— من جاء بالأسلحة من سوريا الى الموصل ؟ طبعاً اتت في سيارات . ومن ارسل يجيء بها ؟ الشواف طبعاً . وانت دورك ؟ قليل الشرف !

نافع داود — شرفي مصون يا سيادة الرئيس .

المهداوي — اسكت ! جبان ! حقير . قاعد تهاجمنا ؟ « شريف وشرفي مصون» ! نذل قليل الشرف . يا حيوان، محكمة الشعب محكمة تاريخية عليها ان تثبت للعالم اجمع كيف ان جمال الاستعمار (كذا) اراد ان يتآمر مع الانكليز والأميركان على جمهوريتنا الخالدة ، وتريدنا ان نقول للرأي العام ان مؤامرة الشواف لم تكن من صنع الجمهورية العربية المتحدة ؟

نافع — سيدي ...

المهداوي — اسكت . اني امنعك من الكلام ... لا تتكلم ، ليست عندي مناقشة . شرفك مصون . انه لا شرف له حتى شرف الجسم . انه لا شرف له . لقد اخذ يتداخل في شؤون الادعاء العام . هل هذا حق الدفاع ؟

واذا اتتك مذمتي من ناقص   فهي الشهادة لي بأني كامل

وبلغ الغضب بالمهداوي حداً أخرجه عن طوره فاستطرد يصيح هائجاً مائجاً :

— ان من لا يستحي يصنع ما يشاء . معلومة سيرتهم واخلاقهم وانحرافهم الجنسي . انني شخصياً مضطر ان استعمل الشدة مع المتهمين حتى لا يتشجع امثال هذا القذر المنحرف جنسياً .

انك طبعاً من الضباط المخلصين وتخدم الشعب حتى الموت ! وكيف جئت الى هذه المحكمة ؟ طبعاً سوء الحظ وحده ! جاوبني ! حمار ابن حمار ! خفافيش ، حقراء ، خونة !

ولا تسل عن الهياج الذي يصيب النظارة كلما اهتاج المهداوي واهاجهم . انهم يبقون دقائق عديدة كاملة وهم يصيحون ويهتفون ، يعيّشون ويسقّطون ، يصفقون ويطرقون الارض بنعالهم .. ثم ينطلق من بينهم صوت جهوري شاذ

يبدأ بمطلع قصيدة بلدية فيصيح به المهداوي : اسكت ! اريد ان اتكلم . . .

لقد وقف بعض الضباط المتهمين بعصيان الموصل مواقف جريئة من المهداوي اثارت حنقه وأغاظته . ولكن اشد ما اغاظ المهداوي في هذه القضية ان العقيد عبد الوهاب الشواف مات دون ان يقع في يده . اغاظه ان الجمهور الهائج مزق الشواف وجره في الشوارع ولم يدع للمهداوي فرصة التشفي منه قبل اعدامه . على ان المهداوي لم يقصر في الطعن والتجريح ولو بجثة الشواف ما دام الحظ لم يسعده بايقافه في قفص اهانته وتعذيبه . وليس هو الميت الوحيد الذي لحقه المهداوي الى القبر . فالموتى سواء من اهل العهد الماضي او العهد الاخير ، لم ينج احدهم من لسان المهداوي .

قال في الشواف : من هو الشواف ؟ كل الضباط يعرفونه . انه من اسوأ الضباط خلقاً واخلاقاً . ضابط منحرف جنسياً (كذا) كما يعلمه ابناء الموصل جيداً وكما ظهر محتواه في محكمتنا . انه موتور ، تافه ، متعجرف ، يحب الظهور ، ويتشدق بالوطنية والقومية ، ويتعصب لقوميته على حساب القوميات الاخرى .

ثم انطلق المهداوي في محاضرة عن القوميات والاحزاب انتقل منها هكذا اعتباطاً ودونما رابطة او موضوع فقال :

ـ هناك مبدأ للحكم شيوعي ، ومعلوم ما هو هذا المبدأ . وهناك مبدأ ديموقراطي معلوم . وهناك مبدأ فاشستي نازي وهو الآخر معلوم . . وغير ذلك من مبادىء الحكم وانظمته وفحواها ومحتوياتها . ثم هناك حكومات حرة وحكومات غير حرة . وحكومات مستعمرة وحكومات مستعمرة (انظر الى هذا النوع من صف الكلام دون غرض سوى الكلام) .

ثم اننا بهذه المناسبة نقول : اننا لا نتهجم على الشعوب ، اي شعب من الشعوب ، حتى الشعب البريطاني او الشعب الاميركي . فنحن ننشد صداقة الشعوب جميعاً ونعلم ان الشعوب لا ترضى بافعال حكوماتها الاستعمارية . نحن احرار نعلم جيداً عواطف الشعوب كافة تجاه جمهوريتنا وضد الاستعمار والرجعية والاقطاع . لذلك نحن دائماً نتهجم على الحكومات الاستعمارية والرجعية .

كانت اقل حركة واقل كلمة من جماعة اليمين في العراق تثير عليهم عاصفة في حركة المهداوي وتستنزل غضبه واشد انواع تحريضه . قال بعد اعطاء هـذه الجماعة شيئاً حدّ قليل من الحرية وبعد العفو عن بعض المبعدين والمشردين : لقد استغل هؤلاء عطف زعيمنا الرؤوف العطوف فاخذوا يحركون ذيولهم ، ذيول الافاعي ، ويحاولون رفع رؤوسهم ، رؤوس الخنازير والقردة ، كأنما لم يعتبروا بالدرس العظيم الذي اعطاه شعبنا إبان ثورة ١٤ تموز لاولئك الذين استحقـوا سخطه وعقابه من جماعة العهد البائد .

ان التطهير الذي كان مزمعاً ان يتم في الشهور الاولى من الثورة كان يحتم ان يشملهم كلهم . ولكن شاء الزعيم ان يكون التطهير تدريجياً ، وشاء ان يعطي فرصة للمتآمرين او المنحرفين او الذين يستغلون العطف او يحاولون الاصطياد في المياه العكرة ، كي يرجعوا عن غيهم . ولكن يبدو ان كثيرين لا يعتبرون .

ومـن المضحك المبكي ان الذين تآمروا على جمهوريتنا الخـالدة ليس لهم ديموقراطية ومصابون بكل نقائص الرجعية . انهم في سبيل محاربة المبـادىء الاخرى (اهم ما يهم المهداوي الدفاع عنه هو المبدأ الشيوعي) يتسلحون بالقومية العربية الزائفة بحجة خدمة الوحدة العربية الموهومة . هذه قومية اعتدائيـة بدليل امتهانهم القوميات الاخرى .

ثم انهم يميزون بين المواطنين . فما معنى المواطن العربي الاول ؟ ثمانون مليون عربي جميعهم مواطنون ، من هو حتى يكون المواطن الاول ؟ الجميع سواسية في الوطنية والقومية والانسانية . كلنا عرب وكلنا اسلام وكلنا بشر . اما اذا كنتم تحملون عقول البقر فشأنكم شأن الذين سبقوكم من الدجالين ... تتأخر سوريا وتنشب فيها ازمة اقتصادية خانقة وتتوقف معامل حلب وغيرها من المـدن ، فتقولون هي الوحدة وانما تعملون في سبيل امبراطور الوحدة العربية . من المحيط الى الخليج . ما معنى ذلك : من المحيط الى الخليج ؟ وكيف تكون الحكومات بأقاليم شرقي وشمالي وجنوبي وجنوب الجنوبي وغرب الغربي الى آخره ؟ مـاذا فعلتم للجزائر ؟ اتخافون على الصداقة مع حكومة فرنسا ورئيسها الدكتـاتور

الغول ديغول ؟ وماذا عملتم لعمان المجاهدة ضد الاستعمار البريطاني ؟ لقد ارسلنا نحن المساعدة للجزائر والاسلحة لمجاهدي عمان فأين رأسمالكم انتم ؟ لقد بدأتم بدل ذلك تعتبرون العراق اسرائيل !

فاضل المهداوي شيوعي ، ماجد امين شيوعي ، وصفي طاهر شيوعي ، طه الشيخ احمد شيوعي، الضباط المخلصون ، هاشم عبد الجبار جلال اوقاتي شيوعيون ؟ كيف علمتم اننا شيوعيون ايها المأفونون ؟ كيف ؟ لعنة الله عليكم! حشاشة ، متآمرون ! »

احمد عجيل الياور (آل ياور متهمون بالاشتراك بثورة الموصل) وطني قومي شريف ... والباقون عملاء ! لا يا حقراء !

كانت يومذاك العلاقات بين لبنان والجمهورية العربية المتحدة وبين المتحدة والاردن مضطربة واصاب اضطرابها حركة التجارة العابرة بين لبنان والعراق وسوريا والاردن ، فقال المهداوي يتحدث عن ذلك اثناء محاكمة العقيد جميل الخشالي ورفاقه :

«ميناء بيروت وميناء طرابلس منطقة حرة للعراق. ولكن امعاناً في النكاية بلبنان منعوا مرور سيارات النقل الى العراق وكذلك فعلوا بالسيارات المسافرة من لبنان الى ايران عن طريق العراق . واعتقد ان الصحف اللبنانية اخذت تتفهم الوضع . فقد كتبت اربعون جريدة مقالات ضد هذا الموقف الا بعض صحف هي بيروت المساء والصياد والصحافة او السخافة ، وجريدة اخرى من جرائد البعثيين . اما الصحف الاخرى وخاصة صحيفة حزب الكتائب ، الحزب المشهور بوطنيته واخلاصه لشعبه فقد وقفت من عبد الناصر موقفاً حازماً . »

ومضى المهداوي يضرب على نغمة لبنان فيقول : المعلوم ان الشعب العراقي والشعب اللبناني متآخيان . ان لبنان ليس لعبد الناصر ، وقد ادت ثورة شعبه الديموقراطي الى تحريره من سيطرة الاستعمار .

كان الرئيس عبد الناصر ، بمناسبة ذكرى الثورة المصرية في ٢٣ تموز ، قد ألقى

خطاباً جامعاً تحدث فيه عن تطور هذه الثورة وما حققته من آمال وما قامت به من مشروعات وغمز فيه من قناة المهداوي ووصفه بالمهرج ووصف محكمته بالسرك . وكأنما لسان المهداوي بحاجة الى تحريك كي يفلت . فما ان عقد جلسة من جلسات محكمته في ٢٥ تموز ، وكانت السابعة والتسعين بعد المائة ، حتى انطلق يهاجم عبد الناصر بحقد اعمى ويصفه بخطيب العرب المفدى « وميرابو » الثورة المصرية (ميرابو هو خطيب الثورة الفرنسية الشهير) او قس بن ساعده العراقي او سعد زغلول او عبد الكريم قاسم بلا تشبيه .

قال المهداوي : انني اتحدى عبد الناصر ان يخطب باللغة الفصحى ، لغة القومية العربية .

وهنا لا بد من كلمة حق تقال في امر الخطابة : لقد اثبت عبد الناصر انه يستطيع ان يخطب بالفصحى والعامية بالعادية والرفيعة ، بأية لغة شاء ، وانه خطيب لا يشق له غبار ولو كره المهداوي ، وان اخطاءه في اللغة العربية ليست اكثر بكثير من اخطاء المهداوي . اما عبد الكريم قاسم فقد ثبت انه ليس بخطيب ولو استمد القواعد من سيبويه نفسه ، وان طريقته في الخطابة متعبة وان التأتأة اقل ما يقال فيها .

قال المهداوي متابعاً حملته : انهم يطمعون في العراق ويريدون نفطه . المجرم عبد السلام عارف كان يعمل لالحاق العراق بالجمهورية المتحدة . فكأنما هو صاحب العراق ، وكأنه مدير طابو يريد ان يسجله باسم عبد الناصر ... ومع ذلك فنحن تآمرنا ، ونحن الذين اثرنا الاضطرابات في الموصل وكركوك وغيرهما . نحن الشيوعيون ونحن المشاغبون ، لسنا عرباً ولا قومية عربية لنا ، وهو عدنان بن قحطان !

وانثنى المهداوي يطعن في احوال مصر فيقول : لقد اعلنوا بكل صراحة ان الشعب المصري يريد لقمة العيش ولا يطلب ديموقراطية . فكيف يريدون ان يؤمنوا تحقيق مستوى رفيع للبلاد اذا كانوا لا يؤمنون بالديموقراطية الصحيحة ولا يقدسونها؟ انهم جعلوا من مصر ومن سوريا نهباً للرأسمال الاجنبي . وقد مرّت

سبع سنين على ما يسمونه الثورة وما هو في الحقيقة إلا مجرد انقلاب. فالثورة هي ثورتنا نحن ، ثورة ١٤ تموز الخالدة ...

اجل بعد سبع سنين يقولون ان كل ما يريدون تأمينه لقمة عيش ... وشوية حشيش !

قالها المهداوي على الوزن وبحركة كلها تمثيل وتهريج فضجت قاعة المحكمة بالضحك والدبك والتصفيق .

ماذا فعلوا للقرية المصرية وقد مضى على انقلابهم سبع سنين ؟ انها ما تزال متأخرة جداً ، اكواخها عديمة التهوية ولا تدخلها الشمس . يعيش فيها الاهلون مع الحيوانات ، وليس في القرية مياه نظيفة . اما نحن ، في العراق ، ففي السنة الواحدة التي انقضت على ثورتنا افتتحنا عشرات القرى وحسنا اسباب المعيشة.

عندهم يتناول الفلاح الاجير عشرة قروش في اليوم ، اي مائة فلس . ولا يملك من ليس اجيراً ، اكثر من ثلاثة افدنة . فاين الاصلاح الزراعي ؟

وفجأة انتقل المهداوي الى الحديث عن اولاده وعن مؤتمر السلام العالمي ، فقال : زعموا ان المهداوي هرب اولاده من العراق خوفاً من غضبة الشعب عليه ، كأنني لا احضر احتفالات انصار السلام بنفسي وكأنني لم اسر في طليعة المواكب الشعبية اثناء الاحتفالات بذكرى ثورة ١٤ تموز الخالدة التي جرت بحماسة منقطعة النظير .

لقد وصل اولادي الى فيينا (عقد مؤتمر الشبيبة الديموقراطية العالمي هناك واثار ذلك ضجة على الشيوعيين غايتها كشف اصابعهم من وراء المؤتمر الذي اريد عقده اول مرة في بلد غير شيوعي) وجاءتني برقية تنبئني بذلك وبأنهم على احسن ما يرام ، فلا خوف ولا فزع ولا رعب كما يكذبون شأنهم في كل ما يقولون ويتهمون . ألا بئس ما يقولون وما يفعلون !

في تلك الجلسة كان دور الضابط الصيدلي امين كوركجي في المحاكمة فلم يأبه للمهداوي بل قذفه في وجهه بهذه العبارة : عذبوني كي اقول ما يريدون هم ان يقولوه . « جابوني من المستشفى الى السجن والجرح ينزف مني . »

ويكاد الحديث عن تعذيب المتهمين لا تخلو منه جلسة من جلسات المهداوي : هذا متهم يقول : شدوا بخيط متين على يدي وظلوا يشدون حتى ايقنت ان يدي سقطت ولم اطق مزيداً من الصبر فصحت بهم : دعوني وانا اقول لكم ما تريدونني ان اقوله .

وذاك متهم يصيح : انتزعوني من فراشي في المستشفى ونزعوا الضمادات عني امعاناً في تعذيبي حتى اعترف لهم بما يريدون .

وثالث يؤكد : كتبت ما املوه علي اثنـاء التحقيق تحت التعذيب بالكهرباء وبعد ان رأيتهم يعذبون رفيقي وسمعت صراخ رفيق آخر لي يقطع نياط القلب في كتيبة الدبابات حيث يجري التعذيب . وهذا متهم رابـع يعطي اسماء الذين عذبوه واحداً واحداً ، فلا تتحرك شعرة في رأس المهداوي ولا يهمه ان تُنحر على قدمي المحققين في محكمته كل المبادىء الانسانية والحرية والسلام والعدالة وسائر القيم التي يدعيها لعهده وثورة زعيمه . بل كان كل ما شغله من امر هذا التعذيب ان يبين كم كان الزعيم كريماً حين التفت الى قضية التعذيب في التحقيق مع المتهمين وكم كان عظيماً حين اصدر امره بتوقيف هذا التعذيب ! «شاء الزعيم الاوحـد ، وأحب الزعيم الاكبر ، وتلطف البطل الاعظم ، فقال : لا تعذيب بعد اليوم !

اما الذين يهاجمونه فينعتونه تارة بهولاكو الجديد وطوراً بالدكتاتور الاوحد ، ويزعمون انه كردي وانه اعجمي ، فهم افاكون دجالون . فعبد الكريم قاسم اباً عن جد عربي ابن عربي ، مع احترامنا لسائر القوميـات في العراق وخاصة القومية الكردية الشقيقة العزيزة ...»

ثم يعود المهداوي الى خطاب عبد الناصر في عيد الثورة والى حديث الفصحى وقواعد اللغة العربية فيقول : خطاب عبد الناصر سمعت قسماً منه فقـد كانت المحطة مشوشة (هناك حرب تشويش على الاذاعات بين بغداد والقاهرة ولكن يمكن الاستماع اليهما وفهم اقوالها ولو ببعض التعب) وما استطعت ان اسمع سوى ثلث ساعة . لقد كان يتلعثم ، واذا عصرت خطابه لا تجد فيه معنى (كذا) اما اغلاطه في اللغة فلا تحصى ...

وهنا لا بد من كلمة في لغة المهداوي الذي يضـع نفسه في سلالة سيبويه

ونفطويه . فالمهداوي يتكلم عادة بالنحوية ولكنه يرتكب اخطاء كل خطيئة منها اكبر من رأسه . يقول لك مثلاً : نحن العراقيون لا نبالي ... وصوابها نحن العراقيين ، بالنصب على الاختصاص مفعولاً به ، اي«نحن اخصّ العراقيين» وقد وقع في هذا الخطأ عشرات المرات بل فيما كان يأخذ على الآخرين اخطاءهم اللغوية وعجزهم عن التكلم بالفصحى .

أو يقول لك : قام الزعيم وحده بضم الدال على انها نعت . ووحده لا تتبدل فهي ابداً منصوبة على الحال ... او لا يزل فيجعلها ناهية وهي نافية ، «واسميناه زعيماً اوحداً» وصوابها زعيماً اوحد لانه ممنوع من الصرف من وزن أفعل وامثال ذلك من الاخطاء التي لن اطيل في امرها لاننا لسنا في مقام لغوي ، والتي تدل على ان المهداوي يجيد صف الكلام وصوغ الجمل على السمع لكثرة ما قرأ لا على اساس قواعد يريد ان يوحي للآخرين بأنه يتقنها وضليع منها ويتخذها عنواناً من عناوين عروبته ...

سأل المهداوي المتهم الرئيس صديق اسماعيل : « بشرفك لا تدري بمؤامرة الشواف ؟ » يقول للمتهم بلا شرف ، عديم الشرف « شرف سز . » ثم يعود يستحلفه بشرفه ! « الم يكن عبد الناصر يريد ان يتعشى في الموصل ؟..

– يا سيدي ما اعرف .

المهداوي – ماكنت مساوي له كبه في الموصل ؟

جبان ! رئيس اول . يعني صاغ . ما سامع بالصاغ صلاح سالم ؟ ارقص مثله . كان يرقص في الاشجار مثل طرزان ... اكو فدّ اشجار ونجيب لك حبلة ترقص بيها . انت صاغ وهو الآخر صاغ . عروبة ، عثمانية ، كردية . صاغ وبكباشي وميرالاي . ماذا بعد من هذه الالقاب والفخفخة التي تروق لهؤلاء لأنهم يحبون الفخفخة الفاروقية الخديوية !

ان العروبة لا يمكن ان تتحرر ما لم تزل من افكار بنيها التقاليد القديمة التي ورثوها من الحكام الطغاة ، سواء أكانوا في العهود العثمانيــة الغابرة او الاحتلال الفرنسي او البريطـاني . يجب ان يتحرر العرب من كل شيء حتى في الملابس وحتى في العادات والتقاليد البالية .

واخذت المهداوي نوبة من نوبات عصبيته فراح يكيل النعوت والسباب : جهة غفلة سخفاء حقراء .. ويحرك كتفه بعصبية مع كل كلمة يقولها وكل مسبة يقذفها . . ثم تهدأ عاصفته ويعود الى موضوع المحاكمة : نعم ؟ ماذا قلت ؟ تفضل !

ولقد اثارت المهداوي حملات الصحف والاذاعات العربية مرات ومرات ، ولكن اشد ما اكتوى بناره اتهامه بأنه سارق قد نهب الفحم من الجيش حين كان في عهدته ، او نبش بعض خصوصياته في اسرته وخارجها .

قال في الجلسة التاسعة والعشرين بعد المائة مخاطباً المتهمين واولئك الذين يهاجمونه في الصحف وغيرها : معلوم، المهداوي منذ نعومة اظفاره يلعب القمار او يسرق ! انجاس خونة . هذه اضبارتي اتحدى بها هؤلاء الاوباش . ان فيها عبارات الشكر والثناء منذ تسلمي اول وظيفة حتى الآن، وكلها تشهد على عفتي ونزاهتي واستقامتي . وعلى اخواني الصحافيين ان يراجعوا الدوائر .

معلوم امر اولئك الخونة العراقيين الهاربين امثال محمود الدرة وفاسق السامرائي (فائق السامرئي) ونعمان ماهر (وهؤلاء اركان « التجمع العراقي الحر » الذي يعمل في الجمهورية العربية المتحدة ضد حكم عبد الكريم قاسم وضد سيطرة الشيوعيين في العراق) .. معلوم امر هذا القذر المنحط السافل . اين هو الآن ؟ ان زملاءه في سامراء يعرفونه جيداً ، ومنهم المرحوم البدري .. حين كان طفلا ! لقد ابتلاكم الله بالمهداوي ايها الانذال ! وتعرفون ان المهداوى بلوى . واذا اتتك مذمتي من ناقص ... لعنة الله على شرفهم . هل قلت انا تسقط القومية العربية ؟ او لعنة الله عليها؟ انني اقول فلتحي القومية العربية ! ولكن قوميتنا نحن الديموقراطيين المثقفين الاحرار المستقلين هي غير قوميتهم . حمقى ادعياء مأجورون انتم وصحفكم ... متى يتبدل المهداوي ؟ متى ينقل المهداوي ؟ جماعتكم الذين واحدهم مثل الواوي ، يحيكون الروايات عني : رفع المهداوي ، صار زعيماً ونقل الى البصرة متصرفاً ... كأنما المهداوي لا همّ له ولا امل الا الترفيع والتنصيب . انني افتخر واعتز بهذا المنصب في محكمة

الشعب الى ان اموت ... انني فقير والكثرة العظمى من الشعب فقراء . لقد شاركت الفقراء أحزانهم منذ كنت طفلاً صغيراً . كنت في حي الفقراء في المهدية لذلك لا هم لي الا خدمة الشعب والاخلاص للشعب والانتقام من اعداء الشعب .

اما محاكماتي فسوف تكون تاريخاً ، ستكون انسيكلوبيديا حافلة بالوطنية الحقة والقومية الصحيحة المتحررة والانسانية الخالدة في جمهوريتنا الديموقراطية الشعبية الخالدة...زعموا ان القومية العربية خنقت في العراق ، وان القرآن حرق في باب وزارة الدفاع (وهنا ارتفع صوت احد النظارة يريد ان يلقي قصيدة فقاطعه المهداوي صائحاً) :

قلت وكررت عدة مرات : عيب على السامعين مقاطعتي...لا تقاطعوني دعوني اكمل حديثي لأن التعليقات التي اصبح لزاماً عليّ ان اعلقها بناء على رغبة المواطنين كافة ، سواء في العراق او خارج العراق من الناس الشرفاء ، اصبحت سماً يسري في قلوب الطامعين وسوطاً نارياً يلهب ظهور المستعمرين! ايها المواطنون الشرفاء فتشوا عن الاستعمار ، راقبوا الاستعمار ، افتحوا عيونكم على الاستعمار. ان العراق بخيراته ، بنفطه وكبريته ، بأراضيه الخصيبة ونهريه العظيمين دجلة والفرات هو لنا ومنا والينا رغم انف الاستعمار ...

قاسم خروشوف او مالنكوف، ماجد امين فيشنسكي! فشر ، فيشنسكي ميت ... ماجد امين غروميكو ! اما هم فالقوميون العرب الاقحاح ! احدهم امه اعجمية وابوه من البانيا وزوجته اعجمية. والآخر اهله من مانشستر واصفهان ويقولون انهم قوميون عرب من الطراز الاول . ويعملون استعراضاً في ٢٣ يوليو (تموز) في ساحة من ؟ رعمسيس ! لا يا زرنقيت ! (مسبّة عراقية).

يتسترون بشعاراتهم الكاذبة ويدعون القانون والسلطة وهم معتدون. العروبة، ايها الاجلاف ، لا تقبل الاعتداء . والاسلام لا يبيح الاعتداء والعروبة قومية الشرف والاباء . الدين دين الاسلام والاخاء . الدين لله والوطن للجميع !

وهكذا ضاع المهداوي في تعليقاته وخلط المواضيع وشط عن المناسبة، ثم

تقبه الى المتهم الماثل امامه فعاد اليه يعطيه نصيبه «من التسابيح» ! تقول انك عربي ! هذا دس ، فان اربعـــة اخماس العراقيين عرب . وتقول انك قومي عربي وهذا دس . انك مجرم .

– كلا لست مجرماً .

المهداوي – ومتآمر خائن مثل الشواف .

– لست خائناً ولا متآمراً .

المهداوي – زين ، شجابك هنا في قفص الاتهام ؟ حيوان جلف ! اشتركت بنقل السلاح والعتاد للعصاة في الموصل بالسيارات املا ؟ وماذا كان في السيارة؟ خستاوي ؟ (نوع ممتاز من انواع التمر)

– سيدي ، دعني ادافع عن نفسي ...

المهداوي – اسكت ! حق الدفاع قدستموه هوايه (كفاية) . تتعرضون لفتيات الموصل لأنهن في المقاومة الشعبية ؟ ان شرف الفتاة يزداد عندما تنتمي الى المقاومة الشعبية وتخدم الشعب خدمة صحيحة في حياته الاجتماعية .

قالها المهداوي بجد ما بعده جد :

« خدمة الشعب في حياته الاجتماعية » وكل ما عرف عن المقـاومة الشعبية من «خدمات» هو دخول البيوت من غير ابوابها والاعتداء على الحرمات وانتزاع المواطنين من منازلهم وسحلهم بربطهم بالحبال وجرّهم في الشوارع حتى الموت .

كل ذلك ومحكمة المهداوي ، على حد وصفه في الاحتفـــال بمرور عام على انشائها في الثالث والعشرين من تموز ١٩٥٩ ، « رائدها الحق والعدالة والانصاف ومصلحة الشعب ، واسسها الديموقراطية الصحيحة وحرية القول وتقـــديس الدفاع » .

قال المهداوي في تلك الحفلة ، وكانت حقاً تاريخية بالعجيب من برامجهـــا : اغان ومقامات بلدية ، نشيد للزعيم الاوحد ، قطعة موسيقية على عود منفرد ، دبكات عربية وكردية واشورية وارمنية ، العاب بلهوانية ، تماماً كبهلوانيات المهداوي وموسيقى نظارته واهازيجهم ودبكاتهم ، فالاناء ينضح بما فيــه ، على

قول المهداوي :

« ان هذه المحكمة التي تفضل شعبنا العظيم فسماها باسمه الكريم (لم يسم المحكمة بهذا الاسم غير المهداوي) علاوة على تسميتها الرسمية ، المحكمة العسكرية العليا الخاصة ، قد فضحت المؤامرات الاستعمارية العدوانية على الاقطار العربية الشقيقة ، واخص بالذكر سوريا العزيزة ، عندما كانت متحررة وعلى رأسها حكومة وطنية ديموقراطية تعمل وفق اسس المبدأ الديموقراطي الحقيقي . والمؤامرات الاخرى التي فضحتها محكمتنا ليست مجهولة لديكم ومحاكمة رجال العهد المباد اعوان نوري السعيد الذي كان في الحقيقة ملك العراق غير المتوج والذي كان يقول ان الذي يتجرأ على قتله لم يخلق بعد .

« وان المؤامرات التي حاكها الاستعمار ضد جمهوريتنا الديموقراطية وشعبنا العظيم ، سواء المؤامرة الاولى لخائن الثورة الاول عبد السلام عارف ، او مؤامرة الخائن المجرم رشيد عالي الكيلاني ، او مؤامرة الخائن القذر عبد الوهاب الشواف الذي كانت مؤامرته واضحة مكشوفة للعراق في داخل العراق وخارجه .. ان هذه المؤامرات الرجعية الاستعمارية الدكتاتورية الفاشستية التي واجهناها منذ اليوم الاول لميلاد جمهوريتنا قد تغلبنا عليها لأن امتنا المجيدة على حق واعداء جمهوريتنا على باطل » .

يومذاك لم يكن العقيد ماجد امين في عداد خطباء الاحتفال . وكأنما تعمد المهداوي ان يقصيه ليحتفظ وحده بكل الامجاد ... ولكن اتفق في اللحظة الاخيرة ان اعطي ماجد الكلام فقال :

« قرأت منهاج الحفل فلم اجد اي اشارة الى كلمتي ، ثم علمت ان اخي الحر الشهم العقيد فاضل عباس المهداوي يعدّ شيئاً . اننا روحان في جسد واحد ، واننا شخصان يكمل الواحدمنا الآخر . وان الكلمة التي يقولها رئيس محكمة الشعب لا بدّ ان يختمها المدعي العام . وهذا حق لاننا تعاهدنا ان نسير بهذه الروح في محكمة الشعب ، خدمة للشعب وللزعيم وللوطن » .

ثم قال : « لقد كانت محكمتنا ولا تزال تلاقي اقبالاً واسعاً من الفئات الشعبية

المختلفة التي اخذت تجد في الايام التي تمر دون محاكمات فراغاً مملاً . فالجماهير الشعبية ترتاح للتعليقات وتتذوق روح النكتة وتتطلع لمعرفة الحقائق من اعترافات متهمين وشهادات شهود... وحتى الهتافات والكلمات القصيرة والقصائد التي يلقيها الجمهور في قاعة المحكمة تلاقي هي الاخرى تسامحاً وقبولاً من الجماهير الشعبية .

حتى الاطفال في الشوارع اخذوا يعقدون المحاكمات متشبهين بمحكمتنا (ولا فخر) مرددين نفس الجمل والتعابير والنكات، منددين بالمتآمرين والخونة متندرين عليهم ! فما هو سر نجاح محكمتنا ؟ انه شعبيتها وامانتها لاهداف الشعب والتاريخ فمحكمة الشعب مكسب هام من مكاسب الثورة » .

على ان هذا «الغرام» الشعبي بمحكمة الشعب لم يرق للمهداوي دائماً . اسمعه في جلسة محاكمة الرئيس الصيدلي امين كوركجي في اواخر تموز ١٩٥٩، وهي الثلاثون بعد المائة ، يتذمر من الازعاج والمزعجين :

– اخذ بعض المواطنين يتلفنون لي . ارجوهم الا يفعلوا ذلك وألا يزعجوني وخاصة بعد الظهر لأني لا اطيق الا النوم بعد الغداء ، ولا اطيق الحر الشديد ما لم يعقب الغداء نوم لمدة ساعتين... اقول فتش عن الاستعمار، فتش عن الاستعمار في كل مكان وزمان ، فتش عنه في الليل والنهار .

وكان المهداوي في تلك الجلسة يهاجم الاستعمار ويقول : تريدون نوري سعيد ثانياً في العراق ؟ واحد انكليزي والآخر اميركي؟ خوش! فتش عن الاستعمار... بدل ان تقول فتش عن المرأة قل : فتش عن الاستعمار . وقد قال غاندي : اذا رأيت سمكتين تتشاجران في البحر قل ان سبب هذا الشجار ومسببه الاستعمار البريطاني .

وانتقل المهداوي يهاجم المتهمين العقيد الخشالي ورفاقه جملة : يدعون الغيرة على الدين وها هم كما نسمع من الشهود كانوا يسكرون ويقامرون وينافقون ويدسون ويفرقون ويكذبون ويرتكبون غير ذلك من الرذائل . انهم يتمثلون بحكومة رجعية تدعي القومية زوراً وبهتاناً . وكم من هؤلاء الادعياء تنكروا

لجميل العراق باسم القومية العربية . ألم يكن شكري القوتلي في العراق. ألم يفتح العراق صدره لايواء اناس كمفتي فلسطين وغيره حتى في زمن العهد المباد؟فكيف به اليوم وقد تحرر من الاستعمار ؟

وعاد المهداوي يخلط شعبان برمضان فيتابع ملحوظته قائلا : محكمة الشعب يمنعون سماعها عندهم وفتح اذاعة اسرائيل مسموح...لازم يسدقون منولوج ام كلثوم فذلك افضل للعفالقة وذلك اهون على جمال عفلق الحوراني...ما تقول لي (مخاطباً الرئيس الصيدلي امين الكوركجي) زعيمكم الهبل الكبير ماذا عمل لاسرائيل . يعني العراق صار اسرائيل واسرائيل صار العراق ؟ ها... ها... نسيت انك ابن سينا لا تفهم في السياسة !

يتهمونني بأني هربت الملايين ، فهل هذا صحيح ؟ وهل صحيح انني اغتلت؟ قالوا مرة : اغتيال المهداوي ! وتحدثوا عن خادمة عندي ... عشرون خادمة ، بينما انا لم اذق سوى طبخ زوجتي منذ اربعةعشر عاماًحتىالآن...منذ زواجنا. هذه اكاذيبهم ، لا يستحون ولا يخجلون

« لا تنتهي الانفس عن غيها... »

وهوذا في مناسبة اخرى ، اثناء محاكمة العقيد الخشالي ورفاقه يتولى الدفاع عن الشيوعيين . فهو لينيني اكثر من لينين ، قال : انهم احتلوا الجوامع في الموصل وعبأوا الاسلحة فيها . هل عمل الشيوعيون ذلك ؟ هل احتلوا الجوامع والكنائس ؟

انهم يميزون بين القوميات والعنصريات مثلما كان النازيون يفعلون . لقد صنف هتلر البشر : هذا آري دمه نقي ، وهذا دمه بالمئة ٩٠ والآخر بالمائة ٨٧ و ٢١ الى ان ينزل العرب الى الدرجة ١٤ . احمق ! بينما الاسلام يقول الحمد لله رب العالمين ولم يقل رب الانكليز والفرنسيين والالمان والاميركيين . ويقول النبي : «لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى . ان اقربكم عند الله أتقاكم» هل قال ان اكرمكم هو العربي او الكردي او التركي او العجمي ؟ افكار فارغة اضرت بالبشرية ضرراً بالغاً فسببت الحروب الطاحنة الوحشية وهي برقع

الرأسمالية العالمية مسببة الحروب والمتاجرة بدماء البشرية ! بينما البشرية تدعو الى التآخي الانساني اي التعاون بين البشر «وجعلنا كم شعوباً وقبائل لتعارفوا. ان اكرمكم عند الله اتقاكم » « وكل حزب بما لديهم فرحون» « ولكم دينكم ولي دين »

قالوا : لا مسيحية بعد اليوم! ولكننا نعترف بالأديان. نعترف بموسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء . وندعو الى التسامح في كل شيء (من نوع تسامح المهداوي وانسانية المهداوي وعدالة المهداوي في شنق فاضل الشقرا بعد استدراجه الى انكار بعض افاداته طمعاً في النجاة من الموت ، او باعدام الضابط الاعمى) سواء أكان ذلك في العنصرية او القومية او الدين او المبادىء . كل حزب بما لديهم فرحون ، على ان يخلص الجميع للجمهورية فانها غالية علينا ...

وتحدث المهداوي في الجلسة الثلاثين بعد المائة كذلك عن الرقص ولف ودار على الموضوع ليقول ان الشيوعيين برعوا في فنون الرقص الحديث ،وألقى محاضرة في كيف يجب ان يكون الرقص . ندد بالرقص الخليع ، من عرض سيقان وصدور الى هز بطون وصاح : الا يخجلون ؟ الا يستحون ؟ (يقصد الراقصين والراقصات على هذا النحو) انني اهيب باخواني العراقيين ان يتحرروا حتى في الرقص من اشكال العهد البائد . ارجو من الذين يمارسون هذه المهنة ان يقلعوا عن الحركات الخليعة المثيرة الشائنة . ان الرقص يمارسه الناس المتمدنون بأشكال محتشمة كما شاهد المواطنون ذلك حين زار بغداد دار السلام ، الوف الزائرين من الشعوب المحبة للحرية والسلام (في احتفالات ١٤ تموز) .لقد رأينا كيف يكون الرقص الحقيقي . وخاصة من الفرقة الصينية التي ادهشتنا برقصها المحتشم وصورها الخلابة .

كان المهداوي يتحدث عن هز البطون والاحتشام في الرقص ايام كان المئات من اهالي كركوك يقتلون سحلاً وذبحاً وتعليقاً ويدفن منهم احياء في مجزرة تموز الشهيرة . اجل كان الرقص وفنون الرقص وضروب الغنج كل ما يشغل المهداوي يومذاك ، يوم اعلن زعيمه الاوحد في جمع غفير من الصحافيين ان اكثر من اربعين

لامرءاً اخرجوا من القبور بعد ان دفنوا فيها احياء - وقد عزا بطولة الجزرة الى «الفوضويين» وفهم الجميع انه عنى الشيوعيين - ونقلوا الى المستشفيات وان حوالي سبعين قتيلا احصوا حتى ذلك الحين .

والحق انه كان هناك رقص ولكن من نوع آخر يقوم به المهداوي واعوانه في محكمتهم ... كانوا يرقصون على قبور كركوك ويلوّحون بعصيان الموصل . كانوا يتناسون احداث الجزرة الكبرى في كركوك ولما تبرد حرارة دمائها ، ويمضون في محاكات حادثة الموصل ويطيلونها ويمطون اجراءاتها ويتخذونها قاعدة حملات ووسيلة استمرار في الهجوم على القاهرة ودمشق .

... كأن كل امر استقام وكل حال استقر في العراق ولم يبق للناس ، شرفاء وغير شرفاء كما يقسمهم المهداوي، احراراً وغير احرار ، سوى همّ واحد: كيف يحسن بهم ان يرقصوا، وماذا يجب عليهم ان يصنعوا ليصبحوا في مصاف الابطال في ضروب الرقص .

ألقى المهداوي محاضرته تلك عن الرقص فيما كان فاضل الشقرا ، ذلك المذيع الهاوي الذي شنقه المهداوي على النحو الفاضح المعلوم ، يعد له بياناً باسماء معذبيه تلاه في الثلاثين من تموز ، اي في الليلة التالية .

قال فاضل الشقرا : عذبوني عذاباً وحشياً لا يرضاه اي رجل شريف ، ولا اعتقد ان الزعيم قاسم يقبله . اشترك بتعذيبي العقيد الركن هاشم عبد الجبار والعقيد هاشم يالا والحاكم داود خماس وعطشان نمرود . عذبوني في هذا البناء بالذات ، في الغرفة الواقعة فوق هذه القاعة في الطابق الاعلى . لقد اسموا آلات التعذيب «وسائل الايضاح» ... فلاسفة في فنون التعذيب ووسائله . . ووسائل الايضاح هذه عصي من خيزران وجهاز فلق وهراوات وحبال ، مضافاً اليها السب والشتم والتقريع بأشد الالفاظ .

كانوا يقولون لي ساخرين : امامك سهرة تعذيب مجانية ... وما ان تنتهي السهرة حتى يحملني الجند كالكيس ويقذفون بي في اقذر محل دون فراش ولا غطاء ... في ليالي رمضان وفي عيد الفطر كانوا يعذبونني . كان الرئيس فاضل

باجي والرئيس عدنان محيي الدين والرئيس نوري مجيد والرئيس عبد اللطيف محمد امين ومثنى نافع وخليل حسون، كل هؤلاء كانوا يتناوبون في حفلات التعذيب... كانوا يقولون لنا اننا نطبق عليكم دكتاتورية البروليتاريا العادلة (وهي فلسفة شيوعية لتبرير الاستبداد)

علقني الرئيس الاول سعدي علي وخالد عيسى وخليل مثنى وصالح فارس بسقف بهو الضباط في معتقل كتيبة الدبابات في احدى ليالي سمرهم ، واخذوا يعذبونني واستمروا ثماني مرات آخرها الفلق حتى اغمي علي . وكانوا يكوون جسمي ويدي وهم يتشفون ويمرحون ، وما تزال الآثار في جسدي يستطيع ان يراها من يشاء ليطلع العالم على مقدار انسانية العقيدة التي يتمشدقون بها . ثم انهم علقوني من يدي في اقذر محل وتركوني اثني عشر يوماً في الانفراد .

قالوا لي : ولك شقرا ! المهداوي متحلف بيك راح يشنقك خمس مرات .
وقال لي الرئيس عمر الشريف : ... وانا بيدي انفد الحكم قبل أن يصدق .

واغرورقت عينا فاضل الشقرا بالدموع وهو يشكو الى الله ظلم هؤلاء الضباط الجلاميد : ابلغوني وكأنهم اتوا عملاً بطولياً ، انهم قتلوا شقيقي هاشم وهو في السابعة والعشرين من عمره ومعه اربعة وعشرون شخصاً رمياً بالرصاص بعد ان اذيع بيان بتطمين الشعب ودعوة الناس للعودة الى اعمالهم والعفو عما مضى ... قتلوا اخي وتركوا جثته خمسة عشر يوماً دون دفن حتى تفسخ . لقد حكموا عليه بالاعدام ونفذوا الحكم فيه اعتباطاً . ولم يكتفوا بهذا بل حرموني من مقابلة اهلي واخذوا يسمعونهم الفاظاً قذرة . لقد داسوا الكرامة والشرف لأن لا شرف لهم ولا كرامة . حتى الاطباء المقدم الطبيب الشيوعي صبحي اديب شارك في التنكيل بي مع رفيقه شاكر الجنابي . كذلك فعل الديموقراطي الصميم فاضل البياتي من رجال الفكرة الحمراء .

وهنا كشف فاضل الشقرا عن اسرار اخرى ولعله استنزل بذلك المزيد من غضب جلاديه واضاف سبباً آخر الى اسباب تصميمهم على اعدامه ، فقال ان بعض المحققين ، ولا يستطيع كشف اسمائهم ، اغروه اثناء التحقيق بالخلاص

طالبين اليه الإدلاء باقوال تحشر جماعة من كبار المسؤولين والضباط في حركة الموصل ،» كأن اقول ان رئيس مجلس السيادة قد ابرق الى الشواف ، وان من المؤيدين للشواف الدكتور جومرد (وزير الخارجية في وزارة ما بعد ثورة قاسم) وصديق شنشل والزعيم ناظم الطبقجلي ، وانهم ابرقوا بتأييدهم الى الشواف ، ولكني رفضت ذلك رفضاً قاطعاً وقلت ان ذلك لا يليق بعربي شريف .

كان قاسم ، بعد انتشار فضيحة التعذيب اثناء التحقيق، قد احال عدداً من الضباط المشتركين بحفلات التعذيب ، على التقاعد ، ولكن ما كاد الضباط المتهمون امام المهداوي يتحركون في حملة تشهير مشتركة باساليب «محكمة الشعب» وهيئة تحقيقها في التعذيب والاكراه ، حتى استدرك فسارع يصدق احكام أعدام الستة من رفاق العقيد جميل الخشالي وفيهم فاضل الشقرا .

اما المهداوي فقد ساءه ان يكسب المتهمون بعض الشعبية وان يشعر الناس ببعض الشفقة عليهم بعد ان سمعوا ما سمعوا من حوادث تعذيبهم ، فقام يثير الجماهير عليهم ويروي لهم كيف ان الضباط المتهمين كانوا يسمون جماهير الشعب بالغوغاء وكيف كانوا يطاردونها في الموصل وينكلون بها بإسم القضاء على الشيوعيين ، ويحكي لمستمعيه حكاية لويس السادس عشر والملكة انطوانيت وهما ملك وملكة فرنسا المعروفان اللذان شنقا في الثورة الفرنسية ، قال :

- بماذا كان لويس السادس عشر وغيره من جماعة الحكام في عهده وملكته المدللة الغبية ماري انطوانيت يسمون الجماهير الغفيرة الفرنسية الجائعة المعذبة حين كانت تهتف طالبة الخبز ؟ لا شك ان هذا اللويس وهذه الانطوانيت واضرابها كانوا يسمون الجماهير بالغوغاء. لقد كانوا يريدون ابعاد الملكة الاجنبية عن فرنسا ، وما حن اجنبي على وطن غير وطنه ، فكانت ماري انطوانيت تقول : ماذا يريدون ؟ الخبز ؟ لماذا لا يأكلون الدجاج ؟

لقد تحرر العراق ، وكلما شاهدوا شعبه فرحاً بتحرره قالوا هؤلاء غوغاء ، والحكومة شيوعية والزعيم انحرف ، والمحكمة شيوعية والمناضلون شيوعيون كأنما النضال وقف على فئة معينة !

خسئتم ايها الخونة المارقون ؟ كنت تريد أن تكون من الوزراء (موجها كلامه الى الشقرا) كنتم تريدون ان تصير الحكومة بخمسائة وزير ! لا يا فقير ابن الفقير ! ايها الطامعون، يا اعوان بهجت العطية ، المطية ابن المطية. كنتم تريدون ان تعملوا مثله ، تطاردون المثقفين الاحرار وتنكلون بهم ؟

هل صحيح ان الزعيم قاسم شيوعي ورقمه ٣٧ في الحزب ؟

هل صحيح ان فاضل المهداوي شيوعي ورقمه لم يعرف .

هل صحيح ان الزعيم يركب طائرة هليكوبتر ويذهب الى سينما الخيام ليحضر حفلة ؟ ينزل على سطح السينما ! (يضحك النظارة للنكتة) . ان الزعيم منذ الثورة لم يركب هليكوبتر بعد ، وهذه سيارته يشاهدها الجميع ليلا نهاراً منذ الثورة حتى الآن . وهل صحيح ان الشيوعيين العراقيين حرقوا القرآن ، وان مندوباً من اسرائيل حضر مؤتمر انصار السلام في بغداد ، وان الدماء تسيل في بغداد ، وان لا اسلام في دار السلام ، كما يقول طه حسين الذي اوهموه بهذه التخرصات ، الى غير ذلك من اكاذيبهم ؟

انها البهلوانية والوحشية والفوضوية ، النازية الصبيانية والألسنة القاذورية والجرائم الراونترية التي هي براء من الدين والوطنية والقومية والانسانية بل هي عدوة السلام والحرية .

وينطلق المهداوي هكذا في كيل الشتائم مستأنساً بالوزن متفنناً في ايجاد اللفظات ملتذاً برصف الكلمات على السجع والوزن والنظارة من زبائن الهتاف والتصفيق ، مندفعون وراءه في التطبيل والتزمير حتى يصل عجاج المحكمة الى السماء !

المهداوي للشقرا : وانت أيها المأفون من اين عرفت انهم شيوعيون ؟ وانت ماذا انت ؟

الشقرا — انا قومي عربي مؤمن بديني وعروبتي !

وانفجر النظارة ضاحكين ، فانتفض الشقرا بجرأة واعترض صائحاً : انما جئت الى هنا لأحاكم لا ليسخر بي الناس !

اما المهداوي فقد شرع يتحدث عن نفسه وعن محكمته وما فعلته وما اسدته الى البلاد من خدمات فيقول :

انتا نحاسب الخونة ونحاكمهم وسنستمر في ذلك الى النهاية خدمة للوطن والشعب والجمهورية وزعيمها الاوحد . وهـذا هو كل ما كنت اتمناه . ويعلم اصدقائي المخلصون انني كنت احلم بالمحكمة منذ سنين وان هذا اعز ما تمنيته . لقد دخلت التاريخ ، وباشرف صفحاته ... صفحات الشعب . انني لا افكر إلا بالشعب ولا ابالي الا بالشعب ! لا يهمني اي منصب او جاه او مـال ، فأعظم واثمن مال واعزّ جاه هو حبّ الشعب .

وبعد ان يحمّس المهداوي جمهوره على هذا النحـو الرخيص فيثورون ويصفقون ويدبكون ويهزجون ، يهتاج هو الآخر معهـم فيصيح ولو لم يعيّن المقصود: ايها الجبناء الرعاديد اننا لا نهاب الموت في سبيل شعبنا ووطننا وثورتنا وزعيمنا. لقد اخبرت اخواني شخصياً ذات مرة انني حبذا لو اعتقلت وقتلت لكي اخلد في التاريخ . فاذا ما ناضل الانسان واقترن نضاله بالموت فان في ذلك شرفاً له واي شرف ومجداً اي مجد وتاريخاً اي تاريخ . فمرحباً بالموت واهلاً وسهلاً بالحياة الحرة الكريمة الشريفة .

ثم ينثني المهداوي بعدما يكشف بعض ما في نفسه ، فينقض على المتهمين : اما انتم ايها المتآمرون الخونة فانكم صلفاء كذبة . صلافة ما بعدها صلافـة . وقاحة ما بعدها وقاحة . تتآمرون ثم تنكرون . انكم اجلاف لا شرف لكم ولا مبدأ ، لا صدق ولا اخلاص ! لقد عريناكم . وهذا بطلكم المزعوم ، انـه مسعور محموم !

ويمضي قليل من الجلسة ،وقد كانت الثانية والثلاثين بعد المائة في الثامن من آب ، وتعرض بعض الاحاديث اثناءها فيهدأ المهداوي قليـلا ويتنقل من موضوع الى محاضرة ومن نصيحة الى وصيّة كالمعلم او الاستاذ او المفتي او قاضي القضـاة ، فيتحدث عن الزواج ويقول :

ـ نكرر دعوتنا للمواطنين والمواطنات الى الزواج المبكر لمقاومة التأخـر

الاجتماعي ، ولكي يكثر النسل في الجمهورية .

وورد ذكر المشير عامر في مناسبة اخرى فقال المهداوي معرّضاً ببطئه في الكلام ، تماماً كما يقول الصبية : انني إتحداه وأراهن من يشاء ان يراهن ، ان المشير لا يستطيع ان يقول ثلاث مرات تباعاً :عملاء ، عملاء ، عملاء !

واستطرد يقول : كانوا يسمون الشواف في اذاعة صوت العرب او صوت الغرب ، وفي اذاعة صوت دمشق الحبيبة العزيزة التي لي فيها ذكريات جميلة هي ذكريات الشباب الوارف الظلال الشباب الشامخ ، الشباب النضر ، شباب الادب والعلم والثقافة على بردى الجميل النهر الخالد موحي الشعراء والادباء وموئل العروبة الصادقة ... كانوا يسمونه « الشهيد الشواف » ومع ذلك يقولون ان لا دخل لهم في المؤامرة . واذكر انهم كانوا يقولون : لا تصدقوا لم يقتل الشواف ، اسمعوا صوته ، ومع ذلك نسمعهم بكل صلافة ينكرون دورهم في المؤامرة ...

وانت؟ انك على العهدباقِ فمتى يكون التلاقي ؟ اهتف بحياة عبد الناصر ! اذا امرت اهتف !... متآمر كاذب، تنكر الآن ما اعترفت به قبل ساعة. غنّ اغنية ضيعت مستقبل حياتي وانتهيت ! بابا زنكو ! غنّ لنا الغنية ! خائن ابن خائن !

***

ثم كان دور قافلة الزعيم الطبقجلي قائد الفرقة الثانية في كركوك اثناء ثورة الموصل ، مع رفاقه في المثول امام المحكمة بتهمة مساندة الشواف والاحجام عن تسيير قوات لسحق تمرده .

جاءت محاكمة هذه القافلة في ظرف دقيق . فحوادث كركوك الدامية لما يمض عليها سوى ايام ، وموجة الاستياء منها شديدة في كل مكان ، داخل العراق وخارجه ، وبيانات عبد الكريم قاسم باستنكار جرائم الفوضويين قد شجعت الضباط المتهمين وغير المتهمين على القيام بحملة تشهير بالشيوعيين وتحريك على نظام الحكم من أساسه . ولقد اراد عبد الكريم مع المهداوي بهذه المحاكمة تبديد اثر المجزرة من النفوس وتأكيد استمرار قاسم في سياسته والاحتفاظ بمسايرته للشيوعيين .

كان المسؤولون في بغداد على عجل من امرهم في فتح هـذه المحاكمة ، محاكمة جماعة من المتهمين بعصيان عتيق مضى عليه خمسة شهور فيما تتجـه الافكار نحو مجزرة كركوك ليرى الناس كيف يعاقب مرتكبوها . كانوا يتعمدون ابراز هذه الظاهرة ليثبتوا ان احداث كركوك ليست نقطة تحول في سياسة قاسم ، فأعلنوا عن موعد بدئها في الثاني عشر من آب ، حتى قبل ان تصدر الاحكام في قضيـة العقيد جميل الخشالي ورفاقه .

الا ان الزعيم الطبقجلي ، وهو من قادة العراق البارزين دخل المحكمة قوي الشكيمة جريئاً يصيح بالمهداوي ويرد له التهمة والاهانة . وقد استمد منـه رفاقه قوة في وقفتهم امام المحكمة العسكرية العليا الخاصة ، كما استمدوا قوة من وقف اساليب التعـذيب في التحقيق ، وفي المعتقلات بأمر من اللواء قاسم . ولكن تنفيذ الاعدام بالضباط الخمسة ومعهم فاضل الشقرا ، قد اصابهم بخيبـة مريرة . وازدادت هذه الخيبة لما اخذ قاسم والمهداوي يتحدثان عن «عودة الطامعين الى التحرك » وينذرانهم بالويل والثبور .

افتتح المهداوي قضية الطبقجلي بحملة على اولئك الذين عادوا يتحركون ، واسماهم بالفوضويين ليلصق بهم كل ما وجهه عبد الكريم قاسم الى الفوضويين من لوم وتثريب في حوادث كركوك . قال :

ــ ان تصريحات زعيمنا الاوحد واضحة جلية يفهمها كل ذي عقل وبصيرة إلا الذين في قلوبهم مرض ، امثال ذلك « السقا » الذي قيل له رش بغداد فغرّق بغداد . ان بطل الحرية الذي نادى بالوفاق والوئام بين ابناء الشعب كافة واطلق الحريات العـامة للمنظمات والجمعيات اراد ان يطبق الديموقراطية الصحيحة . ومن اراد ان يتعلم الديموقراطية بصورة دقيقة عليه ان يثقف ثقافـة خالصة ، ويدرس المبدأ الديموقراطي الذي نادى به فلاسفة اليونان منذ قرون بعيـدة في كتبهم الفلسفية والاجتماعية ، كما هو مثبت في كتب ارسطو وافلاطون .

وانني لانصح اولئك الذين لم يفهموا ما هي الديموقراطية ان يقرأوا الكتب التي تفيض بها ومنها كتاب « السياسة » للكاتب المعروف واظنه قـد توفي ،

المرحوم احمد لطفي السيد وغير هذا الكتاب من كتب الحقوق والسياسة والتاريخ .

أما الذين يشنّعون على الديموقراطية فلا بد انهم ، مع احترامنا لابناء وطننا ، عميان يسيئون الفهم والتطبيق . فالديموقراطية ليس معناها الفوضى ، والقومية ليس معناها الفوضى ، والوطنية ليس معناها الفوضى . انما كل ذلك له اسس ومبادىء ومحتوى وفحوى (يكاد المهداوي يردد عبارة المحتوى والفحوى عشر مرات في كل جلسة) اما ان تتخذ الحرية وسيلة للتشهير بالناس فهذا منتهى سوء الاستعمال ، ولا بد ان « تطلع الشمس على الحراميه » . ان هؤلاء يخدمون الاستعمار من حيث يشعرون او لا يشعرون ، وهذه المحكمة هي في سداها ولحمتها منبر شعبي حر وموجة ديموقراطي حقيقي ...

تمادى « السقا » واراد ان يستعمل الحرية الواسعة حتى في التزام الزعيم جانب الحق والعدل بمنعه اي اذى عن اي متهم ، غير ان ذلك ليس معناه اعطاء الفرصة للمتهمين المتآمرين ان يتآمروا مع المشبوهين .

وانما عنى المهداوي بهذا التعريض المتهمين ناظم الطبقجلي واخوانه الذين اخذوا يواجهون المحكمة بجرأة ويكشفون اسرار التعذيب دون وجل ويحاولون ان يدافعوا عن انفسهم دفاعاً كاملاً وان يحرجوا المهداوي بكثرة المحامين ويفوتوا عليه فرصة الانفراد بهم .

قال المهداوي يتابع حملته : طلبنا من المتهمين في هذه القضية ان يوكلوا عنهم محامياً فاذا بهم يطلب كل واحد منهم ثلاثة محامين ، حتى بلغ عدد المجموع سبعة عشر محامياً بينما لا يتجاوز عدد الحاضرين عشرة . انهم يحاولون ان يعملوا مظاهرة او تجمع ضد المحكمة . وبما ان للمحكمة الحق عندما ترى سوء النية من المتهمين ان تنظر بالامر فإنها ستعالجه وفق المصلحة العامة .

وكان ان قررت المحكمة ان « المصلحة العامة » تقضي بتعيين محاميين اثنين ، وسارت المحاكمة على « بركة » المهداوي ... بدأت كالعادة ببيان المدعي العام ماجد امين . وقد اتهم فيه الطبقجلي بارسال موفد الى سوريا للاطمئنان الى ان مساندة

الجمهورية العربية المتحدة مضمونة لحركة العصيان متى وقعت من اجـل قلب نظام الحكم ، كما اتهمه ورفاقه بتشجيع حركة الشواف بعـد ان انشأوا خـلايا مقاومة للجمهورية على النحو التالي :

– في منطقة الموصل العقيـد عبد الوهاب الشواف والرئيس محمود عزيز (الهارب) والمقدم خضر محمد والرئيس نافع داود .

في منطقة اربيل العقيد منير فهمي الجراح والرئيس داود سيد خليل والملازم عبد الجبار الصافي والملازم عامر الطالب

– في منطقة كركوك الزعيم ناظم الطبقجلي والمقـدم عزيز احمد شهـاب والعقيد ابراهيم الكيلاني .

– في منطقة بغداد العقيد رفعت الحـاج سري والعقيد محمد سعيد الشيخ والرئيس اسماعيل فائز والرئيس محمود سليم والرئيس منعم حميد .

– في منطقة الديوانية الزعيم عزيز العقيلي والزعيم الحاج محمود شيت والرئيس صبحي الطعان

واتهم ماجد امين الرئيس عزيز احمد شهاب بالذهاب تنفيذاً لاوامر الطبقجلي الى سوريا متنكراً بثياب عربية في سيارة على طريق الموصل ـ تل كوجك ومن هناك وصل الى حلب واجتمع بوزير الداخلية عبد الحميد السراج الذي كان يرافق جمال عبد الناصر في جولته في شمال سوريا ، وحضر المقابلة مدير أمن المنطقـة الشمالية المقدم حكمت ، وتحدثوا عن موضوع المساعدات ، وتلقى موفد الطبقجلي وعداً بالمساعدة بالسلاح والعتاد وجهاز اذاعة ومتطوعين وطـائرات اذا اقتضى الامر طائرات .

وفي ليلة ٧ـ٨ آذار لما اعلن الشواف العصيان في الموصل ورفع علم الجمهورية العربية المتحدة واذاع بيانه الأول من محطة الإذاعة التي ارسلت الى المتآمريـن من سوريا ، وقد جاء فيه : «ايها المواطنون الأعزاء . حين اعلن جيشكم الباسل قراراته الجبارة في صبيحة ١٤ تموز الخالدة لم يدر في خلده ولا في خلدكم ان يحلّ طاغية مجنون محل طاغية مستبد وفئة غوغائية تعيث في البلاد بالنظام والقـانون

فساداً ... ايها المواطنون الاباة في شتى انحاء جمهوريتنا الخالدة ، لقد عزمنا باسم الله العلي القدير ، وبعد اتفاقنا مع اخينا الزعيم الركن ناظم الطبقجلي قائد الفرقة الثانية ومع جميع الضباط الاحرار في جيشكم الباسل والعناصر السياسية المخلصة على تحرير وطننا الحبيب من الاستبداد ...» لم يتحرك الطبقلجي ورفاقه لانهم اشتركوا بالتآمر مع الشواف على نسف النظام الجمهوري الديموقراطي في العراق . »

كان ابرز ما في هذه القضية موقفان : الاول موقف الزعيم الطبقجلي العنيد المتكبر من المهداوي ، حتى انه كلما هم المهداوي بإهانته والتطاول عليه سارع يسكته وينبهه الى وجوب التزام الاصول والكف عن استعمال الكلام البذيء النابي . واستطاع الطبقجلي حقاً ان يلجم المهداوي ويفرض عليه احترامه ولو الى حد معين .

والثاني موقف الرئيس عزيز احمد شهاب الجريء . فقد كان شاهداً فوضع نفسه موضع الاتهام حين قذف المهداوي بهذه الحقيقة فكاد يقتله لشدة ما اغاظه :
كل افاداتي السابقة عن المؤامرة وذهابي الى سوريا واجتماعي بزعمائها غير صحيحة . اجل كلها غير صحيحة ، وما ادليت بها إلا تحت الضغط والتهديد بتعذيبي حتى الموت . انهم لقنوني الافادة كلمة كلمة . بل انهم مثلوا معي دور السائل والمسؤول حتى اذا مثلت امام هذه المحكمة يكون كلامي مطابقاً لما يريدون . انني لم اذهب الى سوريا ولا قابلت احداً من السوريين بل كانت مهمتي التي اوفدت بها الى الموصل التحقيق في اخبار عن تهريب سلاح من سوريا الى العراق .

كل ما قلته يا حضرة الرئيس كان تلفيقاً حفظته بعد ان عذبوني شر تعذيب . ولعلكم لاحظتم ان الاعياء الشديد كان بادياً علي وانا ادلي بإفاداتي السابقة الملفقة تلك امامكم وانتم تسجلون ... لقد اصابوني من شدة التعذيب بعطل في كتفي وكسر في اصابع قدمي ما زلت اعرج بسببه . وان تحت ثيابي لندوباً وآثاراً لو اردتم لأريتكم اياها ، وهي خير شاهد على ما اقول .

وعبثاً حاول المهداوي ان يحاوره ويداوره لاحراجه وجعله يرجع عن

اقواله ، فقد اصر اصراراً قاطعاً على ان افاداتــه امليت عليه بعـــد التعذيب والتهديد بمتابعته حتى الموت ، قال : رآني فاضل الشقرا ، كما شهد امام المحكمة، كيف كنت مغشياً علي وسمعتم مــا ردده من اقوال الجلادين وهو : ولك شقرا شايف ضابط شو سوينا بيه ، انت مدني ايش راح نسوي بيك ؟

لقد ظلوا يعذبونني حتى قطعوا اصبع قدمي . واناواقف الآن امامكم - وكان ذلك في الجلسة الخامسة والاربعـــين يوم اول ايلول ١٩٥٩ - ورجلي موجودة تستطيعون ان تفحصوها . انني ما زلت اعرج منها .

ولكن المهداوي لم يفحص قــدم عزيز شهاب . كيف يفحصها وفيها دليـل دامغ يكفي وحده لنسف كل اجراءات محكمته وكل اسانيدها . واكتفى بارسال نكتة سمجة حاول ان يبدل بها الجو ولم يضحك لها ، حتى من نظـــارته ، الا قليلون . قال :

- اذا كانوا قد أملوا عليك الافادة حقاً رددها الآن .

- كيف اردها وقد مضى عليها اربعة شهور كاملة ؟

المهداوي - كيف تقرأ المحفوظة في المدرسة ؟ هل ذاكرتك ملتــوية ايضاً ؟ اخرج !

قال المهداوي عند بدء محاكمة الطبقجلي ورفاقه : انني في هذه المحكمة اصر على ايجاد السبل لاظهار حقيقة التآمر وابراز دور المتـــآمرين كل على حـــدة وبمجموعهم . ولا يهمني ان كان المتهم من معارفي او كان صديقـــي ، حتى ولو كان شقيقي . فمصلحة الشعب فوق الجميع ! ان محكمة الشعب لا تحيد عـن الحق قيد شعرة ولا تلتزم إلا العدل ، ولا تعمل الا بالانصاف ولا ترضـخ الا لمصلحة الشعب . اما التطبيق والتنفيذ فللزعيم . ولكل امة زعيم ، وزعيمنـا عبد الكريم .

وهنا كادت المحكمة تطير بمن فيها لشدة مـــا ارتفع من هتـــاف وصراخ وتصفيق .

واستطرد المهداوي يقول:اما الزعامة فعليها ان تأمر وعلينا ان نطيع مادمنا

قد آمنا بزعامة زعيمنا العظيم، وبأنه زعيم شعبي ديموقراطي حكيم مخلص وطني قومي انساني حقيقي غيور . اننا لا ننسى فضله في تنفيذ الثورة في بضع ساعات والقضاء على الحكم الاستعماري الذي كان على رأسه نوري السعيد، نوري الذي كان يقول : لم يخلق بعد من سيقتلني ، بينما اشترك سبعة ملايين في قتله .

فهل هذا الفتى الذي انجبته بغداد يجوز لخونة متآمرين ان يفكروا ويعملوا للتآمر عليه وعلى جمهوريته ؟ ان في ذلك لخيانة وجريمة لن تغتفر . اما تخرصات المتخرصين واشاعات المغرضين فسوف يدوسها الشعب بأقدامه ! فليدعوا ان لا دخل لهم في مؤامرة الموصل وهذه الوقائع تدينهم وتثبت تآمرهم ...

– احمق ! (مخاطباً الرئيس عزيز احمد شهاب) تكلم عن مؤامرة الموصل اعطنا الحقائق ، اعترف ! كنتم تريدون ان تصبحوا حكاماً ووزراء .

صفا لك الجو فبيضي واصفري ونقري ما طاب لك ان تنقري

(هذا بيت قاله الشاعر في القبره لمّا طابت نفساً وصفا لها الجو) .

شهر واحد احترمتم فيه وتفضل الزعيم باتخاذ الاجراءات القانونية الفورية ومنع كل ايذاء عنكم ، فاذا بكم تتنكرون للجمهورية والزعيم .

لم تذهب الى سوريا ... لا تعلم بالمؤامرة (متابعاً تقريعه للرئيس عزيز شهاب وسخريته منه) ولا ارسلك الطبقجلي الى الموصل ، ولا ذهبت الى السراج ... ذهبت الى الموصل لاخذ دجاج ! (على الوزن ، فالوزن يحبه المهداوي ولكن في صف الكلام ... دون سواه !)

كان المهداوي متضايقاً من تكتل المتهمين عليه وانتقاد بعض الصحف غير الشيوعية موقفه ولو من طرف خفي. لقد شعر بعد ازمة كركوك واثرها الشديد في النفوس ، بوحشة تجلت في بعض كلماته وملحوظاته : على الزعيم ان يأمر وعلينا ان نطيع ... علينا ان نقاضي ونعدل في المحاكمة وللزعيم التطبيق والتنفيذ . لكل امة زعيم وزعيمنا قاسم .

هكذا راح المهداوي يستجدي الايد من الزعيم حتى جاءه في تلك العبارة الشهيرة : « اؤيد كل حرف يتفوه به المهداوي » فتنفس الصعداء واستعاد كل

شجاعته وكل عنفوانه وطغيانه : خونة انذال متآمرون ! اسكت ! اخرس ! كذاب ابن كذاب !

اما الزعيم فهو المفدّى . انني تلميذ من تلاميذه ، لفظة من لفظاته ...

ثم راح المهداوي وماجد امين يتبادلان التهاني بتجديد الزعيم ثقته بها وبمحكمتها . قال ماجد امين : « تقدم هيئة الادعاء العام تهانيها الخالصة لهيئة المحكمة العليا العسكرية وشخص رئيسها المحبوب على ثقة الزعيم الاوحد والرائد الشريف للقومية العربية .

اما اولئك الذين يملأون الارض ضجيجاً بالتباكي على العروبة الضائعة في العراق ، وعلى العدالة التي اغتيلت في « محكمة الشعب » ، وينعتون المحكمة ورئيسها وهيئة الادعاء العام بمختلف النعوت ، فإنهم خونة مرتزقة عملاء استعمار جبناء حمقى مجانين ... »

هكذا يدفق سيل الشتائم دفقاً من ماجد امين فكأنما يحاول ان يبزّ سيده ومعلمه الفاضل المهداوي !

وقاطعه المهداوي يختم حديثه كيلا يطول ليدلي هو بدلوه ، وصاح : المأجورون ، يريدون ان يقدموا العراق لقمة سائغة للطامعين ، كأنها ملك اجدادهم من رعمسيس الى توت عنخ امون !

وانتقل المهداوي يطري عبد الكريم قاسم وينقده ثمن تأييده فيقول : عبد الكريم قاسم ، زعيم البلاد ، عراقي عربي مخلص ... انه وطني . لا ينتمي الى اي حزب من الاحزاب . انه زعيم الشعب العراقي يعمل في خدمته ليل نهار . انه لا ينام الا ساعتين او ثلاث ساعات ، ولا وقت له حتى لتناول الطعام . اننا لم نكذب ولا يكذب احد من المخلصين في هذه الجمهورية الخالدة . يقولون عنا : انظروا الى هؤلاء كيف يقومون بالدعاية . والجواب ان لزعيمنا العظيم اعمالاً جليلة تغنيه عن الدعاية . خدماتنا هي دعايتنا !

بأي حق يريدون فرض اقالة الوزارة وتشكيل مجلس سيادة ؟

(من التهم الموجهة الى الشوافيين فرض تشكيل وزارة جديدة ومجلس سيادة

جديد) انهم الآن ينكرون ما اعترفوا به في الامس. وانا اكرر عليهم: النجاة في الصدق. ادخل قفص الاتهام (مخاطباً عزيز احمد شهاب الذي جاء به شاهد اثبات فلما لم تناسبه شهادته ادخله هو واثنين آخرين قفص الاتهام بعد ان اعلنا ان إفاداتها السابقة كانت تحت الضغط والتعذيب، وهما العقيد ابراهيم علي الكيلاني، والمقدم يوسف عطار باشي ...)

تطرق الموضوع في الجلسة السادسة والثلاثين بعد المائة في اواسط آب ١٩٥٩ الى العرب والاكراد فقام المهداوي يدافع مرة اخرى عن الاكراد، ويهتف: عاشت الاخوة العربية الكردية، فيردد الجمهور هذا الهتاف بعده.

قال: «وهناك مليون وربع من الاكراد ينتظرون خارج العراق للمجيء إلينا، ان الاكراد اخوان لنا اعزاء، انهم جزء من هذا الشعب الذي لا نفرق فيه بين كردي وعربي واشوري وتركماني. اما جمهوريتنا فهي حرة مستقلة ذات سيادة، كما يقول دستورنا بوضوح، والعراق جزء من الأمة العربية وهو وطن مشترك بين العرب والاكراد. فما بال الاستعمار يدس بيننا؟ فتش عن الاستعمار. الاستعمار ثور ابن ثور وكل من يخدمه حمار ابن حمار»!

«خوش معاني» على حد قول اخواننا العراقيين، وخوش الفاظ! والمهداوي قلما يهتم باختيار الألفاظ والمعاني، وكثيراً ما يخونه عقله ويسبقه لسانه.

كانت الصحف عربية واجنبية يومذاك تتحدث عن حمام الدم الذي يغتسل به العراق منذ الثورة، وتقف مشدوهة امام اساليب المهداوي في محاكماته واحكامه. فقال يهاجمها: والآن اتطرق الى موضوع الصحف الاجيرة الحقيرة في ما تسف اليه وما تنحط اليه وما تنشره من اباطيل واخبار في صالح الاستعمار. استمعوا الى هذا الخبر من احدى صحفهم بعنوان حمام الدم. هؤلاء الصحافيون يجتمعون في بار فندق السان جورج في بيروت حيث يتلاقى جميع المراسلين الأجانب، ومن حول اقداح الوسكي يتبادلون الاخبار ويفبركون الأنباء ويرسلونها الى صحفهم. ومنذ بداية تموز استقبل هؤلاء المراسلون ضيفاً جديداً طردته حكومة العراق لانها اعتبرته خطراً على الأمن، وهو المستر براون مراسل الدايلي

مايل البريطانية . قال: يتوقع ان يشهد العراق في ١٤ تموز حماماً للدم ، وان يقيني بذلك مستمد من الوقائع التي شهدتها في العراق. وفي ذلك اليوم كان الخبر ذاته منشوراً في جريدة « الكفاح » القومية العربية من اهل الاستعمار والخزي والعار (المعذرة من الزميلة) والى غير ذلك من هذه الاخبـــار التي تنشرها الصحف الاجيرة الحقيرة ولا تعلق عليها ولا تقول حتى انها صادرة من رجال مستعمرين متسترين بشكل صحافيين وهم في الحقيقة من الجواسيس الحقـيرين . وكم من الصحافيين كانت اسماؤهم مسجلة في دوائر التحقيقات الجنائية ولا تزال محفوظة لدى الزعيم . ولكن الزعيم يرخي الحبل لمثل هؤلاء الصحافيين لأنه يعتقد بأن هذا الحبل سيخنقهم .

ان بعض الصحافيين الذين يخدمون الاستعمار يشربون الحشيشة ويتعاطون هذه العادة الذميمة التي ندر ان يتعاطاها عراقي ، واذا ما تعاطاها فهو حقـير لأن العراقيين يشربون حليب السباع ! لذلك يعيشون مع صحفهم وسط الدخان الازرق ، دخان الحشيشة على ما اظن . واظنه ايضاً نتن الرائحـة ، ويكتبون حسبما يصوره لهـم هذا الدخان من امور الدنيا والسياسـة . مجرد نفس جيغاره وسلام على القوميـة وعلى امبراطورية من المحيط الى الخليج وغـير ذلك مما في العريش ...

حمامات الدم ! سخفاء بلهاء ! كم اذاعة تهاجموننا بها ? اذاعة صوت العرب او صوت الغرب ، اذاعة دمشق ، اذاعة حلب اذاعة العراق الحر ، اذاعة صوت العراق الحر وغيرها ... ست اذاعات تحمل علينا وتتضامن مع الاستعمار فتستعمل مصطلح «حمامات الدم» .

وانتقل المهداوي الى خصوم الثورة العراقية والمتآمرين عليها فقال : حقيقة هؤلاء ليست التمسك بالقومية ، بل انها الحنين الى ما اضاعوه في العهد المباد من الثروات الفاحشة والارباح الحرام . انهم يحنون الى دوائر التجسس للاجانب وقد اصبحوا الآن يعيشون حياة لا يرضونها ، بينما لو استيقظت ضمائرهم لادركوا ان الحياة بالخبز والبصل في الشرف والغيرة والكرامة خير من الحياة في «الكيك»

والعسل نتيجة التجسس وخدمة الاستعمار... علينا ان نتحرر من الانانيـــة ـ الحياة فانية زائلة ولا يبقى سوى الذكر الحسن .

وعرضت بعد حين في الجلسة ذاتها مسألة تتعلق بالتعصب الديني فقال المهداوي مناقضاً نفسه : التعصب الاعمى لا يقره الاسلام . « لكم دينكم ولي دين » ولو رجعنا الى بطون التاريخ لرأينا ان الدين الاسلامي والدين المسيحي خـاصة كانا متآخيين ولا يزالان بهذا التآخي الجميل الضروري للحياة. ثم ان اخواننا المسيحيين الكرام جاهدوا معنا في مراحل كثيرة من مراحل كفاح امتنا، واخص بالذكر اخواننا اللبنانيين المسيحيين وغيرهم من ابطال العروبة المسيحيين الذين ضحـوا بنفوسهم لتحرير وطنهم .

ان التعصب العنصري الاعمى هو الذي اودى بالدولة العثمانية وجعل « الرجل المريض » (لقب مشهور للدولة العثمانية) يلفظ انفاسه الاخيرة بسهولة حتى دالت وذهبت ريحها . علينا ان نكافح التعصب الأعمى في كل شيء وخاصـة في الدين والعنصر والمبدأ .

وعاد المهداوي يتحدث عن حملات الصحف فيقول : اننـــا نقرأ في بعض الصحف ان قاسم شيوعي وفي بعضها الآخر انه انكليزي . ثم نقـرأ في صحف اخرى انه صهيوني ويتراسل مع بن غوريون ويقبل مندوباً عـن اسرائيل بكل اعتزاز في مؤتمرات تعقد في العراق . الى هذا الدرك الاسفل وصلوا ! قالوا انه نوري سعيد الكرملين. هل زار عبد الكريم الكرملين حتى الآن ؟ من الذي خطب في الكرملين وقال : انني شهيد الوفاء للاتحاد السوفياتي؟ نوري سعيد الكرملين يا خواجا ؟ يا ناكر الجميل ؟ هذه قشمره لا دولة !

اما مؤامرتكم في الموصل فقد شهدتم مصرعهـــا وأي مصرع ، وكان اللواء قاسم مطمئناً الى نهايتها كل الاطمئنان . فقد نام في تلك الليلة قبل وقته المحدد في ذلك الحين اذ كان ينام في الساعة الرابعة او الخامسة صباحاً ، فنام في الساعـة الثانية . وقال : انام مبكراً وعند الصباح ينتهي كل شيء ، فسوف يـتم القضاء على هذه المؤامرة التي يقوم بها الخائن السخيف.. وبالفعل تلقينا بعد ساعات نبأ

مقتله وسحله في شوارع الموصل ، وكنت انا اول من بشر الزعيم بذلك فرأيته يفتح عينيه كالاسد ! (قاسم كما هو معلوم نحيل الوجه والجسم صغير العينين) ويقول : «هذا ما يجب ان يكون» .

وقد كان لقضية فلسطين نصيب في بعض خطب المهداوي وتعاليقه . قال في الجلسة السابعة والثلاثين بعد المائة ، وقد انصرفت الانظار الى تقرير امين الامم المتحدة العام داغ همرشولد المتعلق بتوطين اللاجئين ودمجهم في حياة الشرق الاوسط الاقتصادية :

« فلسطين ارض عربية اسلامية مقدسة شرد بنو جلدتنا فيها وصاروا لاجئين مشردين يعيشون عيشة البهائم ، مشتتين في الكهوف والصحراء والخيم وفي كل مكان ، يعانون العذاب ، يجوعون وينكل بهم شر تنكيل . ومع ذلك تعمل الجهات الدولية التي تناصر الاستعمار الانكلو-اميركي في سبيل توطين اللاجئين...عجيب غريب ؟ هل هذه هي الانسانية ؟ وهل هذه هي العدالة الدولية؟ كيف يوطن هؤلاء وارض اجدادهم واجداد اجدادهم منذ آلاف السنين قد اسكنتم فيها اسرائيل وجعلتم منها دويلة جسراً لكم في سبيل السيطرة الاستعمارية على الشرق العربي ؟

كلا ! لا يمكن ان يقبل العرب ، والعراقيون خاصة ، اي حل الا بتأمين حقوق الفلسطينيين وإعادتهم الى ارضهم العربية فلسطين التي تغتصبها اسرائيل . دولة اسرائيل المجرمة اللقيطة التي لا صفة شرعية لأحكامها ولما تقوم به تجاه اخواننا العرب في فلسطين المحتلة . انهم ينكلون بهؤلاء المساكين الذين اصبحوا اسرى في ايديهم يسومونهم سوء العذاب ويعتدون على اراضيهم وشرفهم وكرامتهم . الا بئس ما يفعلون واننا الى فلسطين لعائدون !

وهكذا لم يترك المهداوي حق فلسطين دون ان يجعلها عكازاً لدعايته ومطية لأغراضه ودون ان يتاجر بها امام الجماهير ليحاول اجتذابهم بسحرها وسحر اي حديث عن نكبتها .

وظل المهداوي يتنقل من محاضرة الى محاضرة ، ومن تعليق الى حديث ،

حتى مضى ثلاثة ارباع الجلسة دون ان يدخل في صلب الموضوع الا لماماً . اسمعه يتحدث عن المرأة في الجلسة ذاتها ، السابعة والثلاثين بعد المائة :

وقت الحبال قد ولّى ... اننا ندعو الى العهد الجمهوري المتحرر ، عهد يدعو الى التقدم الاجتماعي في كل صوره ، وخاصة بعد ان تحررت المرأة العراقية ، مع العلم بأنني ذكرت سابقاً ان هـذا التحرر قد شمل الذكر والانثى وحررهما من الاستعمار والعبودية والرجعية والاقطاع . ولكن هذا التحرر الذي اخص المرأة فيه بالذات قد برز واضحاً جلياً في المرأة العراقية الفاضلة التي اختيرت لأحـد المناصب الوزارية . وانني اعود بالذكرى الى جلسات محكمتنا الاولى التي دعوت فيها من على هذا المنبر الى تحرر المرأة من التقاليد البالية المضرة ، وجعلها تشعر بمكانتها اللائقة بها في مجتمعنا ، المجتمع الذي تنور بالمرأة العراقية سواء بما وصلت اليه من مراكز مرموقة او مشاركتها الرجل في الاعمال المفيدة منذ انبثاق الثورة.

لذلك أكرر دعوتي الى اخواتي المواطنات الفضليات بوجوب العمل المستمر في بعث النهضة الوطنية التحررية في هذا العهد ومساندة بنات جنسها من النساء العراقيات اللواتي يرزحن تحت اعباء الفقر والجهل والمرض . فعلى المرأة المثقفة ان تساهم في مكافحة الامية ومقاومة الامراض الوبيلة ، سواء في المـدن او الارياف او غيرها من الجهات العراقية في الشمال والجنوب والشرق والغرب .

وفي الجلسة الحادية والاربعين بعد المائة القى المهداوي محاضرة في المتهمين عن الصدق والكذب قد تكون اسخف فلسفاته اطلاقاً : الصدق زين والكذب شين ! بهذا المعنى البسيط وعلى هذا الموضوع البدائي المعروف من قبل آدم ، راح الفاضل التقي النقي الورع يلف ويدور حوالي نصف ساعة ، قال :

النجاة في الصدق وان صفة الصدق الحميدة صفة تجعل من الانسان شخصاً فاضلاً محترماً . والانسان عرضة للخطـأ والزلل . ولكن على الانسان الذي يخطىء ان يعرف مواطن خطأه . فإذا عرف هذه المواطن عليه ان يركن الى اصلاحها . وان اهم صفة (يريد ان يقول نقيصة) هي صفة الكذب . وعلى هذه الصفة تتركز اشياء كثيرة قد تؤدي بالانسان الى مصير مؤلم . وكما يترتب على

الانسان الصادق او الكاذب من فضائل او رذائل يترتب كذلك على الناس الصادقين او الكاذبين . وكذلك يترتب على الفئات والجماعات والجماهير والشعوب ، وكذلك يترتب على الدول والحكومات والمؤسسات ، الى غير ذلك مما اوجده البشر في حياته السابقة والحاضرة وسيوجده في المستقبل . وبطبيعة الحال ان فضيلة الصدق خير ضمانة لسعادة الانسان وجعله عضواً نافعاً صالحاً في المجتمع الانساني » .

بخ ! بخ ! فلسفة الصدق والكذب لفاضل عباس المهداوي !

قال يمدح نفسه ومحكمته : « اننا نتحدى المستعمرين والطامعين والسائرين في ركابهم من اذنابهم الموتورين ان يجدوا لنا ولو شيئاً قليـلاً من الكذب او حادثة واحدة كانت كذباً او شيئاً مخالفاً للحقيقة والواقع .

في تلك الجلسة ذاتها جيء بالمحكوم بالاعدام فاضل الشقرا ، قبل بضع ساعات من شنقه ليتلو رسالة يسحب فيها افادة سابقة ادلى بها عن تهديد من المحققين بتعذيبه حتى الموت ان لم يدل بإفادة تدين الضباط وعلى رأسهم احمد عزيز شهاب . وقام عزيز شهاب يتحدث عن تعذيبه وكيف ربطوا يديه بخيط شديد وجروه حتى كادوا يحزونهما ويكسرونهما ، وسال الدم منهما . وكأنما زاد الحديث رئيس المحكمة لؤماً وجبروتاً فراح يهزأ بالضباط ويقول :

– سحبوا القيطانة ؟ سال الدم ؟ انت شفت الدم ؟ هـذا الدم المسفوح ؟ الدم العنقودي (ضحك في المحكمة) .

عزيز احمد شهاب – رآني فاضل الشقرا مغشياً علي . اسألوه .

المهداوي – هل رأيت حقاً ؟

فاضل – نعم كان ملقى على الارض لا حراك به ...

وسكت المهداوي ، وقلما يسكت المهداوي !

الانحـــدار

بدأ فاضل عباس المهداوي بالانحدار من اوج امجاده بعد حوادث كركوك .
وكأنما جاءت تلك الحوادث الدامية الرهيبـــة تضبط من اعصابه وتخفف من غلوائه وتكسر من شوكته وهو المتصل اتصـال حياة او موت « بالفوضويين » ابطال المجزرة الذين شهّر بهم عبد الكريم قاسم واستنكر فعالهم وحـذرهم من سوء المصير .

بدأ نجم المهداوي في الافول بعد ان بلغ أشد لمعانه في قضية العقيد جميـــل الخشالي ورفاقه . كان يقول : محكمتنا حرة مستقلة لا سلطان لأحد عليها ، فإذا به يقول : انا تلميذ من تلاميذ عبد الكريم قاسم .

كان لا يخفي تذمره بين الحين والحين من بقاء احكامه دون تنفيذ ، واحب ما اشتهاه ان يشنق احد كبار الرؤوس التي سيقت الى محكمته من رجال العهـــد الماضي او رجال ما بعد الثورة ، فاذا به بعد حوادث كركوك واثناء محاكمة القافلة الاخيرة من المتهمين بعصيان الموصل يقول : لنا الحكم وللزعيم التنفيذ ... انه الزعيم الذي آمنا به فعلينا ان نطيعه .

كان يتحدث مرة عن الزعيم ويتحدث عن نفسه مرتين ، فأمسى يقول : انما انا جندي من جنود عبد الكريم ... انا لفظة من لفظاته !

كان يبارك القتل والسحل باسم الغضبة الشعبية وارادة الشعب، فصار يقول: مضى زمن السحل ! لا حبال بعد اليوم !

كان يزبد ويرعد ويشق صوتـــه عنان السماء ، فامسى يصاب بالبّحة ويمص اقراص السوس وغير السوس ، وقد بحّ صوتـه مرتين في اقل من اسبوعين ، ولم

تنفع في علاجه كل شتائمه وكل حملاته على الذين تشفوا منه فأعلنوا الخبر في صحفهم بالحرف العريض !

كان يستخدم الهاتفين والمصفقين من زبائن محكمته في الدعاية لعبد الكريم، وتحية عبدالكريم ، فغدا بحاجة الى ان يسنده عبد الكريم حتى قال كلمة التأييد المشهورة : «انني اؤيد كل كلمة يقولها المهداوي».

كان يتبرم بقصائد النظارة وبعض هتافاتهم وكلماتهم : «اسكت اريد ان اكمل ... اقعد لا تقاطعني » فصار يحتاج الى هؤلاء النظارة ليتظاهروا له عند دخوله وعند خروجه ، ويهتفوا بحياته في مطلع الجلسة وعند ختامها .

كان يكتفي من مناصريه ومدمني قاعته بالهتاف والتصفيق وبعض عبارات التأييد، فصار بحاجة الى أناشيد ينشدونها جماعة في مدح المهداوي ومحكمته .

كان يصيح بالمتهمين فيسمرهم في القفص ، فلما تجرأ بعد جلستين او ثلاث جلسات وصاح بالطبقجلي متردداً : مجرم ! خائن ! رد عليه الطبقجلي : لا تتطاول علي ! ارجو ألا يستعمل الرئيس كلمات نابية .

كان يأتي بالشهود فيشهدون له بما يريد ، فلما جاء بشهود الادعاء في قضية الطبقجلي ورفاقه خذله ثلاثة منهم بالاقل ، وسحبوا إفاداتهم السابقة معلنين انها من نتاج الضغط والكبت ومن تأليف وتنسيق هيئة التحقيق بمعونة هيئة الارهاب والتعذيب .

كان يخرس المتهم اذا اشار ولو اشارة الى الضغط في التحقيق ، فصار يتحدث عن اجراءات اتخذت لوقف التعذيب ومعاقبة المعذبين بعد ان وقف الزعيم الاوحد على جلية الامر وامر بالكف عنه .

ولقد شدد اعدام الستة الشقرا وداود ورفاقها قليلاً من عزيمة المهداوي فعاد يحاول استرداد سابق امجاده . الا اننا ما لبثنا ان سمعناه يتحدث عن احتمال انتهاء محاكمه بعد شهرين وهو القائل ذات عهد : انني فخور بهذا المنصب ولا اطمع في غيره من المناصب وسأظل فيه اخدم الشعب حتى النهاية !

قال في محاضرة عن تاريخ الشرائع والبشرية ، في الجلسة الثانية والاربعين

بعد المائة ، كأنما يدين بها نفسه ويتحدث عن قوته واستبداده :

« ولكم في القصاص حياة ... »

قبل ان اشرع بمناقشة المتهم إفادته ، ارى من المناسب ان اتطرق الى القوانين والشرائع في المجتمع البشري منذ وجد البشر على كوكبنا الارضي ، فأقول : ان من يقرأ الكتب على اختلاف مواضيعها ، سواء أكانت دينية ام علمية ام تاريخية ام قانونية ام عسكرية ، يجد انها تشير الى تشكيل الناس جماعات سواء القبيلة او الاسرة او العشيرة ، الى ان تمكن البشر من ايجاد نظام يعيش فيه بصورة تؤمن له الحياة المستقرة التي تدنيه من الرقي رويداً رويداً .

ومن المعلوم ان البشر وجد على سطح المعمورة من تاريخ قديم طويل لا يعرف مداه المؤرخون الا بالحدس والتخمين . فالعلماء والمؤرخون قدروا عمر الخليقة بمدد متفاوتة ، فمنهم من يقدرها بآلاف السنين ومنهم من يقدرها بمئات الالوف او عشراتها ، ومنهم من يصل به الحد الى تقديرها بملايين السنين كما قرأت للاستاذ الطبيب الكبير الفاضل الدكتور نقولا حداد . وانني اذ ادخل هذه التوطئة للبحث بوجود القوانين والانظمة للردع عن الجرائم ، يخطر ببالي انني قرأت كتاباً ادبياً نفيساً رائعاً خالداً للكاتب الروسي الشهير ديستوفسكي « الجريمة والعقاب » وذلك قبل ربع قرن اي في اول شبابي . وقد شاهدت ايضاً شريطاً سينمائياً لهذه الرواية الكبرى واظن ان بطله هو بول موني . وقد اعدت قراءة هذا الكتاب قبل بضع سنين فوجدت ان هناك صراعاً بين البشرية على الخير والشر ، والحق والباطل : العدل والظلم ... هذه الامور بطبيعة الحال هي التي جعلت البشر يفكر بان يجد القوانين التي يحيى بموجبها والتي تسهل له الحياة المثلى التي تؤمن له الاستقرار والهدوء والكيان الشخصي المحترم .

ولكننا لو قرأنا الكتب التاريخية الاخرى واخص منها بالذكر كتب الحروب العسكرية القديمة والحديثة لوجدنا ان البشر ، رغم تفكيره بهذه المواضيع ، قد انساق كذلك في طريق تحكم فئة او فئات ظالمة لا رحمة لها ولا شفقة ادت اعمالها

الى القتل والنهب والسلب ، سواء أكان لهذه الافعال حق او باطل او دافع او لا دافع .

الخلاصة ان الآية الكريمة التي افتتحت بها هذه الكلمة « ولكم في القصاص حياة ... » قد اوجزت معنى القصاص الذي يوجبه القانون ، اي ان ما يترتب على الجريمة من عقاب هو في سبيل الحياة .

ولقد عنى المهداوي بالقصاص ما انزل بالستة الذين اعدموا يومذاك تنفيذاً لاحكام محكمته .

قال يجيب الناس بالمحكمة : ان محكمتنا اعزّ ما نعتز ونفخر به . انها مكسب من مكاسب ثورة ١٤ تموز الخالدة ، انها اصبحت محبوبة الشعب . وبما انني اقدس الحبّ ، سواء أكان بين الافراد او الشعوب او الامم ، او بين الشعب والزعيم ، والمحكمة والشعب ، والشعب والمحكمة ... اقول ان الكلمة التي اعتزّ بها هي حب الشعب للمحكمة ، فانه يكفيها فخراً وشرفاً وذخراً الى النهاية .»

وقال عن البحة في صوته : اخذت بعض الصحف الراونترية ، سواء في القاهرة او دمشق او بعض الصحف التي تصدر في بيروت ، مشعل الحرية الفكرية ، بيروت التي احنّ اليها حنين المرضعات للفطيم ، هذا الثغر الجميل الذي شعت انواره الفكرية على البلاد العربية من اللبنانيين العرب المفكرين امثال عمر فاخوري وغيره من المفكرين الشرفاء الاحرار ... ان بعض هذه الصحف تحدثت عن البحة في صوتي ... كأن في ذلك معرّة او مأخذاً . والحقيقة ان الاطباء ينصحونني بالاستراحة الطويلة ولكنني نذرت نفسي للشعب وخدمة الشعب !

اما الطامعون فماذا يريدون ؟ ماذا يريد المأفونون المأجورون المشعوذون الدجالون المجرمون الملطخة ايديهم بدمائنا الطاهرة المباركة ، سواء في لواء الموصل او غيره من ألوية العراق ؟ لا يضيرنا نعيق الغربان ...

اتهموني بانني حررت رسالة الشقرا الى المحكمة وطلبت اليه ان يتلوها في في المحكمة ووعدته بالعفو ؟ هل المهداوي جمال عبد الناصر ليأمر وينهى ؟ هل هو هتلر ؟ هل هو موسوليني او غيره ؟ ما المهداوي الا رئيس للمحكمة العسكرية

العليا الخاصة ، محكمة الشعب .

وارتفعت الهتافات في القاعة للمهداوي حتى صمت الاذان ثم هدأت فتابع المهداوي حديثه ، وقال : انما المهداوي خادم الشعب والجندي المخلص المطيع للزعيم الامين .

وهنا خان المهداوي صوته مرة اخرى فصاح بصوت كالفحيح : انهم يكذبون ولا يتورعون ... وخيانة صوتي وهذا الماء المالح الذي أشربه (شرب ماء مالحاً بأمر الاطباء من اجل صفاء صوته) ليس ذلك عيباً . اما هم فانهم يكذبون ولا يستحون !

ثم صاح المتهم الرئيس داود خليل : عذبوني لأقول ما يريدونني ان اقوله . استعملوا الفلق وهددوا باستعمال خازوق !

وحاول المهداوي ان يتكلم فخرج الصوت همساً وفحيحاً ، وتضايق فرفع الجلسة ! فلما عقدت الجلسة التالية كان المهداوي قد استعاد صفاء صوته فقام يجرّبه ويصول ويجول فيتحدث عن الخلايا الشيوعية ويسميها خلايا الشهد والعسل وتكاد هتافات النظارة ، وتسعة اعشارهم شيوعيون ، تمزق القاعة . شهد وعسل... خلايا الشيوعيين تماماً كخلايا النحل ، عمل وجد واجتهاد وخدمة لمصلحة الشعوب ومحاربة للاستعمار عدو الشعب . اما الذين يطبلون ويزمرون فلا نأبه بهم ، فهم كالكلاب بل هم كالقردة الخاسئين ! بل الحيوانات افضل منهم لأن لا ذنب لها سوى انها خلقت هكذا ، بينما الانسان خلق ليكون اخاً للانسان لا يعتدي عليه ولا يخدم من يحتل ارض وطنه ويستبد به .

قال المهداوي عن استئناف الحياة الدستورية في العراق واقامة مجلس امة يطمع المهداوي بأن يحتل مقعداً فيه : يسألني البعض : لماذا لم توضح واجبات ابناء الشعب في تهيئة انفسهم واستعدادهم للحياة الجديدة في جمهوريتنا الخالدة بعد يوم ٦ كانون الثاني ١٩٦٠ . وجوابي ان عمل كل مواطن في العراق له عقل وبصيرة ان يهيىء نفسه لحياته الديموقراطية الصحيحة اولاً بالاخلاص الحقيقي ثم بالنزاهة والاستقامة . اما المقدرة فعليهم بالعلم والثقافة الحرة ، فلا مكان للجهلاء

في حياتنا السياسة المقبلة ، فحياتنا بالمثقفين الاحرار ، بالعاملين الخبراء .

كانت الضجة يومذاك كبيرة على شنق فاضل الشقرا مذيع محطة الموصل . وقالت اذاعة « صوت العرب » ان فاضل الشقرا ذهب الى المشنقة وهو خائر القوى من شدة العذاب وعموده الفقري مكسور . وقد تولى المهداوي الردّ على ذلك في جلسة اول ايلول ١٩٥٩ . الخامسة والاربعين بعد المائة فقال :

« ماذا يقول نقيق ضفادع النيل ؟ يقول صوت الغربان(كذا) الذي اخذ يتشدق بالمعلومات الخطيرة الفطيرة (ضحك) التي تصدر عن مصادر حقيرة اجيرة صغيرة ، ان المجرم فاضل الشقرا استقبل المشنقة وهو معذب ، حتى انه لم يتمكن من السير. فهل هذه ملحوظة تستحق الذكر ايها السخفاء ؟ ان نتيجة كل متآمر خائن هي الموت . اما كيف يستقبل هذا الخائن الموت فهل نحن مسؤولون عن ذلك ؟

ان الخونة المجرمين لا يستقبلون الموت بشجاعة. وانما يستقبله بشجاعة اولئك المناضلون الشهداء والشجعان كالأسود في عرينها ، من اجل وطن خالص حرّ . انهم من امثال العريسي ورفاقه من احرار لبنان الاشم واحرار سوريا البطلة لا الذين يتآمرون على جمهورية حرة مستقلة وعلى زعيم حرّ كريم بطل . وشتان بين من يصعد الى المشنقة وهو حرّ كريم ومن يصعد اليها وهو خائن اثيم . »

لم تكن تلك اول مرة لحق بها المهداوي ضحاياه الى القبر يتابع التجريح فيها ويحاول التشفي منها . ولقد استمرّ في ذلك طول محاكمة القافلة الاخيرة من ضباط كركوك والموصل واربيل يهاجم ويخاصم ، ينصح ويحاضر ، يحارب الاحياء والاموات ...

ولقد فتحت حركة «التجمع العراقي» التي انشأها اللاجئون السياسيون من العراق الى الجمهورية العربية المتحدة وعلى رأسهم فائق السامرائي سفير حكومة الثورة العراقية السابق الى القاهرة ، صفحة جديدة للمهداوي في سفر اقواله وامثاله ، واتاحت له فرصة اخرى لحملاته . قامت هذه الحركة تحمل على الحكم القائم في العراق وتستصرخ ضمائر الامم لمحاولة وقف محاكمات المهداوي، وتستنزل

سخط البلاد العربية على اساليبها في تعذيب المتهمين والتنكيل بمن لم يعدم منهم.

وراح السامرائي ومحمود الدره ورفاقهما يذيعون البيانات عن تسلط الشيوعيين في العراق واثارتهم الفتن في كل مكان، وعن مجزرة كركوك الدامية وبشاعتها. واغتنموا فرصة انعقاد مؤتمر المحامين العرب في بيروت في ايلول ١٩٥٩، فوجهوا اليه البرقيات مطالبين بإعلان السخط على المهداوي ومحاكماته، متحدثين عن مصرع القضاء والعدالة في محكمته، مقدمين بعض انصارهم في المؤتمر للتكلم بلسانهم والتنديد بالمتربعين على دست الحكم في بغداد، وكشف فضائح حكمهم ومحكمتهم.

ولقد كان من اثر هذه الحملة قيام ضجة كبيرة في المؤتمر بلغت حد تشابك المحامين وتماسكهم وقيام المؤتمر وقعوده كل يوم مرتين من شدة عراكهم، حتى انتهى الامر الى التنديد بالمحاكمات غير الشرعية وغير القانونية ولا الانسانية ... ولم يكن الناس في حاجة الى طويل تفكير ليعرفوا من المقصود بهذا التعريض وهذا التقريع.

نزل المهداوي الى الميدان الجديد بكل عدته، يجول فيه ويصول، يطلق حممه على الساسة العراقيين اللاجئين الى خارج العراق ويسمي زعيمهم فائق السامرائي «فاسق» السامرائي و«كيسلنغ العراق». قال يروي قصة كيسلنغ، رئيس الوزراء النروجي المشهور الذي تعاون مع النازيين:

ان من تتبع سير الحوادث والوقائع في الحرب العالمية الثانية التي استمرت قرابة ست سنين، وعلى ما اذكر بالضبط استمرت خمس سنين وثمانية اشهر وستة ايام (المهداوي كما يقول عن نفسه وعن سجلات وقائع محكمته انسيكلوبيديا...) ان من تتبع تلك الحوادث من عسكريين ومدنيين من المثقفين الشرفاء الاحرار يعلم جيداً بظهور بعض الخونة لشعوبهم وامهم واوطانهم لاسباب كثيرة كالطمع واللؤم والتعصب الاعمى والفساد الى غير ذلك من الرذائل التي يبتعد عنها كل انسان فاضل حر شريف عالم متحرر ... (هكذا يوزع المهداوي الصفات دون حساب وينثرها دون تمييز ...)

« ولقد ظهر في النروج خائن مشهور هو كيسلنغ ... كيسلنغ الذي تعاون مع الغزاة ضد ابناء شعبه. وقد ابى هذا الشعب الاحتلال الاجنبي الفاشتي الدكتاتوري ، ذلك الاحتلال النازي الذي خيم على اوروبا بضع سنين الى ان اتحدت القوى المناوئة للمبادىء الدكتاتورية ، مبادىء البغيضة والعنصرية المقيتة والتعصب الاعمى الكريه ، فتمكنت من دحر قوى الشرّ ، وكان القدح المعلى في ذلك لجيوش الاتحاد السوفياتي (وهنا ضجت القاعة بتصفيق طويل لعلّه اطول ما عرفته القاعة المهداوية العنترية) التي كافحت كفاحاً مجيداً وناضلت نضالاً مشرفاً في الحرب الطاحنة ضد الغزاة من النازيين والذين لحقوا بهم من شذاذ الآفاق في الجيوش الاوروبية الرجعية ... الى ان انتهت الحرب العالمية الثانية بتحرير الاقطار الاوروبية من الاحتلال النازي . »

وامعن المهداوي في الخروج عن الموضوع وتوسيع الافق ، فمضى يتحدث عن مرحلة ما بعد الحرب واحداثها الدولية وتاريخها كي يدخل فيها تاريخ نشوء « محكمة الشعب » واعمال محكمة الشعب ويفتح لها صفحة في التاريخ..او ليس هو القائل : « لقد دخلت التاريخ واصبحت محكمتي مخلدة يتردد اسمها على كل شفة ولسان » ؟ قال متابعاً خطابه، وكان ذلك في جلسة السادس من ايلول ١٩٥٩:

« ... قلت انتهت الحرب العالمية الثانية بتحرر الاقطار الاوروبية من الاحتلال النازي ، ثم بدأت المفاوضات والمحادثات والتكتلات بين كتلة غربية وكتلة شرقية . وبعد مدة وجيزة اخذت بعض الاقطار المحبة للحرية والسلام تعمل على ايجاد كتلة ثالثة عرفت بكتلة « الحياد الايجابي » وعلى رأسها الهند... الى ان عقد مؤتمر باندونغ الذي اشترك به العراق ، عراق العهد الماضي ، الذي كان الاستعمار يهيمن عليه والذي مثله فاضل الجمالي . وقد حاكمته محاكمتنا هو وامثاله قبل شهور محاكمات تاريخية عرف القاصي والداني خلاصتها وفحواها كما حاكمت سائر المشتركين بالمؤامرات العدوانية وابدأها بالمؤامرة الكبرى على القطر العربي الشقيق سورية الحبيبة . ثم حاكمت محكمتنا بعض رجال العهد

البائد لإفسادهم نظام الحكم وأصدرت احكامها العادلة بشهادة الشعب وهو خير شهيد وبشهادة المنصفين من الناس اجمعين إن في الشرق او الغرب.. ثم حاكمت محكمتنا الخونة المجرمين في العهد الجمهوري الزاهر واصدرت احكامها العادلة بشهادة الشعب ايضاً، وهو اعظم شاهد، وبشهادة الناس المخلصين... وان محاكماتنا تذاع على الملأ اجمع في الكرة الارضية، بالمذياع والتلفزيون وتنشر بحرية وكل ذلك يظهر حقيقة محكمتنا وكيف انها عنوان للحقيقة والتاريخ وميزان الحق والعدالة والانصاف، ومعلمة الشعب والموجه الديموقراطي لشعبنا وامتنا والانسانية جمعاء.»

هكذا، بكل تواضع وكل بساطة وكل ديموقراطية، يرتضي المهداوي ان تكون محكمته موجهة الانسانية جمعاء!

وعاد المهداوي الى الموضوع يقول: «ذكرت هذه التوطئة عن ظهور بعض الخونة في العالم، بين الناس هنا وهناك وهنالك ممن تسول لهم نفوسهم الخيانة للاسباب الرذيلة التي ذكرتها في مطلع هذا الحديث، لأصل الى الحديث عن خونة الثورة. لقد فجر زعيمنا الاوحد وقائدنا العبقري ابن الشعب البار اللواء الركن عبد الكريم قاسم ثورة ١٤ تموز على يد الجيش العراقي الباسل، بينما هي في الحقيقة ثورة الشعب كله.

«وانبثقت عن هذه الثورة حكومة وطنية عرفت بحكومة الجمهورية العراقية الخالدة. وقد أسسها قائدنا وزعيم الشعب الأوحد البطل عبد الكريم قاسم (والتصفيق مؤكد كلما ذكر اسم عبد الكريم فكأنك تضغط زراً فينطلق التصفيق حاداً شديداً هادراً) الزعيم الذي وهب نفسه لشعبه ووطنه وللمحافظة على كيان الجمهورية ومكاسب الثورة المجيدة، هذه المكاسب الشعبية التحررية، مكاسب الديموقراطية الحقة.

«غير ان تاريخ الثورات أبى إلا أن يعيد نفسه في هذه البلاد فكانت المضاعفات التي كانت تفاقمت لولا حكمة الزعيم ويقظة الشعب وبطولة الشبيبة العراقية، ذكوراً واناثاً، بل وحرص مجموع الشعب من أبناء هذا الوطن الحبيب الذي

تحرر وشيكاً من السيطرة الاستعمارية والحكم الرجعي ... أبى تاريخ الثورات إلا أن يعيد نفسه حتى في ثورتنا رغم اليقظة والحذر، فتحرك بعض الذين سولت لهم نفوسهم الانقلاب على المبادىء التقدمية والتحررية، وكان بينهم حتى بعض رجال الثورة والذين حسبوا على الثورة وارتموا في احضان الثورة وتعلقوا بأذيال الثورة وتمسحوا ببعض رجال الثورة. ولكن الشعب الذي تحرر والشعب الذي استقل، شعب العراق العظيم الحر المتحرر البطل الشجاع الذكي الوطني الابي القوي (ليقول الناس : يا لطول نفس المهداوي !) باتحاده عرباً واكراداً والقوميات الاخرى، كان لهم بالمرصاد واحبط محاولاتهم .

« من هم هؤلاء الطارئون على الثورة والمنحرفون عن الثورة والخائنون لزعيم الثورة ؟ انهم حفنة من الخونة، اكوام من شحم نتن ولحم دنس (يقصد بكتل الشحم واللحم فائق السامرائي المشهور ببدانته) وقلوب سوداء وعقول حقيرة رعناء وألسنة خاسئة رذيلة، عن الحق خرساء وعن الباطل حمقاء . من هم هؤلاء ؟ انهم حثالة الشعب التي طردها الشعب وثورة الشعب وزعيم الشعب .

« لقد اخذوا يتآمرون ويدسون وينافقون ويكذبون ... يطبلون ويزمرون ويشعوذون ويدجلون، وكل ذلك لم يبق له مكان في هذا الشعب الحر المتحرر . فكيف يمكن لهذا الجنون ان يتقبله الشعب وحكومة الشعب وزعيم الشعب ومحكمة الشعب وجموع الشعب ؟ هل يمكن ان تنطلي علينا الاقوال الفارغة والاكاذيب والمفتريات والقومية المزيفة والوطنية الكاذبة والبكاء المصطنع ودموع التماسيح وهز البطون والرؤوس التي تدس انوفها في الظلام، ظلام المؤامرات والرذائل ؟.. تارة تنوح على العراق وطوراً تنوح على العروبة، واخرى تنوح على الاسلام، وكل ذلك مفضوح في فسقهم وفجورهم ولصوصيتهم ورجعيتهم واقطاعهم واستعمارهم . »

وهنا كاد المهداوي يختنق من فرط ما هدر وشخر في السب والتجريح ... وسعل سعلة عاد بعدها يتابع الحملة بصوته الداوي - المهداوي وصوته الداوي كما يقول عن نفسه على الوزن، أو كما يقول ان بعضهم يقول عنه - فيصيح على

السجع : «انهم دمى الاستعمار وتماثيـــل الرجعية وآلات العبودية وطغـــاة الدكتاتورية وعبيد الفاشية».

«من هم هؤلاء الذين يتكلمون باسم العراق وهم هاربون من العراق ، من شعب العراق ، من زعيم العراق ، من محكمة العراق ؟ من هم هؤلاء الذين يتنطعون للتكلم عن العراق في مؤتمر المحامين المنعقد في بيروت ؟» . وهنا يسبح المهداوي على اجنحة الخيال مرة اخرى . فالاحلام تداعب المهداوي كلما ذكر بيروت ، فيقول : بيروت الثغر العربي الجميل ، ثغر العروبة البسام الذي شعت من منارته انوار الفكر الحر قبل نصف قرن في دنيا العروبة فكان لابناء لبنـــان النجباء الاوفياء الفضل في انارة اذهان الامة العربية ايام كانت تغط في سبـــات عميق نتيجة حكم رجعي وسيطرة امبراطورية عثمانية جائرة اناخت بكلكلها على دنيا العروبة سنين طوالاً فأورثتها الفقر والجهل والمرض ... من هم هؤلاء ؟ لا بد ان المحامين الشرفاء الذين يتكلمون باسم العراق صدقاً لا كذباً وحقيقة لا باطلاً ... لا بـد ان هؤلاء الافاضل يفضحون اولئك الذين يتكلمون عن العراق كذباً وبهتانـــاً ويتهمون محكمة العراق ظلماً ودجلاً وشعوذة . »

وثار المهداوي لما يوجه الى محكمته من نقد وتثريب فهبّ يصيح من على منصتّه وقد اشتدت حركاته العصبية ولاسيما حركة كتفه ويديه : «ان هذه المحكمة صفحة ناصعة واضحة كبيرة ، لا يمكن ان ينكر اشعتهـا الذهبية اللازوردية إلا الحمقى المجانين الذين اعمت بصائرهم الاحقاد والاطماع والشهوات والضغـــائن والرياء والنفاق وخدمة الطامعين والمستعمرين لقـاء دراهم معدودة . فمنهم من تـآمر ، ومنهم من خان ، ومنهم من اجرم ، ومنهم من هرب من جنـة العراق ونعيم العراق وحكم العراق المتحرر الحر الديموقراطي · هـــذا الحكم الذي سيكون نبراساً وسيكون المحامي الأول عن الامة العربية بل عن الانسانية .

ان محكمتنا التي تفتخر بأنها محكمة الشعب ، وايّ شعب ؟ شعب العـراق ، هذا الشعب القهار الذي قهر الاستعمار بين عشية ونهار ، في ثورة ، لا مثيل لها في التاريخ كانت خاتمة الثورات والمظاهرات والانتفاضات والوثبات الوطنية وتمت

على يد الشعب في جيش الشعب وقائد جيش هذا الشعب .»

وهنا شعر المهداوي بأن حديثه استغرق نصف الجلسة فأخذ يتحدث عن الوقت ، ضيق وقته ووقت المحكمة فيقول :

« ... ولولا ضيق الوقت لكنا شرحنا حقيقة هؤلاء المذبذبين الموتورين الخائنين الهاربين من وطننا المفدى ، بالنظر لما نعرفه عنهم من معلومات تخزيهم ، ولكنهم مع ذلك عراقيون ... إلا ان العراق اليوم يتبرأ من أمثالهم ويأنف ان يتكلم باسمه زعانفة وطراطير لفظهم العراق ، وهم اكوام من شحوم ولحوم نتنة ورؤوس قذرة يلفظها شعب البلاد ويأنف رافداه ان يشرب ماءهما امثال هؤلاء الخونة المارقين .»

وكانت الحماسة قد بلغت بالنظارة منتهاها فقام احدهم ينشد قصيدة مطلعها :

فلتنعق البوم في اوكارها زمناً ولينبح الكلب ... الخ .

والنظارة من حوله يصفقون ويدبكون حتى هدأت آخر الامر ثائرتهم وفترت نيرانهم فاستأنف المهداوي حديثه وقال :

«لقد وجد هؤلاء المارقون مأوى لهم في كنف عبد الناصر واخذوا ينعمون بما يجزل لهم من عطاء ، من قوت الشعب . ثم انهم انشأوا لهم مجمعاً استعمارياً اختاروا اقدمهم في الخيانة وابرعهم في التجسس اميناً له وهو فاسق السامرائي . (ضحك وضجيج) »

وضحك المهداوي هو الآخر وقال هازئاً : جادك المهداوي ! جادك الغيث اذا الغيث همى ...»

وكأنما رأى ماجد امين الفرصة سانحة بعد ما جال المهداوي وصال واطال فقام يدلي هو الآخر بدلوه ويأخذ النصف الثاني من الجلسة في حديث آخر طويل عريض . قام يأتي بشواهد على ان فائق السامرائي كان في جريدته «لواء الاستقلال» يهاجم الرئيس جمال عبد الناصر وسياسته واساليب حكمه فصار اليوم خادماً له وتابعاً اميناً . واعطى ماجد امين اعداداً وارقاماً لشواهده : العدد ١٩٧٩ السنة التاسعة التاريخ ٢٢ ايلول ١٩٥٤ .

وعاد المهداوي يساعد ماجد امين فيقول عن فائق السامرائي : بعض الاسماء تعطي عكس معناها للمرتزقة . فمنهم صادق وهو اكذب الكاذبين ، والحر هو المستعبد ، ومنهم من يصف نفسه بخادم السلام وهو خادم لتجار الحروب والرجعيين والاقطاعيين والجواسيس الحقيرين... ولكن الشمس تطلع على الحراميه !

واومأ المهداوي برأسه اشارة انتهاء حديثه فاستطرد ماجد امين يتلو مقال السامرائي حرفاً حرفاً في مهاجمة الحكم القائم في القاهرة والتنديد بالاستقبال الذي استقبل به نوري السعيد فيها ذات عهد وكيف راح يوزع الاحاديث ذات اليمين وذات اليسار ويسرح هناك ويمرح الخ . فلما انتهى المدعي العام من التلاوة شرع في التعليق ، ولكن سرعان ما انتزع المهداوي الكلام منه وقام يتلو قصيدة ، اي قصيدة ، في تموز ، من نظمه ، فينشد :

... تموز مزقت القناع بضربة وتركت ابليس يقوم ويقعد
نوري السعيد تخاذلت اطرافه بقميص نوم فر لا يتردد
بعباءة سوداء ضل بها النهى والرعب يهبط والمنية تفقد
وجحافل الاطفال ترقص حوله والخوف يملأ نفسه ويعربد
عبد الكريم طلعت في ليل الدجى نجماً يهد للحياة ويرصد
بك من صفات الانبياء وصبرهم ولك الزعامة قائداً وموحد
ابشر بتموز جديد عراقنا واهنأ بها عبد الكريم مؤيد
وانشر لواء الحق في جنباتها يهدي خطاك على المضي مؤيد
واذا الكواكب في السماء تلألأت واذا الملائك ركع او سجد
واذا العيون الساهرات مراكب واذا الاصابع من حديد تولد
تموز يا عرس العراق وعيده بمشيئة الرحمن عرسك يخلد
هذا النشيد معطراً ارسلته والطير يصدح والحمام يغرد
والفرحة الكبرى تعم الارجاء والخوف ولّى هارباً يتبدد
يا عاقداً للنصر اول راية انت الزعيم وانت انت الاوحد
قسماً بربك لا يزيد تزلفاً انّا على الاخلاص موعدنا الغد

كانت القصيدة بمثابة الطبل لنظارة المحكمة ، وهم بلا طبل يرقصون ، فكادت القاعة تميد بهم لفرط ما هتفوا وما صفقوا .

واستبدت بالمهداوي النشوة فاستوى في مجلسه وقام يخطب ويحلل ويعلل ، يتحدث عن الحرية واهداف الحرية ، وعن « حق الحـــق وحرية الحرية وسلام السلام » ... اجل هذا ما قاله حرفاً حرفاً : « حق الحق وحرية الحرية وسلام السلام !» الله... الله ! اذا كان نظارة المهداوي قد فهموا هذه الفلسفة العويصة، فالحق يقال انها استعصت على افهامنا ...

قال بعد ان تنحنح :«ينعت المستعمرون والطامعون والمتآمرون والموتورون محكمتنا بأنها غير اصولية وظالمة ومتجاوزة، الى غير ذلك مما ننتظر من الاعداء. وماذا ينتظر المرء من عدوه الا الدس والوقيعة والكذب وحتى القتل ؟ اقول ان ادعاءهم هذا بشأن محكمتنا هو التجني بعينه. فالحقيقة ظاهرة واضحة للعيان، والحق كالميزان الحساس والعدالة ملاك فـوق الرؤوس يوحي بالحق والحقيقة ، ويوحي بالمعرفـــة ويوحي بالاحساس الوجداني وبالشعور الفياض لمعرفـة كل الخصائص التي لا تغيب عن القلوب الكبيرة والعقول الصغـــيرة ، والاخلاص الحقيقي لاسس المحكمة وللحـــكم الاول والاخير في المحكمة ، وهو الشعب . اننا نعتمد في محكمتنا على قوة هي اقوى قوة ، وعلى حـكم هو اوثق حكم وعلى حاكم هو اعدل حاكم ، وعلى حبيب هو اعزّ حبيب ، وعلى سلاح هو امضى سلاح ... ذلكم هو الشعب !

اما اولئك المهاجون فإنهم فئـة طاغية مأفونة لا تملك الا اسلحة الباطـــل عارية عن الحق والشرف ... وما هو التحرّر ؟ انه انشودة الشعوب ، انه اغنية البشرية ، انه ضالة الامم ، هدف الحرية ، عنوان الاستقلال ، انه حق الحـــق وحرية الحرية ، وسلام السلام ، وعدل العدالة وميزان الميازين .

امّا تخرصات المتخرصين فنصيبها اللامبالاة من الشعوب المحبـــة للحرية والدول الديموقراطية والرجـــال الشرفاء الاحرار الذين يخدمون السلم العالمي « تصفيق حاد) ومنهم من فقده بالأمس العراق والعرب والانسانية جمعاء ، اعني

العالم الديني الجليل البطل الحر الفاضل الاستاذ الماشطة (توفي في العراق وكان له مأتم كبير وهو من اركان جماعـــة انصار السلام) الذي كافح في العهد المباد في في سبيل احقاق الحق وازهاق الباطل واعـــلاء كلمة الاسلام التي هي فحوى السلام ... وانما الحياة فانية ولا يبقى للانسان منها الا الذكر الحسن .

كان دور المقدم عزيز احمد شهاب في المحاكمـة اثناء تلك الجلسة ، فأخـذ المهداوي يهزأ به لما سمعه ينكر علمـه بالمؤامرة ويقول ان افادتـــه في التحقيق املیت عليه تحت الضغط والتعذيب وان افادتـه امام المحكمة هي الصيغة التي املیت عليه لحفظها كي يرددها في الجلسة وإلا كان نصيبه التعذيب حتى الموت ، قال : بشرفك ماكو مؤامرة ? بشرفك ما كانت موجودة فكرة تآمر ?

عزيز احمد - انني اجهل كل شيء عن فكرة كهذه .

المهداوي - ضابط من العهد المباد بقيت في بغداد عشرين سنة ، فلما حولت الى كركوك وهي بلدة كبيرة جيدة مريحة ، بدأت تتآمر . هل هذا من الاخلاص والشرف والغيرة في شيء ? وقام المتهم يقول انـــه لم يكن مرتاحاً لتحويله الى كركوك لأنه مريض فعاجله المهداوي بمحاضرة في التضحية :

- ان مصلحة الوطن والجمهورية تقتضي التضحية بكل شيء يتعلق براحة الانسان او صحته او منفعته الشخصية في سبيل المصلحة العامة ... مع العلم بأن المدن العراقية كافـة هي مدن الجمهورية ، بلادنا وتربتنـــا وارضنا ووطننـــا . ويحتم العهد الجديد على كل مواطنة ومواطن ان يتحمل المشاق والمتاعب ، سواء في المدن الكبيرة ام في الارياف ام في اي شبر من ارض الوطن . عليهم ان يتحملوا ويصبروا ويكافحوا لـكي يساهموا مساهمة فعالة في بناء كيان الجمهورية .

ولما تطرق الحديث ، اثناء المناقشة ، الى التعذيب قال المهـــداوي يبرر التعذيب : ان العقيد رفعت الحاج سري لم يعذب ، واتهامك المحققين بالتعذيب مبالغ فيه . فالتعذيب ليس وحشياً كما يزعم اعداء الجمهورية . انه كان عبارة عن اظهار الشعور بالضرب البطيء باليد او العصا او البصق بوجه المتآمرين ... ففي ذلك الحين كانت الظروف صعبة تجعـــل المحققين وغيرهم يظهرون اشمئزازهم

واحتقارهم لهؤلاء المتآمرين الخونة المجرمين ... اجب ! الم تسافر الى سوريا ، ألم تتصل بالاستخبارات العسكرية فيها ؟

عزيز احمد – والله ماكو اشياء من هذا القبيل . كله تلفيق بتلفيق .

المهداوي يختنق : ماكو مؤامرة ؟ وهذه مؤامرة شو ؟ لقد فشلوا في المؤامرة لانهم اعتمدوا عليك ! ضابط جبان !

عزيز احمد – اتسمح لي بأن اتكلم ؟ لو كان اكو مؤامرة ...

المهداوي مقاطعاً – لو كان عندك دماغ لما وجدت حرجاً في الذهاب الى خارج بغداد بعد عشرين سنة كاملة قضيتها فيها .

عزيز احمد – المسألة مسألة مداواتي .

المهداوي – المؤامرة راح تداويك .

وان من يعرف أساليب المهداوي يدرك جيداً انه انما قصد بهذا ان مصير المتهم الاعدام يداويه مما يعانيه ...

المتهم – كسروا ضلعين من اضلعي اثناء التعذيب . ورجلي ما زلت حتى الساعة اعرج من كسر اصبعها كما قلت سابقاً ، وهذه التقارير الطبية واضحة امامكم .

وهنا قامت مشادة حادة . عزيز احمد يؤكد ان آثار التعذيب موجودة في جسده وفي تعطل بعض اطرافه ، والمهداوي يحاول ان يخنق صوته بالصراخ والسخرية والتقريع . قال له : زعمت انهم هددوك بالتعذيب حتى الموت فهل تخاف ؟ اذا كنت تخاف لماذا حكت المؤامرة ؟ من اوصلك الى قفص الاتهام ؟ ما عندك عقل ! ما عندك دماغ ! ما عندك غيرة ! ما عندك ناموس !

عذبوك ! أتريد ان يأتوك بجوقة موسيقيين ومغنين ويوزعوا عليك وعلى رفاقك المشاريب والمرطبات ؟

وهمّ المتهم بأن يجيب فأسكته المهداوي بضربة مطرقة على الطاولة ، وعاد يتحدث عن المؤامرة وعن مصرع موظف في الاذاعة السورية جاء الى الموصل مع جهاز للاذاعة نقل من سوريا الى الموصل وتم تركيبه ليذيع منه المتمردون واشتغل

فيه خبير في الاذاعة بريطاني ، هذا الى جانب وعوذ من السوريين بتقديم اسلحة وطائرات ومتطوعين . ثم يقول :

– لا مؤامرة ! عبد الناصر لا ناقة له في الموصل ولا جمل . لم يتآمروا ولا فعلوا شيئاً . وهذه الرؤوس القذرة (كذا) الماثلة امامنا لماذا هي هنا ؟ اما تخرصاتهم واشاعاتهم المغرضة فسوف يدوسها الشعب بأقدامه . وليدعوا ان لا ناقة لهم في هذه المؤامرة ولا جمل ما شاء لهم الادعاء ، فالوقائع تتكلم والوثائق دامغة . وهذه شهادة هوية موظف الاذاعة السورية ، وقد قتل عند محاولته الهرب في اضطرابات الموصل بعد تمرد الشواف . »

وفي الجلسة الثالثة والاربعين قام المهداوي يشحذ الهمم ويشهر السلاح القديم ويصيح : الحرب الحرب على الاستعمار ! استأنفنا الحرب على الاستعمار ! لقد وصلنا الى نقطة حصولنا على الاستقلال الوطني والحرية . والحرية كما تعلمون هي الحياة والحياة هي الحرية ... وبعد وصولنا الى تلك النقطة عدنا نستأنف الحرب على الاستعمار . ففي اللحظة التي انتهينا فيها من كفاحنا للحصول على الاستقلال واستردنا حريتنا واستقلالنا الوطني ، بدأنا نضالنا ضد مؤامراته التي كنا نتوقعها قبل ثورتنا ، منذ بدأنا التفكير بهذه الثورة .

لقد حسبنا حساب الاستعمار ومؤامراته وعملائه واعوانه وأذنابه والسائرين في ركابه الذين انكشفت اوراقهم اليوم في الاسبوع الاول من ذكرى ميلاد جمهوريتنا الغالية ، جمهورية ١٤ تموز . اذن الحرب الحرب على الاستعمار !

وانبرى المهداوي من الجهة الثانية يتحدث عن الحياد الايجابي وسياسة اللاتحيز فيقول :

– سافر الى الهند وفد من الجمهورية العراقية يمثل الحكومة وقوامه اربعون شخصاً بينهم وصفي طاهر ... قالوا انه عين ملحقاً عسكرياً في الهند وان هذا التعيين كان بعد سفره . ثم عاد وصفي طاهر قبل يومين مع سائر اعضاء الوفد بالسلامة والامان ، بعد ان خدموا الجمهورية في القطر الهندي العظيم ، وبعد ان قابلوا زعيم الهند الاكبر جواهر لال نهرو ، وقد اشاد نهرو بجمهوريتنا وزعيمنا العظيم .

اما الاعمال التي تمت اثناء هذه الزيارة فسوف تظهر نتائجها بالتعاون على اساس المنافع المشتركة والمصالح المتبادلة والحياد الايجـــابي الصحيح لتحقيق التعايش السلمي وعدم الانحياز الى احدى الكتلتين المتنازعتين الغربية والشرقية ، لا ان يدعى الحياد كذباً بينما الكذب ظـاهر للعيان ظهور الشمس في رابعة النهار . فحقيقة حيادهم هي السير في ركب الاستعمار وراء الشهوات ، شهوات التوسـع باسم القومية والامبراطورية العربيــة ... وغير ذلك مما لم يعد له مكان في شعبنا المتحرر وامتنا العظيمة . فمثل هذا الادعاء لم يعد ينطلي على شعبنا ولا على امتنا لانها ادعاءات فارغة من اجل غايات مضللة كاذبة ...

وعلى المتهمين ـ وهنا تذكر المهداوي فجأة وجود المتهمين ـ ان يحصوا اقوالهم ولا يقعوا في الفخ . فان من يسير على الطريق المستقيم يقـــال عثاره . اما من يسير باعوجاج فان عثر يتدحرج الى الهاوية ، والى جهنم وبئس المصير !

وارتفعت في قاعة « محكمة الشعب » هتافات وغناء من جوقة النظارة المواظبين من مقاعدهم المحجوزة ابداً ، لما تحدث العقيد المهداوي في الجلسة الرابعة والاربعين بعد المائة عن عبد الكريم قاسم وقال عنه انه « مهندس ثورتنا الاول وباني جمهوريتنا والسائر بها دائماً الى الامام . »

وقال عن سهر اركان الحكومـة انهم يشبهون النحل عندما يصنع العسل ! وانهم يعملون تحت لواء عبد الكريم قـاسم وسيسحقون الطامعين ببلاد العراق الخصيبة التي هي ملك لمجموع الشعب . اما الذين يطبلون ويزمرون ويهددون ويتوعدون فاننا لا نأبه بهم ، انهم كالقردة الخاسئين وهم اتباع العهد المباد وايتامه . انهم كالحيوانات بل اقل من الحيوانات ، فالحيوانات لا ذنب لها سوى انها خلقت هكذا ، بينما الانسان خلق ليكون اخاً للانسان لا يعتدي عليه ولا يخدم من يحتل ارض وطنه .

واما المؤامرات والاشاعات الـكاذبة والاخبار الملفقة والهمس والغمز واللمز فـكلها صحوة الموت للاستعمار واتباعـه الرجعيين والاقطاعيين . واما التكتلات المعادية والتجمعات المماثلة لها فهي رقصـة الموت ، رقصة العبيد المستضعفين ، رقصة القردة الخاسئين فهل يتمكنون من خداع العشرات او المئات او الالوف

في الملايين ؟ كلا ثم كلا ! ان شعبنا تعداده سبعة ملايين . وشعبنا لا يمكن ان يخدع بعد اليوم . فعلام تتآمرون يا ايتام نوري السعيد ؟ وبم تتشدقون ؟
لقد اخذنا لكل شيء اهبته . اننا اقوياء بسيرتنا وايماننا وعقائدنا وشعبنا . اقوياء بجمهوريتنا وزعيمنا .

كان المتهم العقيد منير الجراح يدلي بافادته امام المحكمة في الجلسة الرابعة والاربعين بعد المائة . وتحمس في دحض التهم الموجهة اليه ووقف من المهداوي وقفة جريئة اذ قال له ان جو التحقيق كان ارهابياً وان المحققين جاؤوا الى التحقيق وفي رؤوسهم فكرة ثابتة وتهمة مؤكدة ولم يحيدوا عن اي منها ، كذلك الادعاء العام شط في اتهامه حتى كاد يجعل من الموضوع رواية بوليسية !

المهداوي ـ هذه الحماسة لا لزوم لها! ان من واجب المواطن ، اي مواطن، ان يساعد في احباط المؤامرات التي تحاك ضد الشعب . والشعب معناه الجيش ومختلف المؤسسات والطوائف والعناصر والاديان الى آخره ... الشعب معروف ما هو الشعب . وكل وطني يعلم بنبأ مؤامرة او شيء من هذا القبيل لا يجوز له القعود او التجمد او السكوت . والوطني حتى لو لم تكن له صفة رسمية عليه واجب وطني معروف . فاذا كان آمراً برتبة كبيرة ينبغي عليه واجب اكبر في مقاومة اية مؤامرة من اي نوع كانت واينما كانت ، وخاصة اذا كانت من نوع هذه المؤامرة التي ظهرت بوادرها قبل التنفيذ في الحركات التي قامت في الموصل .

ولم ينس المهداوي في تلك الجلسة عبد السلام عارف فنفحه بكلمتين من الوزن الثقيل : لولا يقظة الزعيم الذي فضح خائن الثورة الاول في محاولته اعطاء العراق غنيمة باردة لعبد الناصر... ولو ، لا سمح الله ، تمكن عبدالسلام من النجاح في مؤامرته ، او تمكن الخائن رشيد عالي الكيلاني من بلوغ اهداف مؤامرته ، فترى كيف كانت الامور تتطور ؟ كيف يكون موقف عبد الناصر في العراق . وهل يستطيع ان يخضع العراق لسلطان جمهوريته المتحدة ؟ هل يستطيع اخضاع بغداد ، وكركوك ، واربيل او غيرها من الألوية التي يقطنها

المواطنون الاشاوس ، اخواننا الاكراد الابطال ؟ ان اكراد سوريا لا يبلغون ربع الاكراد العراقيين ومع ذلك لا تسل عن المتاعب ...

وانثنى المهداوي يرف بعينيه ويتحضر للوثوب ويهزأ بالضباط الواقفين في قفص الاتهام ويقرعهم : ايتام العهد المباد وايتام نوري السعيد ، نوري الشقي . انظروا اليهم ملياً . افحصوهم ! دققوا فيهم تروهم على حقيقتهم ... اقليم شرقي! تريدون ان تضموا العراق الى منطقتهم .. التي ظهر جيداً انها تسير في ركب الاستعمار . انهم دمى للاستعمار وحمير للاستعمار ...

انهم لا يجرؤون حتى على جعل محاكماتهم علنية . يحاكمون المثقفين الشرفاء الاحرار الابطال الغر الميامين (كلها صفات يكيلها المهداوي دون حساب للشيوعيين الذي يحاكمون في الاسكندرية بتهمة القيام بنشاط ضد امن الدولة وسلامتها والانتماء الى حزب غير مشروع) الابطال الغر الميامين الذين ابوا الانصياع اليكم والخضوع لحكومتكم الرجعية الفاشية ، ورفضوا الخضوع للاستعمار الذي تختفون وراءه .

هذه الجزائر قريبة اليك يا عبد الناصر . هل ارسلت اليها الجيوش ؟ وهل تآمرت على ظالميها من حكام فرنسا الجائرين وعلى رأسهم الدكتاتور الغول (كذا) الذي مددت اليه يدك لتصافحة اقتصادياً (وكرر ذلك) وستصافحه عما قريب سياسياً ؟

وردتنا الأخبار يا مطايا الاستعمار . ماذا تفعلون وعلى من تتآمرون وبمن تتصلون ... ولكن التاريخ سيتولى امركم . فللتاريخ وجه ابيض ووجه اسود. (وراح يكرر ويشرح)في الوجه الابيض لوحة بيضاء تسجل فيها اسماء المخلصين لشعوبهم واوطانهم ومبادئهم . انه لوح المجد والخلود . ولا يمكن ان يسجل الاسم في لوح الخلود بسهولة واعتباط وانما يسجل بالاخلاص والفداء .

ومن السهل تسجيل الاسماء المخزية في اللوحة السوداء وذلك بالخيانة والتآمر. والعراقيون اليوم في قلب كل واحد منهم لوحة بيضاء ولوحة سوداء : البيضاء للمخلصين والسوداء للخائنين ، وسيعرفون بذلك الاجيال المقبلة ، اطفالهم

واحفادهم ، وسيكون حساب المجرمين المتآمرين عسيراً . وسواء ألقوا حتفهم أم بقوا احياء ام ماتوا سيحاسبهم التاريخ ، اي الأجيال القادمة ، حساباً مقروناً باللعنة الأبدية ، وسيترحم على المخلصين الذين افتدوا امتهم واوطانهم كما يفعل الزعيم ... (والمهداوي بالطبع)

كان العقيد رفعت الحاج سري من الرؤوس القوية التي واجهها المهداوي في محكمته . ورفعت الحاج سري هو رئيس استخبارات الثورة وقد اتهم بالتستر على الشواف ومساندته خفية في بغداد وكتم اخباره مع ان المفروض انه يعرف كل شيء عن حركاته وحركات اعوانه الضباط المشهورين بالقوميين العرب والموالين للقاهرة .

المهداوي : ضابط استخبارات ولا تعرف شيئاً عن مؤامرة الموصل ؟

رفعت الحاج سري – المؤامرات سيدي لا تكون إلا بالسر وبالكتمان الشديد . مثلاً ثورة ١٤ تموز الخالدة ... لم يعرف بأمرها الا قليلون جداً .

المهداوي – قل بلا تشبيه ! ان عصياناً كعصيان الشواف لا يشبه بثورة ١٤ تموز . فالثورة الخالدة كان بطلها يعمل على انجاحها بالكتمان الشديد ويهيىء الوسائل اللازمة لهذا النجاح . انها ثورة الحق على الباطل ! بينما مؤامرة الخائن الشواف هي العصيان والخيانة ! ويجب على كل ضابط استخبارات ان يعلم بأمرها قبل وقوعها . لقد كنت تعلم بها انت ، والدليل على ذلك انك فتحت الراديو على محطة اذاعة الموصل ، وانه كان عندك غدارة .

رفعت الحاج سري – كان عندي غدارة في دائرتي ولكني لم اتسلح بها .

المهداوي – لماذا تسلحت بغدارة اثناء عصيان العقيد الشواف .

رفعت – لم اتسلح بأي نوع من السلاح . والغدارة المذكورة وهي غدارة « ستن » وضعتها في الدائرة دون ان استعملها . ولم احملها .

المهداوي – والاجتماعات غير الطبيعية التي كانت تعقد في دائرتك ؟

رفعت – لم تكن اجتماعات غير طبيعية . كانت عادية .

المهداوي – لماذا لم تؤكد اخلاصك للزعيم .

رفعت — اؤكد اخلاصي له .

المهداوي — هنا في قفص الاتهام ؟ اخرج !

ثم كان دور عزيز احمد شهاب مرة اخرى في المناقشة ، فأخذ المهداوي يحاوره ويداوره ، ويحاول ان يجعله يبدل افادته التي اكد فيها ان كل ما قاله في السابق عن سفره الى سوريا واجتماعه ببعض رجال الاستخبارات فيها تلفيق في تلفيق ورواية مختلقة حاكها المحققون ولقنوه اياها تحت الضغط والتعذيب ليقولها للملأ .

قال عزيز احمد : قادوني الى غرفة التحقيق حيث بدأ تعذيبي بالكهرباء بوسائلهم الجهنمية المختلفة . وكان من نتائج ذلك ان اصبحت كتفي اليمنى مصابة اصابة دائمة . وقد ثبت التعذيب لمحكمتكم وثبت انني كنت مغمياً عليّ لما ادخل المحققون المتهم فاضل الشقرا وضربوني له مثلاً على شدة التعذيب الرهيب الذي ينتظره ان لم يفعل ما يريدون ، كما جاء في افاداته .

لقد اشترك بتعذيبي باسلوب رهيب المدعو عطشان ميمون ، من قادة احد الاحزاب (الحزب الشيوعي) وهو الآن هارب من العدالة التي تطارده بسبب التعذيب بعد ان امر الزعيم الاوحد بذلك . وقد استعان المحققون وجلاوزة التعذيب بالصحف المحلية وبعض الاوراق وبعض افادات المتهمين الآخرين ، ليجمعوا من كل ذلك افادة يلقنونني اياها ويقيموا حفلة تمثيلية صغيرة يجري فيها سؤال وجواب حتى لا افاجأ امام المحكمة . وقد اخذ عطشان ميمون بتلاوة الافادة والاجوبة مرتين او ثلاث مرات ويعلمني اياها .

وبعد ان انتهوا من «الحفلة» اخبروني بأن علي ان امثل امام المحكمة في المساء ولكني رجوتهم ان يؤجلوا ذلك بسبب سوء حالتي الصحية ، فلم يأبهوا لاقوالي وظلوا على تهديدهم بتعذيبي حتى الموت ان لم افعل ما يأمرونني به . فطلبت مقابلة الزعيم ولكنهم رفضوا السماح لي بذلك . وجاء سعيد مطر الى المحكمة ليرقب كيف سأدلي بافادتي وهو يهددني باعادتي الى غرفة التحقيق والتعذيب فوق هذه القاعة بالذات .

والآن بعد ان رفع عنا كابوس التعذيب والارهاب منذ امر الزعيم بذلك ، اصبحت استطيع ان اقول الحقيقة مجردة من كل زيف او تلفيق .

المهداوي – وشهادة فاضل الشقرا التي اعترف فيها بأنك دعوته الى التحدث عن التعذيب مع انه لم يكن هناك تعذيب ؟

عزيز احمد – هذه الشهادة لا يؤخذ بها ولا يقبلها شرع لان الشقرا ادلى بها طمعاً في النجاة من المشنقة ، اي تحت ضغط عوامل نفسية معلومة اشدها الخوف ، والدليل ان هذه الشهادة لم تعط الا بعد صدور الحكم باعدام الشقرا . وقد حدث ، قبل تنفيذ حكم الاعدام فيه انه قال للمتهم يونس عطار باشي انه اعتدى عليّ ويطلب مني الصفح عنه .

وتضايق المهداوي ، ومتى افحم المهداوي ضاق صدره وبرزت عيناه ورقص حاجباه حنقاً وغيظاً ، فصاح :

– خائن ! تنكر الآن كل ما قلته من قبل ، مع ان التهمة ثابتة عليك واصبح اشتراكك بالمؤامرة حقيقة واقعة . نذل جبان ! اخرج !

في جلسة اول ايلول ، وكانت الخامسة والاربعين بعد المائة ، طلع فاضل عباس المهداوي على مستمعيه بهذا الخبر ، بعد ان افتتح الجلسة باسم الله واسم الشعب :

تلقينا برقية من الكاتب المصري طالب محمد خالد ينبئنا فيها بأنه ليس مؤلف كتاب « الله في قفص الاتهام » وهذا صحيح ، فنقدم اليه الاعتذار .. وتلقينا رسالة ثانية من « مناضل مصري » من باريس تتلى .

وتليت الرسالة فاذا هي رسالة سبّ وتطاول واتهام بقلع اظافر الشيوعيين وتعذيبهم اثناء محاكمتهم سراً في الاسكندرية ، وبصنوف عجيبة من التعذيب مثل حمامات الشمس ونفخ الاحشاء بالهواء من خلف وضرب بالسياط وحرمان الموقوفين من الماء حتى يموتوا عطشاً وذلك في معسكرات الواحات ، الى آخر ضروب التعذيب التي ادعاها موقع الرسالة ولو دون ذكر اسمه ... واعطى بضعة اسماء مثل عوده وطلعت وهنداوي ، وعلي ايوب ومحمد سليمان واليوزباشي محمد

وصفي من سلاح الحدود ، وعبد الحميد الاسلامبولي ، وذلك بعد ان اتهموا بالاتصال بالاتحاد السوفياتي والقيام بنشاط سياسي غير مرغوب فيه ، لما ساءت العلاقات بين الجمهورية العربية والسوفيات .

قال المهداوي : « رسالة لا تحتاج الى تعليق وانما هي تحقيق دقيق لما يتهمنا به الضفادع ، ضفادع النيل بالنقيق الذي نسمعه بين الفينة والفينة ... مع العلم بأنني لم اسمعه من الاذاعة .

وانطلق المهداوي في جملة جديدة يدافع بها عن الشيوعيين ويهاجم الوحدة السورية المصرية التي يهاجمونها هم ، والنظارة من ورائه يهتفون ويهزجون أهازيج لازمتها « سنمضي سنمضي الى الامام » .

واشتدت الحماسة برئيس « محكمة الشعب » فاهتاج مع الهائجين وصاح ملء حنجرته ، حنجرة المهداوي وصوته الداوي : الابواق الاجيرة الحقيرة ، ابواق الاستعمار . هذه الابواق لا مكان لها في بلادنا ، لا رجاء للطامعين في بلادنا ، لا رجاء لناصرهم انما الرجاء كل الرجاء للشعب الذي يثق كل الثقة بزعيمه وجمهوريته .

لا امل للطامعين باخذ العراق لقمة سائغة وغنيمة باردة والقائه في احضان الرجعية والاستعمار وجعله حلقة ثانية للديكتاتورية بعد ان تحرر دفعة واحدة الى الابد !

وينتقل المهداوي فجأة ، ودون ما مناسبة الى موضوع آخر لا علاقة له البتة بالمحاكمة ومجراها ، فيقول :

– في تعليقاتي اعتدت ان اركز دائماً على ضرورة تثقيف ابناء شعبنا الكرام اجمعين ، رجالاً ونساء وفي اي لواء من الوية العراق . في الشمال او الجنوب في الشرق او الغرب ، اكرّر على ضرورة تثقيف المواطنين والمواطنات ثقافة مركزة صحيحة شريفة .

وقد يتبادر الى بعض الاذهان ان الثقافات هي الاخرى على انواع واشكال . هذا صحيح بكل تأكيد . هناك ثقافات شريفة وثقافات غير شريفة (كذا)

واكرر ان بعض المسميات والاشياء لها صفة الصحة والبعض الآخر صفة التزييف كالوطنية الصادقة والوطنية الكاذبة ، والقومية الصحيحة والقومية المزيفة .

وقفز المهداوي من الثقافة الى احوال الشرق الادنى فقال : لقد تحررت بعض الشعوب الشرقية ومنها شعبنا العراقي البطل . ومتى تحرر شعب هل من المعقول ان يفرّط بهذا التحرير العلمي والعملي بمجرد تآمر حفنة من موتورين وطامعين ومستعمرين تطاولوا على جمهوريتنا . ان هذه الجمهورية شعلة وقادة للحرية والديموقراطية والسموم في المنطقة .

ولم تكن تلك المرة الاولى التي تحدث فيها حكام العراق الثوريون عن اشعاع من الجمهورية . فقد اعلن عبدالكريم ، بالاقل في خطابين ، ان العراق الديموقراطي المتحرر سيوزع اشعاعاً وديموقراطية وحرية على البلاد العربية والشرقية المجاورة .

قال المهداوي : لم تستطع الرجعية ان ترفع رأسها ، وسرعان ما قضينا على محاولات عبد السلام عارف ورشيد عالي . ولما اعتقل عبد السلام كانت المظاهرات الجبارة التي اشترك بها ثلاثة ارباع مليون نسمة ان لم تصل الى مليون ، المسمار الاخير في نعش الرجعية . ومن منا ينسى الاحتفالات الخالدة للفلاحين والعمال والطلبة والمرأة وانصار السلام والشبيبة الديموقراطية ؟

ومتى انتهت هذه الفترة ، فترة الانتقال (السادس من كانون الثاني هو اليوم الذي ضربه قاسم موعداً لانتهائها) سنرى العجب العجاب من هذا الشعب العظيم الذي يملك اسلحة امضى من التي شهرت في وجه الطامعين والمتآمرين .

وبعد شتيمة او شتيمتين للجمهورية العربية المتحدة ورئيسها قال المهداوي عن محاكماته وعما يبيته للمتهمين :

– وهذه المحاكمات ... سوف نحاكم اياً كان من المجرمين مهما كان شأنهم . لان الشعب يحاسبنا والله سوف يحاسبنا إذا لم نخدم الشعب باخلاص ولو كلفنا ذلك حياتنا .

«المخلص هو مع الجمهورية والزعيم ، والخائن هو ضد الجمهورية والزعيم» .

حكم قاطع مبرم اصدره المهداوي في ساعة من ساعات النشوة امام

قوس المحكمة . المخلص للجمهورية والزعيم امين ، وغير المخلص للجمهورية والزعيم خائن . هكذا يوزع المهداوي الأمانة والخيانة ويضع اساسها .

اما مخلص او خائن . اما نعم او لا . اننا لا نزال كما قلت في فترة انتقال ...

يقولون ،« قوميين ! » من ينكر اصله ؟ اننا القوميون الاصيلون . امـا هم فمصابون بعقدة ، بمركب نقص ، هو شهوة الحكم ... حسد ، طمع لا أقل ولا اكثر ! لا غيرة ولا قومية ولا انسانية .

ان القومية العربية براء من الذين يخونون وطنهم وشعوبهم ويخـونون الحرية والديموقراطية والسلام . ان من اهداف الجمهورية العراقية تحرير الأمة العربية. انه تحرير وطني وقومي وانساني ، من كل قيود الاستعمار ومن اقطاب الرجعية ومن كل المحالفات العدوانية . هذا هو مفهوم التحرر وهذه هي غاياتنا .

لكم دينكم ولي دين ... هذه هي تعاليم الاسلام الصحيحة .

ان الأمة العربية لن تنام عيونها لحظة واحدة مـــا دامت الارض المقدسة فلسطين الشهيدة قد اغتصبها الصهاينة عملاء الاستعمار الانكلواميركي ، ولا بد من تحريرها رغم عبد الناصر .

لقد ظهر المفهوم الحقيقي للقومية في نظرهم . انه تحكم من المحتكرين اصحاب رؤوس الأموال بمقدرات الشعب . انه تعصب اعمى ، استغلال ، استبداد . ان مفهوم القومية العربية غير هذا . فللقومية العربية فحوى علمي موضوعي يرتبط بكفاح الأمة العربية ضد الاستعمار ، يرتبط بكفاح الشعوب العربية قاطبة من اجل تحررها .

وانني واثق بأن القوميين العراقيين الشرفاء سوف لا يستجيبون الى نداءات عبد الناصر بعد ان ظهرت حقيقتها في كل هذه المؤامرات ولا الى الورقات الصفراء التي تردد ان القومية العربية في العراق بخطر ... ولا الى التوأمين الفاروقيين المعروفين بثقافتها الاميركية في «اخبار اليوم» وغيرها من الصحف التي سخراها لاغراضها وخدمة اسيادهما ... ولا الى صحف الشام التي تعارض اماني اهـل الشام في افـكارهم النبيلة وقلوبهم العربية الكريمة وشهدائهم الابرار الذين صعدوا

الى المشانق في اول القرن العشرين .

وهنا لا بد ان اذكر كذلك الجهاد النبيل الذي قام به اخواننا اللبنانيون الذين صعدوا الى المشانق وزج بهم في السجون وعانوا غير ذلك من الوان الاضطهاد والتنكيل .

واخذت المهداوي نشوة اخرى فراح يشيد بذكر العراق :

العراق ؟ انه مربض القومية العربية الصحيحة ، وموئل الحرية الديموقراطية السليمة وديار المخلصين الغيارى وموطن الاحرار ومسرح الحضارات القديمة ، سواء في عهد الاشوريين او البابليين او العرب والمسلمين ، اوفي عهد عبدالكريم قاسم (وعهد المهداوي !)

اما ثورة العراق فهي سبب تحريره وعنوان ديموقراطيته وانطلاقه في المجال العالمي . والشعب حريص على ثورته فهي ملكه ، ملك الامة بل انها ملك الانسانية جمعاء ! لأن الثورات سلسلة متصلة الحلقات يتصل بعضها ببعض في ارجاء المعمورة ، سواء في الشرق او في الغرب . وقضيتها كلها قضية انسانية واحدة قضية الحرية والديموقراطية والسلام .

مستعمرون طامعون ! تريدون ان تنتزعوا منا ثورتنا ومكاسب ثورتنا ؟ خسئتم ايها الافاكون . سنسحق كل حركة تمرد ويسحق الشعب كل عصيان تحت نعاله . فالثورة ملكه ، ملك العراقيين اجمعين ولا يمكن للاستعمار واتباعه ان يغيروا الطريق المستقيم التي تسير عليها حكومة الثورة وعلى رأسها قائد الثورة الزعيم عبد الكريم ، (عاش الزعيم عبد الكريم ، عاش الزعيم عبد الكريم ، يشترك بانشادها النظارة ويرددها المهداوي واعضاء المحكمة ولو تمتمة)

وتهدأ العاصفة اخيراً فيعود المهداوي الى حديثه اشد شوقاً مما بدأه : انها طريقنا لن نحيد عنها حتى نحقق اهداف الثورة . واننا نحن العسكريين جنود قاسم المخلصون والشعب معنا من المدنيين والاهلين بجميع فئاتهم وعناصرهم وطوائفهم عبارة عن جيش واحد في سبيل هدف واحد هو التقدم وتوطيد الاستقرار والهدوء والامان والطمأنينة وبناء وطن حر .

قال المهداوي في الجلسة الثامنة والاربعين بعد المائة، وكان نجمه قد بدأ يخبو رغم كل ما فعله للاحتفاظ بلمعانه، قال يبرر وجود محكمته ويلمح الى قرب نهايتها:

– هذه المحكمة محكمة الثورة ، لها طابع خاص بها وإلا لكانت محكمة تقليدية مثل باقي المحاكم ولما مثلت ارادة جمهور الثورة ، ولما حكمت باسمها . واني لأعتدّ بها واتشرف وافتخر بأن اكون رئيسها .

لمّا شكلت المحكمة قال لي بعضهم : كم ستدوم محكمتكم ? قلت لا اعلم . قال : فلتكن مدتها يومين او ثلاثة ايام : حوكم فأدين فأعدم ...

وبعد مضي اشهر قيل لي : انظر الى محاكم الثورة الاخرى انها حاكمت بعض المجرمين مدة ربع ساعة ونفذت الاعدام بهم في اليوم ذاته . قلت : لكل ظروفه واحواله واوضاعه . وان محكمتنا ، على ما يظهر ، تلاقي قبولاً حسناً في الداخل والخارج ، في العراق والبلاد العربية والعالم اجمع، وخاصة بين الشعوب المحبة للحرية والديموقراطية والسلام .

وقد كانت الصحافة المصرية قبل الحملات المأجورة ، تصف جلسات المحكمة فتقول : هذا العبقري البطل الغضنفر المهداوي الذي جعل من جلاوزة العهد المباد فئراناً مذعورة ... وغير ذلك مما تحسنه تلك الصحف من الاوصاف والنعوت . ونحن لا نأبه بها . فما المهداوي الا خادم الشعب ...

ايقظني اخي العقيد وصفي طاهر (تصفيق حادّ يرافق دائماً مرافق الزعيم وهو المرافق الاحمر المعروف ، كلما ذكر اسمه) في بيتي وقال لي ساخراً : قم واسمع ! اصحيح ان هناك ثورة شيوعية في البصرة يدبرها المهداوي ذو الصوت الداوي ، وطه الشيخ احمد وجلال الاوقاتي وماجد امين ... اصحيح انك شيوعي ?

انما انا حر متحرر ، مع احترامي للاحزاب الديموقراطية التحررية الحرة التي تستوحي في عملها ومبادئها الخدمة العامة للشعب والوطن .

انهم «يسولفون» (يروون روايات) . تعرفون «سالفة» الحية . فاذا ارادت هذه الحية ان ترفع رأسها وتحرك ذنبها فدواؤها موجود لدى الشعب وزعيم

الشعب . اما نحن فاننا نبذل نفوسنا وحياتنا فداء لجمهوريتنا وشعبنا وزعيمنا ...
انت يا عبد العزيز العقيلي ، هل قلت ان الثورة تأكل رجالها ؟ اي مثلما حدث في الثورة الفرنسية ؟ هل الثورة غول حتى تأكل رجالها ؟
عبد العزيز العقيلي – كان حديثاً عابراً عن الثورات ولم اقصد ثورة ١٤ تموز الخالدة مطلقاً !

المهداوي – الثورة تأكل المتآمرين ويبقى الصالحون الصادقون الصابرون المكافحون المناضلون الشرفاء (الخ..)

ما بالكم تتآمرون وتدسون وتنافقون ؟ هل يوجد من يحكم في الجمهورية من الأغراب . هل هم مجرمون ؟ هل هم اجانب ، انكليز مستعمرون ؟ انهم اهل البلاد الذين كافحوا الاستعمار واعوان الاستعمار .

وتطرق الحديث في مرحلة اخرى من مراحل محاكمة الطبقجلي ورفاقه الى ذكر الصحافي العراقي سلمان الصفواني ، وكان المهداوي في ساعة صفاء فصاح ضاحكاً : انت فاكراني والا ناسياني ؟ (الأغنية الشهيرة القديمة لام كلثوم)

استمر المهداوي في محاكاته وابداء ملاحظاته ، ولكن ساد جو المحكمة في جلساتها الاخيرة ، شيء من الفتور ، هو فتور الانحدار بعد القمة . وقد حاول جمهور المحكمة ان يبدد هذا الفتور بمظاهراتهم الصارخة واهازيجهم الحارة وهتافاتهم وكل حماساتهم ، ولكن الجو ظل على ثقله ، وظلت المحكمة ماضية في طريق الانحدار ، وما ازداد المهداوي الا عصبية واحتداماً . لم ينج من لسانه احد . ظل حتى النهاية يهاجم هذا ويطعن بذاك ، يسبّ هذه الدولة ويشتم تلك ينتهر كل من يقف امامه ، متهمين ومحكومين ، نظارة وشهوداً ، لا فرق بين من يصب عليه جام غضبه .

جلسة الوداع

هناك سؤال تردد على الألسنة عند ختام محاكمة الطبقجلي واخوانه : هل انتهت المحكمة العسكرية العليا الخاصة من اعمالها واسدل الستار عليها ؟

لم يكن في القائمة متهمون جدد ، ولم يبق في قضية عصيان الموصل ضباط موقوفون رهن المحاكمة ، والمهداوي عازم على السفر الى الصين ... اجل تقرر ايفاد المهداوي وماجد امين كذلك ، الى الصين في وفد صداقة لتهنئة الجمهورية الصينية الشعبية بذكرى تأسيسها العاشرة... تقرر ان يظل المهداوي هناك ستة اسابيع كاملة . فهل هي النهاية ؟

لقد احدث النبأ ضجة اية ضجة . وازداد انتشار الشائعات والهمسات عن مصير المهداوي ومحكمته حين عقدت جلسة الحكم على الزعيم الطبقجلي وباقي الضباط ، في السادس عشر من ايلول ، وكانت التاسعة والاربعين بعد المائة ، ولم يشر المهداوي ولو بكلمة الى سفره القريب ، ابتداء من الثاني والعشرين من ايلول ١٩٥٩ الى بيكين .

في تلك الجلسة اكتفى المهداوي بالقاء «كلمة المحكمة» تمهيداً لتلاوة الحكم على المتهمين . كانت كلمة بسيطة ولم تتضمن شيئاً فوق العادة ولا اشارة الى مايكون بعد انتهاء قضية الطبقجلي ، بل اكتفى في النهاية بأن اعلن رفع الجلسة الى وقت يعلن عنه في حينه .

قال المهداوي في كلمته : لقد اخذ الاستعمار وعملاؤه من الجواسيس والاعوان يسلكون طرقاً مختلفة لعلهم يفلحون في الاطاحة بكيان الجمهورية. ولكن انى لهم ان يفلحوا في ذلك . فقد رسخت هذه الجمهورية رسوخاً متيناً على الاسس

التي اعلنها بيان ثورتنا الاول ؛ وبتأييد شعبنا المكافح الجسور البطل المصور الجبار القهار ، الذي قهر الاستعمار واعوان الاستعمار وعبيده وغيرهم من الخونة المجرمين الذين لاشرف لهم ولا دين ...

ثم قال في عبارة كأنها تحية وداع : «ان محكمتنا التي يشرفها ان تكون الجهاز الثوري الفعال ، كانت ولا تزال عاملاً قوياً من عوامل تهديم نظام الاستعمار بعد ان كان يصول ويجول لا في العراق وحده بل في منطقة الشرق الاوسط برمتها. ولقد تغلبت على خصومها والطامعين فيها وخاصة الجمهورية العربية المتحدة التي كان المؤمل منها ان تساند الجمهورية العراقية ، ولكنها حققت قول الشاعر :

ومهما تكن عند امرىء من نقيصة وان خالها تخفى على الناس تعلم

واستعرض المهداوي ما اطلقته الجمهورية العراقية من حريات عامة بتأسيس النقابات العمالية والمهنية والشبيبة الديموقراطية والنسائية وغير ذلك من الجمعيات والنقابات (الشيوعية) «التي ادت للبلاد خدمات جلى والتي قد تحتاج اليها البلاد مرة اخرى في الوقت المناسب» . وتحدث عن تسليح الجيش بمختلف الاسلحة الحديثة حتى اصبح قادراً على صد اي عدوان من اي مكان .

وهنا لا بد من اشارة الى ان المهداوي قال ذات يوم في احدى جلساته ان لدى الجيش العراقي اسلحة ذرية ! وقد احدث النبأ ضجة كبيرة ، وطرحت اسئلة صحفية عديدة ولكن لم يعط احد من المسؤولين العراقيين مزيداً من الايضاح . وقد سأل صحافي هندي اللواء قاسم ، في ٧ ايلول ١٩٥٩ : قال المهداوي قبل مدة ان عندكم اسلحة ذرية فما رأيكم في ذلك ؟ فاجاب عبدالكريم:

«ان اقوال المهداوي تفسر في الخارج حسب ارادة المفسرين . وفي اكثر الاحيان تترجم خطأ . ان اقواله محفوظة ومسجلة . والمهداوي شخص حرّ وله عمل طويل في تحضير الثورة يمتد سنين عديدة ، ولا يتجه اي اتجاه معين ، بل كل اتجاهه هو في خط الثورة وسياستها . اما الاسلحة فلست استطيع ان اعطي شيئاً عنها لانها من اسرار الجيش العراقي . »

ولقد استعرض المهداوي في كلمته التي قدم بها لاعلان الاحكام في تلك الجلسة ،

اعمالاً اخرى من اعمال الثورة كإلغاء حلف بغداد « الذي كشفته محكمة الشعب والذي كان يعمل ضد تحرير الامة العربية وضد سيادتها وحيادها وضد السلم العالمي » وخروج العراق من الكتلة الاسترلينية وتحرره اقتصادياً ، والحصول على حقوق العراق من شركة نفط خانقين والعمل على استثمار معادن العراق الاخرى وفي طليعتها الكبريت ، وتصدير ثروة التمور واستيراد المصانع لاعمار البلاد وتشغيل الايدي العاملة والقضاء على البطالة .

ثم راح يقارن بين ثورة العراق وثورة مصر ويصف هذه «بالانقلاب العسكري» ويغمز من قناتها ويحمل على اساليبها ويتهمها بالاغتيال السياسي ... ويخرج من ذلك الى ان المؤامرات على الجمهورية العراقية لم تنجح ، والى ان الشرف الرفيع لا يسلم من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم ! وهو بيت طالما ردده المهداوي وتغنى به . ولعله ما ذكره في تلك الجلسة الا ليلوح بإعدام من قرر أعدامهم من المتهمين .

لقد قضى المهداوي بالاعدام على اربعة آخرين من كبار الضباط في هذه القضية هم : الزعيم ناظم الطبقجلي والعقيد الركن مصطفى رفعت الحاج سري ، والرئيس الركن داود سيد خليل والمقدم عزيز احمد شهاب ، رمياً بالرصاص حتى الموت وبطردهم من الجيش. وحكم بالسجن مدى الحياة مع الاشغال الشاقة على العقيد محمد سعيد الشيخ ، والعقيد منير فهمي الجراح ، والعقيد ابراهيم الكيلاني ، والمقدم يونس عطار باشي . وقضى ببراءة الباقين .

ولقد جاء في قرار التجريم ان الطبقجلي واعوانه رسموا خطتين للتمرد من اجل ضم العراق الى الجمهورية العربية المتحدة ، الاولى تقضي بالزحف على مجلس الوزراء ومحاصرته اثناء انعقاده وإكراهه على اعلان الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة ، والثانية اعلان عصيان مسلح اذا فشلت الخطة الاولى .

واضاف القرار ان العقيد الشواف آمر موقع الموصل فاجأ الضباط الذين يتزعمهم الطبقجلي ورفعت الحاج سري ، بالقيام بعصيانه المسلح قبل ان يعين موعد متفق عليه لذلك ، فانكشفت الامور وافتضحت الحركة من اساسها .

وتحدث قرار التجريم عن دور الطبقجلي فقال : « كان ناظم الطبقجلي قائداً للفرقة الثانية وقد عهدت اليه الثورة بهذا المنصب في صبيحة يوم ١٤ تموز ، وبحكم ظروف الثورة كان عليه ان يلتحق بمنصبه في الساعات الاولى من الثورة . ولكنه بقي متجاهلاً هذا التعيين وظل في منصبه السابق وهو آمر موقع الموصل ولم يلتحق بكركوك إلا بعد الحاح المقر العام عليه ، مما يفرض ان الطبقجلي كان يريد الاطمئنان الى مصير الثورة . وبهذه النفس المريضة كان الطبقجلي ألعوبة بيد رفعت الحاج سري ... ولما وقعت حركة الشواف ورفع علم الجمهورية العربية المتحدة على موقع الموصل ، لم يحرك الطبقجلي ساكناً وظل منزوياً في داره بانتظار النتيجة ، ولم يلتحق بمقر الفرقة الا بأمر قائد الجيش في ٨ آذار بعد الظهر ولم يفعل شيئاً لوقف حركة العصيان في الموصل الا بعد ان تأكد من فشل المؤامرة .

وقال قرار التجريم عن مصطفى رفعت الحاج سري : « كان هذا الضابط برتبة مقدم لما قامت الثورة . وقد رفعته قيادة الثورة الى رتبة عقيد وسلمته اخطر منصب وهو مدير الاستخبارات العسكرية . وكان المفروض ان يتفانى في خدمة الجمهورية ويكون عند حسن ظن الزعيم ، خاصة انه لم يكن له اي اثر في نجاح ثورة ١٤ تموز . الا انه قام يتآمر مع الجمهورية ويتصل بالشواف . وقد تلقى منه رسالة شفوية بواسطة نافع داود (الضابط الاعمى) عن استعداده للتمرد ، وعقد عدة اجتماعات سرية لتدبير المؤامرات من اجل الاطاحة بحكم الثورة وضم العراق الى دولة اجنبية . وقد شكل مجلس تحقيق من خضر محمد وزكريا طه وعزيز احمد شهاب لسد الثغرات التي تتسرب منها المؤامرة . وكان الحاج سري على اتصال دائم بالملحق العسكري المصري عبد المجيد فريد سواء بالمواجهات او بالهاتف السري المباشر بينهما .

في تلك الجلسة ، جلسة الوداع ، ان جازت التسمية ، ولو قبل السفر الى الصين ، اخذ ماجد امين هو الآخر نصيبه من الحملة . فقد تحدث عن مؤتمر المحامين في بيروت ، وهو المؤتمر المعلوم الذي اشتبكت فيه الجهتان المتصارعتان

مراراً ، فقال : لقد ارسل عبد الناصر الى بيروت بعض المحامين ، امثال فهمي السيد وعمر الشريف للاشتراك بالمؤتمر . ولكن سرعان ما انكشف امر الدساسين والطامعين » .

وانتقل ماجد امين الى محاولة الاستشهاد بمزيد من الادلة على اشتراك الجمهورية العربية المتحدة بثورة الموصل فقال: « اعلنوا في دمشق انهم سيقيمون تمثالاً لمحمد سعيد شهاب يوم السبت ٢٠ ايلول ١٩٥٩ ، وان احد الوزراء سيزيح الستار عنه بحضور خونة عراقيين آخرين هاربين من العراق (كذا) وهم فائق السامرائي ومحمود عزيز وشاعر البلاط السابق نعمان ماهر الملقب بالغضنفري (ضحك) فهل من دليل ابلغ من هذا الدليل على تآمرهم علينا وتحديهم ارادة الشعب العراقي ؟»

ولقد جاءت حملة ماجد امين مرة اخرى على فائق السامرائي رداً على حملة شنها السامرائي على حكام بغداد في دمشق امام الصحافيين وجاء فيها بالشواهد على ان عبد الكريم قاسم يعمل وفق مخطط شيوعي ، متنبئاً بان حكم قاسم لن يطول ... قال السامرائي :

« ولما وقعت مجزرة كركوك حاول قاسم ان يتستر عليها ويمنع انتشار اخبارها، ولكن مراسلاً اجنبياً في بيروت فضحها، فلم يجد قاسم بداً من ان يعلن استنكاره ظاهرياً لهذه المجزرة، خوفاً من ان تقلتع النقمة الشيوعيين وقاسم معاً. ولم يستطع ان يخفي هذه الحقيقة . ولما عاتبه الشيوعيون على خطابه الذي ندّد فيه بالمجزرة ومرتكبيها قال لهم بالحرف الواحد : « لو لم افعل ذلك لانهارت سمعة الجمهورية في المحافل الدولية .» ولما هدأت ثائرة الرأي العام العالمي ، عاد قاسم الى واقعه واعلن بصراحة انه لن يسمح بانهزام القوى الشيوعية ...

ولقد مكر قاسم في محاولته الظهور بمظهر البريء. لقد قال للصحافي الهندي كارانجيا ان الخلاف من طرف واحد ، ولم يصدر منه اي تصريح ضد الجمهورية العربية المتحدة . وقد نسي ما تنشره الصحف . باشراف الرقابة العسكرية، من اقوال بذيئة وما تذيعه الاذاعة العراقية الرسمية من تعليقات شديدة ، ومـا

يثرثر به المهداوي كل يوم في محكمته . وكان بعضهم يحسب ان المهداوي يتحدث من عندياته، ولكن تبين انه يعتبر الناطق الرسمي لعبد الكريم قاسم حين كشف قاسم ذلك بقوله في خطاب الكلية العسكرية أنه « يؤيد كل حرف يصدر عن المهداوي . »

وضرب السامرائي امثلة اخرى ليثبت اشتغال قاسم للشيوعيين فقال : «عندما نجد وفود قاسم تطوف الدول الشرقية في اوروبا والدول الشيوعية في آسيا نراه يمتنع عن ارسال وفد الى مؤتمر الدار البيضاء (مؤتمر لجامعة الدول العربية عقد في اول ايلول ١٩٥٩ للبحث بقضيتي فلسطين والجزائر على مستوى وزير الخارجية) ويمتنع عن حضور مؤتمر بيروت الذي عقده وزراء خارجية الدول العربية ... فان وزير خارجيته لما مر في بيروت لم يجد طائرة خاصة تنقله الى نيويورك فكان لا بد ان يمضي ليلة او ليلتين بانتظار هذه الطائرة. ولما دعاه وزير خارجية لبنان لتمضية هاتين الليلتين في بيروت رفض البقاء فيها وآثر انتظار الطائرة في سويسرا لانه لا يريد ان يجتمع بزملائه العرب في بيروت ...

اما من ناحية الحكم فالسياسة الاقتصادية العراقية ارتبطت بالمعسكر الشرقي كما كانت مرتبطة في عهد نوري السعيد بالمعسكر الغربي وبريطانيا خاصة. وقد حرم قاسم العمل على جميع الاحزاب السياسية ما عدا الحزب الشيوعي حتى انه لم يسمح للحزب المشارك بالحكم ، وهو الحزب الوطني ، بأن يمارس نشاطه . وقد خدع زعماءه بتجميد نشاطهم اجابة لرغبته ، ولما فعلوا ذلك ظل الحزب الشيوعي يقوم بنشاطه وحده في الميدان ولم تتخذ السلطة اي اجراء لمنعه... يتضح من هذا كله ان وجه العراق الرسمي اليوم شيوعي ، وقد اصبح القضاء على هذا الحكم معركة حاسمة . »

ولقد كان جواب ماجد امين ، بعد المهداوي ، شديداً وتعرض فيه مرة اخرى للجمهورية العربية المتحدة ورئيسها بالسب والشتم ، ونعت السامرائي بـ « الجاسوس الفاجر » وصاح في النهاية : « الويل الويل لهم من الشعوب . ان عجلة التاريخ لا يمكن ان ترجع القهقرى »

بعد ان تلا المهداوي في جلسة الوداع ، تلك الاحكام على الطبقجلي واخوانه قام يحيّي « الجمهورية العراقية الخالدة » و « الشعب العراقي العظيم » والوطن ، بصوت كادت تتمزق من شدته حنجرته. وردد النظارة الهتافات ، ولكن كانت في النفوس غصص وفي الهمم كثير من الوهن . لقد هتفوا وحيوا وضجت بهم القاعة ، على جري عادتهم ، ولكن كانت تطغى على لوحة « محكمة الشعب » ورئيسها ومدعيها العام ونظارتها ، مسحة من شحوب .

لقد ظهر بوضوح ان الجلسة التاسعة والاربعين بعد المائة وان رفعت الى « موعد يعين بعد حين » كانت بداية النهاية ، نهاية محكمة المهداوي .

***

أما بعد فكيف يعيش هذا الرجل في بيته ؟ بين زوجته وسبعة اولاد ؟ كيف يأكل ويشرب ، كيف ينام ، كيف يستطيع ان ينام وهو يحمل كل هذه الاوزار ويجرّ وراءه كل هذه الخصومات ؟ كيف يمكن ان يرتاح ضميره وهو يعدّ العدة كل يوم لعراك جديد يخوض غماره في المحكمة ، وينسج كل يوم ، بين كتبه ومخطوطاته ومن وحي قراءاته ، حملة سبّ وتشهير جديدة يضيفها الى النتاج الغزير من صناعة الحقد والكراهية ، صناعة التنكيل والتعذيب ،صناعة التلفيق التي انشأها وفتح لها مدرسة ايّ مدرسة !

لقد امعن في الناس طعناً وتفظيعاً ، وامعن في الدول والامم ، في ملوكها ورؤسائها كبارها وصغارها ، اهانة وتجريحاً حتى ملأ طريقه ، كل طريقه ، بالاعداء والخصوم والمشمئزين والملدوغين المتطلعين بشوق الى يوم الخلاص من المهداوي ومسرح المهداوي وعهد المهداوي .

— انتهى —

فهرس

هذا الكتاب

ينقلك الى مسرح " قاعة المهداوي

الى " قفص " العجائب والغرائب

بين المهداوي ورفيقه وزمرته وضحاياه

في المحاكمات السرية والعلنية

المهداوي يتكلم وضحاياه يتكلمون ...

مع العشرة الذين اعدمهم وتم التنفيذ فيهم

مع فاضل الشقرا والضابط الاعمى

مع عبد السلام ورشيد عالي والطبقجلي

مع القوافل الست التي سيقت الى القفص

في اعجب واطرف المحاكمات في التاريخ

الثمن
٢٥٠
ق.ل.س.